جامعة محمد الخامس أكدال
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة نصوص ووثائق، رقم 5

أبو عبد الله محمد بوجندار

مقدمة الفتح
من تاريخ رباط الفتح

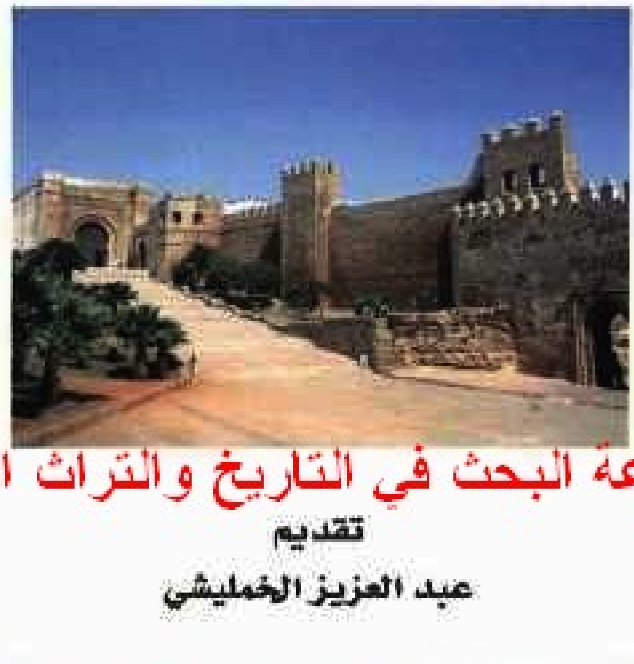

مجموعة البحث في التاريخ والتراث الجهوي

تقديم
عبد العزيز الخمليشي

نشر بمناسبة مئوية الرباط
2012 - 1912

Khalid EL Mokh

مقدمة الفتح من تاريخ
رباط الفتح

جامعة محمد الخامس - أكدال
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة نصوص ووثائق، رقم 5

أبو عبد الله محمد بوجندار

مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح

تقديم
عبد العزيز الخمليشي

الكتاب : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح
سلسلة : نصوص ووثائق رقم : 5
المؤلف : أبي عبد الله محمد بوجندار
تقديم : عبد العزيز الخمليشي
الناشر : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
حقوق الطبع : محفوظة لكلية الآداب بالرباط بمقتضى ظهير 29-07-1970
الطبع : مطبعة الأمنية - الرباط
التسلسل الدولي : issn 1113-0377
ردمك : 978-9981-59-237-7
الإيداع القانوني : 2012MO1338
الطبعة : الأولى 1433 هـ/2012 م

فهرس محتويات الكتاب

تقديم: عبد العزيز الخمليشي.. 7

ترجمة المؤلف أبي عبد الله محمد بوجندار : محمد الجزولي.................. 13

الفصل الأول : في أهمية التاريخ وتاريخه في الإسلام......................... 21

الفصل الثاني: في تلخيص معرب عن تاريخ المغرب.......................... 25

تاريخ مدنه وقراه.. 25

عواصم المغرب 28

الفصل الثالث : في تاريخ شالة بالرباط.................................. 29

تاريخها في الإسلام 32

الفصل الرابع : في تاريخ قصبة الرباط 36

القصبة في عهد اللمتونيين 36

القصبة في عهد الموحدين... 37

الغرض من تأسيس القصبة... 39

القصبة في عهد بني مرين... 40

القصبة في عهد السعديين... 40

القصبة في عهد الدلائيين 43

القصبة في عهد الدولة الشريفة 45

الفصل الخامس : في تاريخ مدينة الرباط.................................. 52

السبب في تسمية الرباط رباطا 55

بعض ما قيل في مدح الرباط.. 58

وصف مناظر الرباط... 63

وصف آثار الرباط 68
مساجد الرباط.. 72
بقية المساجد والزوايا بالرباط 79
الدور الملوكية بالرباط.. 80
بقية الآثار الملوكية بالرباط.. 82
المعارف والمدارس والمكاتب بالرباط 89
الفلاحة والغراسة بالرباط.. 97
التجارة والصناعة بالرباط 101
العمران وعدد السكان بالرباط 107
أهالي الرباط.. 109
استطراد في نسب جالية الأندلس.. 115
الرؤساء وبيوتات الرياسة بالرباط 122
حوادث تاريخية بالرباط.. 129
نوادر تاريخية بالرباط 160
نظرة عمومية حول الرباط وأهاليه.. 162
فهرس الأعلام.. 167
فهرس الأماكن.. 184

تقديم

عبد العزيز الخمليشي
كلية الآداب بالرباط

مع توقيع عقد الحماية (30 مارس 1912) كان علماء وفقهاء الرباط الذين يتعاطون التدريس بالمساجد والزوايا ينقسمون إلى ثلاثة مراتب. ولقد كان ترتيب الفقيه محمد بوجندار – الذي لم يكن إبانها يتجاوز الثالثة والعشرين عاما[1] في لائحة المرتبة الثانية[2].

ولما كانت الإقامة العامة، التي اتخذت من الرباط عاصمة لها، في حاجة إلى أطر مغربية لتصريف أعمالها الإدارية بادرت إلى توظيف الكثير من أولئك العلماء، على اختلاف مراتبهم. وكان من ضمنهم محمد بوجندار، الذي كلف، أولا، في العام 1331 هـ/1913م بمهمة الصياغة العربية لكل ما يصدر عن المقيم العام الجنرال ليوطي. وهو ما أشار إليه صديقه محمد الجزولي في ترجمته المرفقة في مقدمة هذا الكتاب ب "كاتبا بمكتب الترجمة الخاص بالمقيم".

وفي العام 1333 هـ /1915م عين أستاذا للغة العربية في معهد الدروس العليا، وهو ما مكنه من التعرف على العديد من المستشرقين الفرنسيين والمخطوطات التاريخية التي جُمعت في المكتبة العلمية التابعة لمعهد الدروس العليا[3] والتي شكلت النواة الأولى للخزانة العامة.

---

1 – ولد في العام 1307هـ/1889م، وتوفي في العام 1345هـ/1926م. حول ترجمته انظر على سبيل المثال : عبد الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا، مطبعة الأمنية، ج.2، ص.207-218 ؛ محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، محمد بن مصطفى بوجندار، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطابع الأطلس س.م، الرباط، 1987، ص.3-1.

2 – حول التعليم والعلماء في الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انظر : عبد العزيز الخمليشي، مدينة الرباط في القرن التاسع عشر (1818-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء 2012 الفصل الثالث، العنصر المتعلق بالتعليم والعلماء، وضمنه لائحة بمراتب العلماء المدرسين بالرباط (الجدول 6).

3 – انظر وصفا لهذه المكتبة ضمن هذا الكتاب، ص 83-87.

وبموازاة توليه هذين المنصبين معا ظل في الآن ذاته، مواظبا على موافاة جريدة "السعادة" بمقالات تدور أساسا حول الرباط، جمع بعضها في كتاب مستقل صغير الحجم، كما هو الشأن لكتاب "شالة وآثارها"[4]، وجمع بعضها الآخر في ثنايا هذا الكتاب الذي بين أيدينا، كما سنوضح بعد حين.

أما كتابه التاريخي الأول حول الرباط – والذي انتهى من تأليفه في العام 1336 هـ. فكان بعنوان : "تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط"[5]. واستكمالا للفائدة، وبهدف توسيع دائرة أعلام المدينة، أنجز كتابا آخر بعنوان : "الاغتباط بتراجم أعلام الرباط" انتهى من تأليفه في العام 1344 هـ /1925م[6]. وكان قبل هذا التاريخ بسنة (1343) أنجز كتابه المعنون بـ "مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح"[7]، وبذلك حق أن يعد من أبرز مؤرخي المدينة إلى جانب المؤرخ محمد الضعيف الرباطي (1165 هـ – 1752/1233م – 1818)[8]، ومحمد دنية (المتوفى في العام 1358 هـ/1939م)[9]، ومحمد بن علي الدكالي (1285 هـ –1868/1364م–1949)[10]، وعبد الله السوسي[11].

وفي ما يخص كتاب "مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح"، يمكن، إجمالا، تسجيل الملاحظات التالية :

---

4 – طبع في العام 1340 هـ في مطبعة الجريدة الرسمية.

5 – ترجم فيه لواحد وثلاثين قاضيا وقد ألفه استجابة لسؤال من لدن الإدارة البلدية والمراقبة المدنية عن تاريخ القضاء في الرباط.

6 – سبقت الإشارة إلى تاريخ طبعه في الهامش (1).

7 – طبع لأول مرة في الجريدة الرسمية بالرباط في العام 1345 هـ/ 1926م.

8 – صاحب كتاب : "تاريخ الضعيف"، تحقيق وتقديم أحمد العماري دار المأثورات، الرباط، 1986.

9 – صاحب كتاب : "مجالس الانبساط بشرح تراجم وصلحاء الرباط"، مطابع الإتقان، الرباط، 1986.

10 – صاحب كتاب : "الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين" تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة العلمية بسلا، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، 1986.

11 – صاحب كتاب : "تاريخ رباط الفتح"، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة البلاد، الرباط، 1979.

أولا، أن الفصلين الأول والثاني، علاوة على قصرهما – حيث إن الفصل الأول يتكون من أربع صفحات، والفصل الثاني من ثلاث صفحات. لا يمتان بأي صلة لموضوع الكتاب، وبالتالي فهما خارجان عن السياق. وعلى هذا الأساس يجوز اعتبارهما بمثابة زلة قلم، وثرثرة لاتستحق الوقوف والاهتمام.

ثانيا، أن الفصل الثالث (في تاريخ شالة) المتكون من سبع صفحات لا يعدو أن يكون مجرد تلخيص لكتاب "شالة وآثارها" المنشور في العام 1340 ه[12] والذي سبقت الإشارة إليه في متن الهامش (4).

ثالثا، مع الفصل الرابع (في تاريخ قصبة الرباط) نقف عند البداية الفعلية لموضوع الكتاب. وقد نبه في البداية إلى أن كل ما تضمنه هذا الفصل هو مجموع سلسلة مقالات كان قد نشرها على صفحات "السعادة"[13].

ولئن حاول أن يبدو متماسكا في تقديم تاريخ موجز لهذه القصبة، بحسب مراحل تطورها العمراني والبشري، بدءاً من عهد ما قبل المرابطين وانتهاءً بالبدايات الأولى لحقبة الحماية، فإن ما يلزم إثارة الانتباه إليه هو أن المصادر التي اعتمدها باللغة العربية محدودة جدا ولا تتجاوز رؤوس الأصابع. وهي صورة الأرض لابن حوقل، والاستبصار للمؤلف المجهول والمعجب للمراكشي، والاستقصا للناصري.

ومن أجل تدارك هذا النقص كان عليه أن يبحث عن مترجمين ترجموا له، دون أن يذكر أسماءهم مقتطفات من مصدرين أساسيين لا غنى عنهما لأي باحث في تاريخ العدوتين بما في ذلك القصبة. أحدهما بعض إصدارات المستشرق الفرنسي هنري دوكاستر (Henri de castries) خصوصا منها المصادر الدفينة لتاريخ

---

12 – أشار في الصفحة 20 إلى ذلك كالآتي : "ولتقف على كتابي المطبوع أخيرا تحت عنوان (شالة وآثارها) فقد تنزلت فيه إلى ذكر تلك الآثار ووصفها تاريخيا وجغرافيا وطبيعيا وشعريا بما نكتفي هنا بالإحالة عليه...".

13 – ص.26، الهامش (1).

المغرب[14]، والآخر هو رحلة الأسيرجرمان مويط(Germain Mouette)[15]، خصوصا الفصل الثاني المتعلق بوصف سلا والرباط والقصبة في سبعينيات القرن السابع عشر وما جدد المولى رشيد فيها.

إن السؤال الذي يطرح نفسه بعد الانتهاء من قراءة هذا الفصل هو : هل يجوز اعتبار القصبة – التي لم تكن مساحتها تتجاوزأربعة هكتارات وعدد دورها حوالي مائتي دار – ضمن حومات الرباط، كما قال بذلك لوي ميرسييه في إحدى مقالاته التي نشرها في العام 1906[16] ومن نقل عنه.

قطعا لا. فالقصبة – رغم أنها شكلت النواة غداة تأسيس الرباط – أضحت مستقلة بنفسها منذ أن استقر فيها أعيان جيش الأوداية مع بداية ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كانت تعيش حياتها بمعزل عن سلطات الرباط، حيث كانت تتوفر على سجنها الخاص، وقوادها الخاصين[17] المستقلين عن قواد الرباط، بل وكانت تتوفر على عدد من الحومات بحسب فرق جيشها.

ولقد كان بوجندار حريصا، في نهاية هذا الفصل على تسجيل التطور الذي عرفته القصبة في ظل الحماية. كتب يقول : "وأما القصبة فقد أضيفت بعد نشر الحماية إلى عمالة الرباط فصار العامل عليها وعلى فرقة الأودايا الموجودين بها هو عامل الرباط وهو اليوم سيادة الباشا المحترم الفقيه السيد عبد الرحمان بركاش [...] على أن القصبة في العهد الحاضر لم تبق كما كانت عليه سابقا خاصة بسكنى الأوداية بل صار يسكنها كثير من الرباطيين والفرنساويين وأحدثت فيها عدة ديار من الطرز الحديث مع بعض المكاتب الإدارية ولا سيما بعدما مدت لها إدارة الآثار يد الإصلاح في داخلها وخارجها..."[18].

---

14 – يتعلق الأمر هنا بسلسلة : Les sources inédites de l'histoire du Maroc.

15 – ترجم هذا الكتاب من مدة إلى العربية. أنظر : رحلة الأسيرمويط، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، وزارة الثقافة، دار المناهل للطباعة والنشر، 1990.

16 - Louis Mercier, Rabat : description Topographique, in Archives Marocaines, T.VII, 1906, pp.313-314

17 – أورد بوجندار أسماء أولئك القواد بالصفحتين 39 و40.

18 – ص. 40.

رابعا، مع الفصل الرابع والأخير (تاريخ رباط الفتح) نصل إلى صلب الموضوع. وقد خصه بسبعة عشر عنوانا فرعيان شكلت ثلثي صفحات الكتاب (157-42).

وبالرغم من هشاشة تلك العناوين التي يغلب على بعضها التكرار والاجترار، وتفتقد في مجملها التسلسل والانسجام، فإن بوجندار وسع دائرة مصادره والتي من أهمها – علاوة على ما ذكر أعلاه – روض القرطاس لابن أبي زرع، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتاريخ الضعيف، والإتحاف الوجيز للدكالي، والأنوار النبوية في آباء خير البرية لأبي عبد الله محمد الأندلسي، وبعد الأشعار، ودراسة فيكتور شامبيون المعنونة ب "بحث في الحرف والصناعات المغربية بالرباط في العام 1916"[19].

كيف تم توظيف المعطيات الواردة في هذه المصادر ؟

لقد تم توظيف بعضها بهدف كيل المدح للمدينة والرفع من شأنها، بصفته رباطيا متعصبا لمدينته. وفي هذا السياق خصص عناوين جزئية خاصة بالمدح. مدحها نثرا (ص.42-44)، ومدحها شعرا (ص.45-53)، ثم مدحها – في آن معاً – نثراً وشعراً – (ص.53-58). كما ساهم بجزء من أشعاره في هذا المديح، بصفته شاعرا. وقد كان من عواقب هذا المديح الطويل تكرار عدد من العناوين الفرعية.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن بعض العناوين لا تعدو أن تكون نقلا مباشرا أو تلخيصا لمصدر أو مصدرين، حيث احتل الضعيف نصيب الأسد من تلك الملخصات. وقد جاء بعضها في غاية الركاكة، إلى درجة أنه عبر في إحدى المرات عن طلب الصفح من القارئ. ومما كتبه في مقدمة عنوان "حوادث تاريخية

---

19 – نشرت هذه الدراسة بالفرنسية في الجريدة الرسمية بعنوان :

Victor Champion, Enquête sur la situation des métiers et des industries indigènes de Rabat, in Bulletin officiel, Janvier 1917, pp.131-134 et 178-181.

وقد كان شامبيون، صاحب هذه الدراسة الموثقة بالأرقام، يشتغل مراقبا مدنيا ببلدية الرباط. ونشير إلى أن بوجندار لخص هذه الدراسة، أو بالأحرى لخصت له، ضمن العنصر المتعلق ب "التجارة والصناعة بالرباط"، ص. 93-97.

بالرباط" : "لخصتها بقلم أحد المترجمين من كتاب أصول التاريخ المغربي للمسيو دو كاستري المتقدم الذكر، ثم حوادث أخرى أهلية اقتطفتها من تاريخ أبي عبد الله الضعيف الرباطي وغيره. وعلى القارئ أن يغض معنا عما جاء في هذا الفصل من ضعف التأليف، فإن قلم الترجمة لا يخلو من تعبير سخيف، وقلم مؤرخنا الضعيف من حيث هو ضعيف..."[20].

وإذ نكتفي بهذه الملاحظات نشير، في الآن ذاته، إلى أن بعض عناوين هذا الفصل، على قلتها، تقدم إفادات لا تخلو من أهمية، نخص بالذكر فيها المعطيات المتعلقة بالمكتبات العلمية (ص. 81-87)، وأصول ساكنة المدينة (ص 99-105) حيث اعتمد فيهما على معارفه الخاصة، وعلاقاته بالأوساط الرباطية، فضلا عن بعض الإحصائيات.

غير أن نقطة الضعف الكبيرة في الكتاب هي أنه لم يتمكن من الوصول إلى الوثائق الخاصة بالمدينة. والاستثناء الوحيد هو وقوفه على كناش خاص من كنانيش القاضي أبي عبد الله مورينو الذي من خلال إحدى إفاداته صحح الخطأ الذي وقع فيه الضعيف في خصوص تاريخ جر ماء عين عتيق إلى الرباط (ص.77-78).

أما إذا تساءلنا، أخيرا، عن الحالة التي كانت عليها المدينة في العام 1925، أي سنة الانتهاء من تأليف هذا الكتاب، فإن بوجندار يجيبنا كالآتي : أصبحت الرباط تنقسم إلى ثلاث مناطق : المنطقة الغربية، وهي المدينة الأصلية الممتدة داخل السور الأندلسي، بما في ذلك القصبة والمرسى والمقبرة العمومية، وتبلغ مساحتها 92 هكتاراً. والمنطقة الشرقية، وتضم حسان والإقامة العامة والتواركة وأكدال، وتبلغ مساحتها 357 هكتارا. ثم المنطقة الجنوبية المحاذية للمحيط، وتضم المحطة العسكرية والمستشفيات الطبية ودار القبيبات وعدة أبنية أوربية وبساتين وجنات، وتبلغ مساحتها 450 هكتارا، ومن ثمة يكون المجموع 899 هكتارا (ص. 154).

---

20 – ص. 119.

ترجمة المؤلف أبي عبد الله محمد بوجندار

بقلم صديقه الوفي محمد الجزولي

منذ عشرين سنة خلت، رأيت في منتزه حيث أقيمت إحدى الاحتفالات السنوية بختم شيخ العلماء أبي حامد البطاوري صحيح الإمام البخاري، شابا أهيفا في نحو السادسة عشرة، ظريف المنظر، نقي الملبس، خلاب الحديث، بسام الثغر، جذاب النظر في حلقة من ذوي الأسنان، يحادث هذا، ويجادل ذاك، ويعارض الآخر في غير لجلجة ولا توقف، وإن أعرضوا عنه، أوسدوا الحلقة دونه، أولج رأسه من بين مناكبهم إلى أن يحل في وسطهم فيعيد عليهم الكرة ويصليهم بتلك الدرة وهو في كل ذلك يحاول استلفات الأنظار إليه بل والعطف عليه، فدهشت وحقك لتلك الجرأة الحارة والإقدام الغير المعتاد. وسألت عنه فقيل ذاك أبو جندار يدعي قول الشعر ويبتغي ابتزاز رتبة في النحو والأدب، ويزاحم في ذلك الطلبة الكبار جرأة وغرورا. فعجبت منه وحقي أن أعجب، إذ المعهود إذ ذاك ولا زال، لطول مدة التعليم وسقم طرقه، أن الطالب يشيب ولا يتذوق من العلم ما يجعله يدعي تلك الدعاوي أو يطمح إلى هاتيك الرتب.

بلى قد عجبت منه وأعجبت بجرأته وإقدامه وأحببته وإن لم أتعرف به إذ ذاك توالت الأيام وتتابعت الأعوام وكوكبه لا يزداد في أفق المعارف إلا استنارة وتألقا وسلم له ما كان يدّعيه عن جدارة واستحقاق وتقررت له بين ذوي المعارف رتبة يزيدها رسوخا تميزه برقة الشعر، ورصانة النثر، وقوة البرهان، وسطوع الحجة إلى حدة ذهن، ومتانة فكر، وأعطى جدلا، وذلك تفوق عظيم منه ولا شك على أترابه.

وتفوقه ذاك كان سببا في لفت أنظار بعض ذوي الأمر في أول عهد الاحتلال إليه، فندبوه لموافاة "السعادة" وكانت حينذاك بطنجة بأخبار الرباط ونواحيه.

ثم انتدب بعد نشر الحماية واستقرار الإدارة بالرباط كاتبا بمكتب الترجمة الخاص بالمقيم. فكان ذلك أول ظهوره بين ذوي المقامات السامية وعرف رحمه الله كيف يكون عضوا نافعا، فاستفاد وأفاد، ونفع ولم يضر. مع النزاهة التامة والكرامة القارة. وفي سنة 1331 عين أستاذا للغة العربية بالمدرسة العليا. ثم في سنة 1336 أسند إليه القيام بالمنصبين معا الكتابة بمكتب الترجمة الخاص بالمقيم والتدريس بالمدرسة العليا. وفي ذلك الوقت كان الداء العصبي (الروماتيزم) قد استفحل في أعضائه وبدا يشل رجليه ويعوقه عن المشي الاختياري. وبقدر ظهور جده واستنارة نجمه يلح عليه ذلك الداء الخبيث إلى أن عاقه عن الحركة وشل يديه ورجليه ثم تسلط على سائر جسمه فكان عاما. وألزمه المقام في بيته عديم الحركة فيها عدى العين واللسان. ولم يدخر الأطباء جهدا في مكافحة ذلك الداء وإيقاف تياره عن السريان والنماء فذهب مجهودهم أدراج الرياح، وأجمعوا على أن ذلك المرض بذلك العموم لسائر هيكل الجسم، نادر الوقوع. وأندر من ظهور ذلك الداء الغريب، ما كان يتجلى في ذلك الهيكل البالي، من الصبر، والتجلد، والابتسام العذب والترحيب والبرور، بكل عائد وحسن التنقل في الحديث إلى المبادلة في العلم والآداب والأخلاق والاجتماع والأخبار والآراء. يجر كل زائر إلى ما هو به مختص من علم أو صناعة الخ. الأمر الذي صير بيته منتدا أدبيا، لا تكاد تجده فارغا في وقت من الأوقات. ولطالما ألح عليه أحباؤه بتخصيص وقت للزيارة يترك له ولجسمه المضنى وقتا للراحة. ولكن رقة وجهه أبت عليه أن يجابه زواره بمثل ذلك، على أن ألجأه استفحال الداء إليه. ولم يزل طول حياته الأدبية بلبل روض "السعادة" المرفرف بين أدراجها، والمغرد على لدن أغصانها، وبين مجاري أنهارها.

والخلاصة أن الرجل من الأفذاذ الذين يضن الدهر بإظهارهم إلا حينا بعد حين. ولست أراك بحاملي فيه على المبالغة الشعرية متى تصورته شخصا أقعده ألم غريب في عنفوان شبابه، وزهرة إقباله، عطل أعضاءه حتى عن الحركة الضرورية، وألزمه القعود على وتيرة واحدة وأخذه ليله ونهاره، يقظته ونومه، ثم طال ذلك وطال، وتوالت عليه الأيام والأعوام. ولعمري أن ذلك لما يلقي الرعب في القلب، والرهبة والجزع في النفس. نعم تصور ذلك الشخص وتصور دخولك عليه في حالته تلك، وأنت تعتقد أنك سترى فيه مثال الضجر والسئمة والكئابة مجسما لديك. (وإنك لمعذور في اعتقادك) كلا، ثم كلا، فإنك لا تجد شيئا مما تصورته من التجهم والحزن والكدر، ثم كلا، فإنه لا تجد شيئا مما تصورته من التجهم والحزن والكدر. وإنما تلقى وجها بشوشا، وثغرا ضحوكا، وعينا تشع نورا لطيفا يعرب عن الرضى، ويؤذن بالطمأنينة والاستسلام. وتسمع من النوادر اللطيفة، والنكت الظريفة، والأخبار العالية، والأشعار الغالية، تتخللها ضحكات رنانة تعديك باختها، ما تنسى نفسك أنك في حضرة عليل سقيم، وأنك لدى صحيح سليم.

نعم وفي تلك الحالة الفذة، تجد بيته منتدى العلماء العظام، والأدباء الكبار، والشعراء والكتاب، والوزراء والقواد، وكثير من رؤساء الدولة الأفراد، والصناع والتجار، والتلامذة الكبار والصغار، ما لم يتفق لأحد ممن هو في بيئته ووسطه ولن يتفق له، شخصية جذابة خص بها، تفعل في الناس فعل السحر، وتجذبهم إلى منتداه انجذاب النحل إلى الزهر، إلى أن حل تطور الداء، عن إرضاء جميع الأحباء.

وهل سمعت عليلا ملازما قعر بيته يقصده المحتاجون، ويلجأ إليه المعترون، فتقضي لبانتهم، وتستجاب دعواتهم، وتبتسم لهم الأقدار بعد أن غضت عنهم الأنظار، ذلك هو الأريحي أبو جندار.

أم سمعت من تلك حالته، وعلى قلة ذات يده، ينزع اللقمة من فيه، ليلقيها في فم الغرثان، والكساء من ظهره، ليستر به العريانُ في خفية عن الأنظار، وعلى غير انتظار، ذاك هو الكريم أبوجندار.

أم سمعت من تلك حالته يحسن للمسيء إليه، ويتجاوز عن ذي الوقيعة فيه، مع قدرته على الاثئار، والكي بالنار، ذلك هو الحليم أبو جندار.

وأعظم من ذلك ما سيجله له التاريخ عبرة وذكرى، قيامه في تلك الحالة، بما نكص عنه العلماء الأصحاء الأكفاء، من التثاليف المفيدة. وبالأخص تأليفه الاغتباط الذي ترك به منة خالدة في جيد كل رباطي ذاهب أو آت. بلى في حالته تلك، قام بإحياء من تقدم من علماء الرباط، وبعثهم من مراقدهم الدائرة، بإبراز آثارهم، وإظهار أقدارهم، ونقرات أقلامهم، وغرر أعمالهم، مما لم يات به أحد منذ زمان الضعيف الذي أتى بشيء من ذلك عرضا. على كثرة العلماء وحملة الأقلام. انتزع ذلك من مخالب الانقراض، وأخرجه إلى حيز الوجود بعد أن كان في حيز الافتراض. خدم بذلك أمته ووطنه خدمة جلَّى ستعرفها له الأحفاد، إذا تجاهلها الآباء والأجداد.

خلد به لنفسه ذكرا جميلا، وتركه على ممر الأحقاب أثرا جليلا، وهنيئا له بذلك.

وقد ترجم رحمه الله خلاصة حياته العلمية في فهرسته المعنونة بـ (مبتدأ خبري) كما ترجمه تلميذه وحبيبه ويده العاملة في كل ما خرَّجه في مرضه من التثاليف، الفقيه الأجل السيد محمد فرفره في تأليفه الارتباط الذي جعله كالذيل لكتاب الاغتباط فنلفت إليهما المستزيد.

ولد رحمه الله سنة 1307 وتوفي يوم الأربعاء 19 ربيع 2 عام 1345. ولقد اهتز المغرب لنبأ موته وردد صداه من مشرقه إلى مغربه، ولا أدل على ذلك من القصائد الرنانة التي أتى بها من جل أدباء المغرب وكتابه مما نشرته "السعادة" الغراء على أعمدتها العامرة في أعداد متوالية، مما نشكرها عليه شكرا جما. فلقد قدمت بذلك لقرائها الكرام، في كاتبها أبي جندار أكبر تعزية، وأجمل تذكار، وقبل وضع القلم، أجعل مرثيتي لصديقي خاتمة لهذه الترجمة وإن لم تكن من خير ما رثي به.

حبيبي أبا جندار شط بك المثوى … وأصبح صفو القول في أثر كم لغوا
ثويت بناء الشطء لم يأت ذاهب … إليه فيروي وصف ذلكم المأوى
مغالق أقفال توقف عندها … فلاسفة الدنيا فدانوا بما يروى
وما أنت بالثاوي بمثواك مفردا … فكل الورى يسعى إلى ذلك المثوى
سواء شباب الناس والشيب عنده … ومن لم يلجه اليوم يدخله غدوا
تحصن قوم منه بالطب والحجا … وهل ينفع التطبيب أن حمت البلوى
ولو حمى علم الطب جسما مدهدها … لكنت السليم الجسم من سائر الأدوا
فكم طب منك الجسم جمع ومفرد … بكل دواء قالوا قد بلغ الشأو
وكم شرّحوا ساقا وكم فصدوا دما … وكم لقحوا عرقا وقاء من العدوا
ولكن سهام الموت أنفذ مقتلا … إذا فوقت والكل ضدها لا يقوى
فمت وملء العين عبرة حسرة … عليك وملء القلب نار بها يكوى
ولم أر قبل اليوم قبلك ميتا … تمكن من كل القلوب كما يهوى
فهذا حبيب يتلو عنك محامدا … ويجعلها في العد أشبه بالأنوا
وهذا عدو رام فيك شماتة … فقام دليعا يملء الأرض بالأسوا
كأنك (والتشبيه لاغ) مكانة … مكان ذوي الإصلاح في أمة نشوى
وما مت موت الخاملين وإنما … أثرت بها في الغرب ضجة ذي دعوى
كما كنت عند النقد ترسل أسهما … تصيب بها هدفا وتفري بها فتوى
وما كل شخص يشغل الناس ذكره … ولا كل نجم يملا الجوّ بالأضوا
فياصاحب النادي الذي أم ربعه … رئيس ومرؤوس ومن بلغوا القصوى
ومن عنده تقضي لبانة قاصد … لدى قانت في قعر دار من البلوى
وياصاحب الوجه الضحوك لحاضر … وإن كان منه الجسم من ألم يشوى
وياصاحب الشعر الرقيق الذي له … لدى كل ذي علم مكانته الحظوى
لقد ضاع فيك الغرب يا شمس افقه … وأبقيت ربع الفضل من مثلكم خلوا
عليك سلام الله ما التاع موجع … وحن حزين القلب للبث والشكوى

محمد الجزولي

إلى صاحب العرش العظيم
وحاجبه الكريم

إذا كان لقلمي مأثرة توثر أو منقبة جليلة تذكر وتشكر فليس عندي – على ما أعتقد – أفضل من خدمة أقوم فيها بواجبي الأقدس، نحو وطني العزيز المقدس، مثل ما قمت به في هذه المقدمة.

مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، عاصمة إيالتك، وقاعدة إدارتك ووزارتك. حيث دار ملكك وتحت عرش سلطنتك. ومقر سلطان دولتك وصولتك، ومدفن آبائك ومظهر أبهة مملكتك، بل مظهر آثار سلفك، ومطلع أقمار خلفك.

بلاد بها نيـطت على تمائـمـــي وأول أرض مس جلـــدي ترابــــهـــا

لذلك عنيت بتقديمها إليك. وكل الرجا أن تحل محل القبول والإقبال لديك. ولا غرو فإنها حسنة من حسنات عصرك ومنارة من مآثر أحد كتاب مصرك. وشعرائك الذين طالما تغنوا بنصرك. فإليكها مني هدية ودية. على يد الحجابة السنية. وعماد الدار العلية. أعني أستاذك الإمام. وحاجبك الهمام.

فـــاليكما أهـــدي كتـــابي قـــائلا مـــا قالـــه مهـــد لـــدى أهدائـــه
البحر يمطره السحاب وماله من علـيـه لأنـــه مـــن مـــائـــه

جواب الحجابة السنية

عن الهدية

سعادة المصافي الأريب نابغة الأساتيذ التحرير المتضلع الفقيه الأمجد السيد محمد بوجندار وعليكم سلام الله ورحمته. عن خير مولانا دامت نصرته. وبعد فقد سرنا أن جاءنا ما سمحت لنا به عاطفتك الأدبية. من النسخة الخطية. المحررة بيراعكم الأروع من مقدمة كتابكم التاريخي الرباط الخ. فأكرم بك. وأجمل بهديتك الثمينة البالغة جد الأجاده والإفادة. وإننا نشكرها لك شكرا جما. أما ملحظكم التاريخي فإنما هو ملحظ حكمي بحث إذا لمورخ من تشريفات العصور وقد جاء في الحكم الجليلة العلم عقود فاجعلوا الكتب لها نظاما ولا غرو أنكم وفيتم بحق هذه الحكمة خير وفاء. لا برحتم في بداية المعارف ترقون كما تحبون من غاية إلى غاية وبه الإعلام والله يرعاكم وعلى المحبة والسلام.

في 28 رمضان عام 1344

التهامي عبابو

وفقه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سبحانك اللهم أذكرك ذكرا. وباسمك افتتح مشروعي هذا حامدا شاكرا على أن جعلت التاريخ لنا عبرة وذكرى. مهديا صلات الصلوات الموصولة بعوائد التحيات. لمن قصصت عليه أحسن القصص في محكم الآيات. صل اللهم عليه وعلى آله الحي منهم والميت. سلام عليكم أهل البيت. وبعد فإليكم يا أبناء وطني الأعزاء. أتقدم بهذا الجزء المؤلف. بل الروض المفوف. ثالث ثلاثة أجزاء. ضمنتها تاريخ بلد في عاصمة الرباط. (حيث القصبة والساباط) وهي أجزاء كتابي الموسوم بالاغتباط. فقد توجت هامته بتيجان فصول ووصول جعلتها مقدمته. ثم رأيت أنها لطولها وطولها خرجت عن معنى المقدمة. إلى معنى يجعلها مستقلة بذاتها وعلى غيرها متقدمة. الأمر الذي دعاني إلى أفرادها بالتخريج. بهذا الجزء الذي تأرج مسك ختامه بطيب الأريج. وقد ترجمته بعدما أتممته :

مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح

فإليكموه يا أبناء جلدتي الأعزاء وسأوافيكم إن شاء الله ببقية الأجزاء شاكرا (سلفا) فضل من ينظر فيه بعين الأغضاء ويتقبله مني بيد القبول والرضاء. وليعلم أنه جهد مريض. وقد قيل حال المريض دون النثر والقريض. وكفى ما اعتذر الله به عني (وليس على المريض) ولست (حاشا الله) أزكي نفسي بادعاء الكمال في قلمي. مع معرفتي بأن النقص من شيمي. هيهات هيهات، نفاق الترهات لكني من باب التعريف والتشويق أقول في تعريف كتابي هذا وحده. إنه نسيج وحده والتحدث بالنعم مشروع وهذا بعون الله أوان الشروع.

مقدمة

تشتمل هذه المقدمة على عدة فصول ووصول.

الفصل الأول : في أهمية التاريخ وتاريخه في الإسلام

أهمية التاريخ بين العلوم خطيرة شهيرة حتى عند العموم. فلا جدال إن قلنا إن للتاريخ من مزيد الأثرة والخصوصية ما هو جدير بالذكر وإن كان ذكره من باب الحديث بمعلوم.

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره   هو المسك ما كررته يتضوع

كان التاريخ ولم يزل السبب الوحيد في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والضامن الكفيل بتهذيب النفوس الفاعل بها فعل حميا الكئوس فهو ولا ريب مرءاة الأزمنة الماضية والحالية التي ينكشف بها ما خفى من أحوال القرون العامرة والخالية. به يعتبر المعتبرون ويتعظ المتعظون وتستنير العقول وتثبت القلوب كما نطقت به آية وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وآية لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب وقال الإمام علي لابنه الحسن رضي الله عنهما يا بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفوة ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنه مجهوله هو في الكامل إن من تفكر في التاريخ ورأي تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها إلى أعيانها وإنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حفير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها وأعرض عنها وأقبل على التزود منها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص ولعل

قائلا يقول ما نرى ناظرا في التاريخ زهد في الدنيا وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا. فياليت شعري كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فإن القلوب مولعة بحب العاجل. قال الحافظ أبو شامة نقلا عن أبي مصعب الزبيري ما رأيت أحدا أعلم بأيام الناس من الشافعي. ويروي عنه أنه أقام على تعلم أيام الناس والأدب عشرين سنة وقال ما أردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه. نقله البدر القرافي في التوشيح عن السيوطي في أول كتابه أعيان الأعيان. قال في الاستقصاء بعد الإشارة إليه ومعنى كلام الشافعي هذا أن علم التاريخ لما كان مطلعا على أحوال الأمم والأجيال ومفصحا عن عوائد الملوك والأقيال ومبينا من أعراف الناس وأزيائهم ونحلهم وأديانهم ما فيه عبرة لمن اعتبر وحكمة بالغة لمن تدبر وافتكر كان معينا على الفقه ولا بد وذلك أن جل الأحكام الشرعية مبني على العرف وما كان مبنيا على العرف لا بد أن يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه. ولهذا ترى فتاوى الفقهاء تختلف باختلاف الأعصار والأقطار بل والأشخاص والأحوال وهذا السبب بعينه هو السر في اختلاف شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بآخر ومحمد بسوى ذلك صلى الله علي جميعهم وسلم. قال السخاوي في التبر المسبوك في ذيل السلوك : علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي يعرف به المتهم والوضاع والثقة وتحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرحم والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حسبما قرر في محله، وكذا تعلم منه آجال الجنود واختلاف النقود والأوقاف التي ينشأ عنها الاستحقاق ما هو معهود وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم ما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم بعد أن أبادهم الحدثان، ويعتبر بما فيه من المواعظ واللطائف المفيدة لترويح النفوس الطامعة مع ما يلتحق به من المسائل العملية والمباحث النظرية والأشعار التي هي جل مواد العلوم الأدبية كاللغة والمعاني والعربية. ولهذا صرح غير واحد من أهل الإبانات بأنه من فروض

الكفايات. وقال العلامة اليوسي رحمه الله في قانونه كل ما يحتاج إليه من التاريخ في شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقاء فلان من الرواة بفلان أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو غير ذلك فهو داخل في العلوم الشرعية. وبالجملة فللتاريخ من الأهمية بين العلوم الشرعية والأدبية والعربية ما يقضي بأن يجعل في مقدمتها اعتبارا وفي صدرها إكبارا ولذلك عنيت به العرب قبل الإسلام وبعده، وخص عند العجم بمزايا بين العلوم وحده، ولكنه بمعناه الخاص إنما كان موجودا عند العرب على حالة تناسبهم فإن تلك القصائد المعلقة وغيرها مما كان ينشد في سوق عكاظ هو تاريخ أيام العرب ومفاخرهم قبل الإسلام. فلما جاء الإسلام وأوجد النظام في أحوال العرب كلها بلغ التاريخ عندهم شأوه الأعلى. فكان أول كتاب ظهر وفيه طرف من التاريخ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بينه يديه ولا من خلفه فقد شحن من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به أكابر أهل الكتاب ولا كان لهم في ظن ولا حساب، ولكنه إنما أتى على سرد الحوادث لا بقصد بيانها بل بقصد استخراج العبرة منها ولذلك تراه يسرد الحادثة الواحدة بألفاظ مختلفة كما فعل في قصة موسى عليه السلام حين تجلى عليه ربه فقد وردت بألفاظ مختلفة وصور شتى على قدر ما فيها من وجود العبر وضروب النظر. وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم السابقة ويحكي من ذلك لهم ما يشرح به صدورهم ويقوي أيمانهم. وكتاب بدء الخلق من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى كفيل بهذا الشأن. وفيه ما يغني عن إقامة الدليل والبرهان. فلما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه أخذ المسلمون يتكلمون في السيرة النبوية. وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق المرضية فبدئ أولا بتدوينها ويقال أن أول من دونها عروة ابن الزبير المتوفي سنة 93 (ثلاث وتسعين) ثم نبغ بعده وهب بن منبه المتوفي سنة 116 وقيل 114 فألف تأليفا في أخبار ملوك حمير وأشعارهم ذكر ابن خلكان أنه رآه ثم تلاهما محمد بن إسحاق المتوفي سنة 151 فوضع أيام الخليفة المنصور مؤلفا في

السيرة النبوية، ثم توالت بعد ذلك المؤلفات في الفتوحات والسير ولما تغلغل المسلمون إلى بلاد آسيا وإفريقيا مالت نفوسهم لاستطلاع أخبارها بحكم الضرورة فنشأت التواريخ العامة فكان أولها تاريخ اليعقوبي في منتصف القرن الثالث ثم تلاه ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 ثم وضعت بعد ذلك التواريخ الخاصة كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها وابن الرقيق مؤرخ أفريقية والدول التي كانت بالقيروان فانقسم التاريخ إلى قسمين عام وخاص فالعام ما اشتمل على تاريخ العالم بأسره والخاص ما كان موضوعه أمة بذاتها. وقد يطلق العام والخاص على التواريخ باعتبارات أخر فيقال للتاريخ عام إذا كان موضوعه أمة برمتها، وخاص إذا كان موضوعه فردا منها وقد يكون عاما وخاصا بالنسبة فيقال التاريخ العام الفرق الإسلامية إذا كان المقصود دراستها جملة وإنما هو عام بالنسبة لتاريخ فرقة واحدة أو فرق مخصوصة منها وحينئذ فكتابنا هذا عام وخاص باعتبارين وخلاف العبارات باختلاف الاعتبارات. وقد سمي في كشف الظنون من النوعين معا ألفا وثلاثمائة وهي بعض البعض من تواريخ أهل الإسلام. ومما هو جدير بالتنبيه والتنويه ما جاء في كنز العلوم واللغة من أن المسلمين أول الأمم تأليفا للتراجم وعنهم أخذ الأوروبيون هذا النوع من التصنيف فاعرفه والله أعلم.

الفصل الثاني
في تلخيص معرب عن تاريخ المغرب

قد يطلق المغرب على ما يشمل المغارب الثلاثة – الأدنى – والأوسط – والأقصى – أي الممالك الثلاث – تونس – والجزائر – ومراكش ولكن عند الإطلاق كما هنا إنما ينصرف إلى مغربنا الأقصى الذي يعرف عند الجغرافيين بمراكش. كان أولا في حكم ملوك البربر الأقدمين ثم صار تابعا للدولة الرومانية أيام عزها ثم استولى عليه الفانداليون من إسبانيا ثم رجع الروم في عهد أحد قياصرتهم ومن يدهم أخذه العرب وفتحوه في القرن الأول الهجري، ومن هذا الحين صار مملكة إسلامية للعائلات الملوكية من الإدريسيين مدة 183 سنة وآل أبي العافية وبين زناتة نحو 100 سنة والمرابطين مدة 80 والموحدين مدة 152 والمرينيين نحو 300 والسعديين مدة 148 والعلويين الحاليين من عام 1075 إلى اليوم بل وحتى الغد وإلى ما شاء الله من بعد.

تاريخ مدنه وقراه

وأما تاريخ ما يوجد في المغرب من المدن والقرى فقد ذكر أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ما ننقله هنا على علاته. وهذا نص كلماته قال : وأول بناء بناه البربر لما دخل المغرب مدينة سلا قيل إن الاسكندر لما دخل المغرب بناها وبنى مدينة شالة مقابلة لها وقيل إن الذي بناهاما افريقش الحميري بعد دخول الصعب ذي القرنين بمدة كثيرة وهو الذي دخل المغرب بالبربر ونزل محل سلا على واديها فصهل فرسه ومن يوم دخل افريقية لم يصهل على أن نزل محل سلا فقال سلا الفرس وأمر أن يبني في محل نزله حصن. فبنى وعمره البربر وسماه سلا ولما قطع وادي سلا ونزل محل شالة أمر أن يبني به آخر مقابل لسلا لما شال، يعني لما ارتحل فسمى المحل شال، فصحف لكثرة الدوران. ولما استقر قبائل البربر بالمغرب ونزل زناتة تامسنا وتادلة ونزل صنهاجة

دكالة بنى أمراء زناتة مدينة (آنفا) بتامسنا ومدينة (داي) بتادلة وبنى أمراء صنهاجة مدينة (طيط) بدكالة ومدينة (أزمور) بها أيضا ومدينة (أسفي) بها أيضا ثم أسس قبائل المصامدة مدينة (شوشاوة) ومدينة (اغمات وريكة) ومدينة (اغمات ايلان) أسسها نفيس المسمى به الوادي وأسس ملوك قبائل حاحة قلعة (الصويرة) وقلعة (اكديرة) وأسس أمراء قبائل شتوكة وجزولة ومدينة (ردانه) ومدينة (ماسة) ومدينة (واد كي) مرفى السودان وأسس وزكيته وقدميوة قلعة (امصمير) وقلعة (تينمل) وهي التي كان بها المهدي بن تومرت وأسس فزواطة وتزناتة وقبائلهم قصور (ذرعة). وأسس بنو مدرار من مكناسة (سجلماسة) قبل الإسلام ولما أسلموا كانوا على مذهب الإباضية وأسس أمراء فطواكة مدينة (دمنات) قبل الإسلام. وأسس أمير صنهاجة بجبل فازاز مدينة (القارة) وهي الخربة فوق قلعة ادخسان قبل الإسلام وأسس أمير زناتة قلعة (إزرو) قبل الإسلام. وأسس أمير مكناسة مدينة (مكناسة) قبل الإسلام وكانت قرى لمكناسة إحدى قبائل زناتة من البربر ومدنها ملوك الموحدين من بني عبد المومن وبنوا قلعتها والذي جدد قلعتها العظمى وادار عليها الأسوار العظيمة السلطان مولاي إسماعيل. وأما مدينة (مغيلة) أسسها أمير مغيلة قبل إسلامهم وهو مغيل عام 98 ثم مدينة (وليلي) أسسها أمير أوربة قبل إسلامهم عام 96. وأما بعد ظهور الإسلام فأول مدينة بنيت بالمغرب مدينة (النكور) أسسها إدريس بن صالح الحميري عام ثمانية وجهه حسان بن النعمان الغساني أمير عبد الملك بن مروان بإفريقية لفتح المغرب فنزل الريف وعليه أسلم قبائل الواتة وأقام بتلك البلاد وورثها أولاده من بعده إلى أن انتقلوا أعوام فتنة الأندلس، ثم مدينة (بادس) أسسها أمير الواتة الذي كان مع إدريس بن صالح واسمه بادس عام تسع، ثم مدينة (مليلية) أسسها أمير بني يفرون الذي كان مع إدريس بن صالح واسمه امليل عام اثنين وتسعين، ثم مدينة (فاس) أسسها إدريس ابن إدريس عام إحدى وتسعين ومائة، ثم مدينة (العرائش) أسست في الإسلام أسسها نصارى البردقيز عام ثلاثة وعشرين ومائتين بسبب مرساها، ثم مدينية (اشميس) بمقابلة العرائش

بناها البردقيز في الإسلام عام ثلاثين ومائتين، ثم مدينة (أصيلا) الكبرى أسسها بنو إدريس عام خمسين ومائتين، وأما الموجدة الآن فقد بناها البردقيز وفتحها مولاي إسماعيل العلوي، ثم مدينة (نهدرت) أسسها بنو إدريس أيام دولتهم عام ستين ومائتين، ثم مدينة البصرة أسسها بنو إدريس أيام ملكهم سنة خمسين ومائتين، ثم مدينة (حجر النسر) بقرب سبتة أسسها بنو إدريس أيام ملكهم سنة ثمانية عشر ومائتين ثم مدينة (قصر كتامة) أسسه أمين كتامة عبد الكريم في أول الإسلام عام اثنين ومائة، ثم (قصر مصمودة) وهو قصر المجاز بين سبتة وطنجة أسسه أمير مصمودة أيام ولاية طارق بن زياد الليثي بطنجة ومنه كان جوازه لجبل طارق عام تسعين، ثم مدينة (المهدية) أسسها أمير بني يفرن عام ست وعشرين وثلاثمائة، ثم مدينة (مراكشة) أسسها يوسف بن تاشفين اللمتوني عام أربع وخمسين وأربعمائة، ثم مدينة (الرباط) أسسها يعقوب المنصور الموحدي عام إحد وتسعين وخمسمائة، ثم مدينة (تازة) كانت رباطا فمدنها عبد المومن بن علي عام تسع وعشرين وخمسمائة، ثم مدينة تطوان أسسها بنو مرين عام ثلاثين وسبعمائة، ثم مدينة (شفشاون) أسسها علي بن راشد الشريف العلمي في الدولة الزيدانية عام عشرين وتسعمائة، ثم مدينة (وازان) أسس زاويتها عبد الله الشريف العلمي في دولة الزيدانيين عام اثنى عشر وألف، ثم مدينة (الصويرة) أسسها أمير المومنين سيدي محمد ابن عبد الله العلوي عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، وأما مدينة فضالة فقد أسسها سيدي محمد بن عبد الله العلوي عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وأما قلعة دبدو وتاوريرت فمن إنشاء بني مرين في السبعمائة، وأما وجدة فقد أحدثها بنو يفرن أمراء تلمسان أيام ملكهم به قبل الإسلام هذا خبر مغربنا.

عواصمه

فاس : عاصمة الشمال وقاعدة جميع ملوك المغرب يبلغ سكانها نحو المائة والعشرين ألف نسمة. ومراكش : عاصمة الجنوب وقاعدة ملك المرابطين سكانها نحو المائة ألف نسمة. ومكناس : عاصمة الفتح الإسلامي الأول وقاعدة ملك الدولة الإسماعيلية يبلغ سكانها نحو الثلاثين ألف نسمة. أما العاصمة الإدارية المخزنية اليوم فهي عاصمة الرباط، عاصمة الجهاد الإسلامي والفتح الأندلسي يبلغ سكانها نحو الأربعين ألف نسمة. ولله قول الشاعر المطبوع في مدحها والمقابلة بينها وبين غيرها من العواصم قال :

إذا افتخرت مكناس بالماء والهـوا

وفاس بواديها وبالعلـم والمجـــد

ومراكش بالجد والجـود والجـــدا

فإن رباط الفتح واسطــة العقـــد

الفصل الثالث

في تاريخ شالة بالرباط

يرجع تارخ شالة القديم إلى عهد البربر الأقدمين سكان هذا القطر الأصليين فقد تعاقب الملك فيهم أحيانا وأزمانا وأوليتهم في المغرب منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى كما قال ابن خلدون فتكون شالة القديمة من بناء ملوك البربر إذ ذاك، بل صرح الزياني في الترجمانة أنها من بناء الإسكندر ذي القرنين أو إفريقش الحميري في قولين حكاهما بصيغة قيل، وقد سبقت عبارته وهو مبني على القول بأن إفريقش الحميري دخل المغرب وأنه أول من أدخل البربر إليه[1] وقيل إن تاريخ شالة القديم إنما يرجع لعهد الفينيقيين القرطاجيين الذين أثبت التاريخ أنها كانت من أهم مراكزهم المغربية، بل كانت عاصتهم الاستعمارية كما صرح به جوزيف كانال في قوله : على مسافة اثنين كيلومتر من منارة حسان يوجد خراب هضبة شالة التي كانت عاصمة القرطاجنيين بعمالة طنجة وكما كانت عاصمتهم الاستعمارية الإدارية فقد كانت أيضا عاصمتهم التجارية توافيها سفنهم بأنواع المناجر وضروب المتاع وتصدر عنها ما شاكل ذلك من الجلد والعاج وريش النعام والاصمغ العنبرية وسواها حتى الفيلة التي كان الفينيقيون يستعملونها في حروبهم كما أشار له ابلين في تاريخه. ولا تزال سكك الفينيقيين الذهبية والفضية والرصاصية مما كان يتعامل به في تلك الأعصار يعثر عليها الباحثون الأثريون وعلى بعضها صور وأشجار وحيتان من معبوداتهم القديمة وغيرها. ثم لما دالت الدولة للرومان بالمغرب كانت شالة من أهم مستعمراتهم التي استعمروها مثل وليلي وطنجة حتى صارت شالة تنسب إليهم وجعلها كثير من المؤرخين مثل ليون الإفريقي من آثارهم بالمغرب نظرا لما أحدثوه

---

1 – ساقهم من بلاد كنعان وفيهم قال :

بربرت كنعان لما سقتها. لبلاد الخصب والعيش العجيب. وهو الذي سماهم بربرا انظر : جذوة الاقتباس لابن القاضي.

فيها من البناءات المتعددة والآثار المتنوعة، واستمرت كذلك مدة مديدة تقرب من خمسمائة عام إلى أن خرج من جزيرة الأندلس قوم الواندال الكوطيون واستولوا على شطوط إفريقية وخربوا مدن الرومان ومستعمراتهم فكانت شالة من جملة ما خربوه كما صرح بذلك ليون في مسالكه. وقد كانت في ذلك العهد الروماني هي المرسى الوحيد للمراكب الشراعية الرومانية تمد روما عاصمة الرومان بسائر محصولاتها الفلاحية وغيرها وتستجلب منها أنواع المتاع وضروب المصنوعات الرومانية على اختلافها مما يعثر عليه الباحثون اليوم تحت سجوف التراب بشالة وضواحيها. ومما عثروا عليه عدة مسكوكات وقطع من الخزف الروماني وأحجار كريمة وخواتم ذهبية وأدوات منزلية وجدت مدفونة في بعض مقابرهم، كما وجدوا على بعض القبور عدة أحجار ضخمة منقوشة وعليها كتابات رومانية حفظ التراب وجودها بالموضع المعروف بكرمة سعيد بن صالح ما بين شالة والرباط، كما عثروا بشالة أيضا على آثار بربرية قديمة منها جملة أوان من الفخار والخزف البربري وأحجار عليها صور بعض الأصنام وعلى بعضها صور مستديرة على شكل قرص الشمس إلى غير هذا من الآثار التي نقل بعضها إلى مكتبة المدرسة العليا (المعهد العالي للتعليم) وحفظت في خزائن متحفها الأثري البربري كما الممت بذلك في بعض مقالاتي المتعلقة بالمدرسة المذكورة ولتقف على كتابي المطبوع أخيرا تحت عنوان (شالة وآثارها) فقد تنزلت فيه إلى ذكر تلك الآثار ووصفها تاريخيا وجغرافيا وطبيعيا وشعريا بما نكتفي هنا بالإحالة عليه عن الإشارة إليه اللهم إلا هذه الكلمة لخصتها مع تصرف من جواب لبعضهم وقفت عليه بعد ذلك وإليك ما هنالك. توجد الآن آثار هياكل أصنام بزاوية شالة وضواحيها وقع عليها الباحثون تحت أطباق التراب يرجع أصلها للفينيقيين والقرطاجنيين أهل شالة ومعمريها قبل دخول المسيحية إليها ومن قبيل هذه الآثار الدار المعثور عليها بشالة في دولة المولى إسماعيل سنة 1699 بواسطة عبد الله بن عائشة الرئيس الرباطي الشهير أحد سفرائه ورؤسائه بالرباط ويعرف في كتب الافرنج بأميرال سلا وله ما جريات وحوادث وهو الذي ينسب إليه فندق

ابن عائشة القيسارية المعروفة بالرباط ودار ابن عائشة المتصلة بالزاوية المختارية ومقبرة ابن عائشة التي بها مدفنه بمقبرة العلو فإنها لا شك هيكل روماني للرومانيين الذين سبق زمانهم زمان المسيح عليه السلام ولا يوجد ذكر لهذا الاكتشاف في كتب التاريخ المغربي فيما علمناه وإنما علم من كتاب كتبه ابن عائشة المذكور في ذلك وزعم أنه أثر للملك شهاب الذي كان يملك هذه البلاد في الجاهلية الأولى من عهد سيدنا إبراهيم قبل النصرانية بأربعة آلاف سنة الخ[2] وفيه أن تملك الملك شهاب لهذه البلاد لا يعرف إلا من جملة الخرافات الباطلة التي ينقلها المحرفون في حق شالة من أوراق مجهولة يعزونها للسيوطي افتياتا وهي التي حذر اليوسي منها في كتاب المحاضرات ومما عثر عليه أخيرا قبر روماني قرب دار القائد سعيد بن صالح فألفى فيه لوح لطيف من رخام أبيض مكتوب عليه بالقلم الروماني القديم ما تعريبه هذا (لإلاه الآلهة حرم) أوريليوس الذي عاش أعواما... وشهورا... وأياما. – زوجته – لزوجها المستحق عملت هذا المدفن الذي يضم عظامه من سلا كولونيا هـ وسبك الكلام المذكور هكذا. إن أوريليوس الشلاوي الروماني المستحق الاعتبار من زوجته والاحترام قد أقامت عليه زوجته هذا الضريح الذي يضم أعظمه وجعلته حرما لإلاه الآلهة أو إلاه الأجداد الرومانيين الذين كان الشعب يعبدهم كآلهة هـ ومحل الإعداد الرومانية لم يفهم ولذلك جعلت النقط مكانها وإلاه الألهة عندهم هو جوبيتر الذي هو المشتري[3] عندنا كما عثر على حجر عظيم قرب سور شالة مكتوب عليه بخط روماني قديم أنه أحد الأحجار الأربعة التي كانت منصوبة على أربعة أركان هيكل جوبيتر للغربان بشالة قبل التاريخ المسيحي بنحو 200 عام وعثر لعهدنا على بيت مزلج الفسيفساء الرومانية من دار كانت بشالة ولا زال البيت سالما إلى غير هذا من الآثار والأبنية القديمة التي يقع العثور عيها بشالة وضواحيها وجلها مهدوم

---

2 – يريد أن تملك شهاب لهذه البلاد هو معدود في نظر التاريخ الصادق من قبيل الخرافات الباطلة الخ. فلا يرد أنه ليس في تلك الأوراق المقروة للسيوطي ذكر للملك شهاب هذا والله تعالى أعلم هـ مؤلف.

3 – أحد النجوم السبعة السيارة.

مردوم لم يبق منه إلا براحات مزلجة الفسيفساء وأسس أسوار وحيطان هياكل. أما الدور التامة فلا وجود لها إلا أن تكون لا زالت تحت الأرض سترها التراب والردم الذي غطى وجه الأرض من عهد بعيد ه باختصار واقتصار. وبالوقوف على كتابنا في تاريخ شالة تشرف على بقية الآثار وهي آثارها في تاريخ الإسلام على منا سنذكره أمام.

تاريخها في الإسلام

كانت مدينة شالة قبل إشراف النور الإسلامي بين أرجائها كسائر المدن المغربية كلها ظلمات كفر ومجوسية وكان الغالب على أهلها وسائر القبائل المجاورة لها هو دين النصرانية لكون العمال والأمراء عليهم في ذلك العهد كانوا من أعظم المتمسكين بآداب الديانة المسيحية اللاهوتية. وأول من افتتحها بالإسلام ومد عليها رواق السلام هو سيدنا عقبة بن نافع الفهري لما قدم على هذه البلاد في المرة الثانية أيام خلافة يزيد ابن معاوية سنة اثنين وستين من الهجرة وعلى يده أسلم أهلها المرة الأولى ودانوا بدين الإسلام إلا أنهم ما لبثوا أن ارتدوا وعادوا إلى دين النصرانية عقب رجوع عقبة.

ولما قدم موسى بن نصير موجها من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان في سنة تسعين هجرية فتحها ثانيا وألزمهم الدخول في دين السلام فامتثلوا ثم ارتدوا وبقوا على هذا الحال بين إسلام تارة وارتداد أخرى إلى أن قيض الله لهم البضعة النبوية الطاهرة الفاتح الأكبر مولانا إدريس بن عبد الله الكامل فقدم على المغرب في خبر طويل شهير وبويع له بالخلافة بمدينة وليلى قاعدة جبل زرهون وكان ذلك رابع رمضان سنة 172.

ولم يتمالك أن قام لفتح شالة وما جاورها من بلاد تامسنا وتادلا كما جاء تفصيل ذلك في روض القرطاس وغيره فكانت شالة لها بذلك مزية السبق على غيرها من مدن المغرب بعد وليلى إذ كانت ثانية مدنه في اعتناق الإسلام والتدين

به على الدوام وكان دخول مولاي إدريس لها عنوة في أواخر القرن الثاني بعد أن حارب فيها دولة برغواطة أهل شالة إذ ذاك.

وبعد إدريس تداولها بنوه من بعده فلم تزل تابعة لهم وتحت حكمهم مدة ولايتهم إلى أن انتزع الملك من يدهم موسى بن أبي العافية المكناسي الزناتي سنة 317.

وفي أواخر القرن الرابع كانت شالة عاصمة ملك الإفرانيين فاستفحل عمرانها أيام ولايتهم ولا سيما أوائل القرن الخامس بعد العشرين لما تولى على بني يفرن تميم ابن زيري الإفراني المعروف بأمير شالة القائم على حمامة بن المعز المغراوي والغاصب له ملك فاس مدة خمس أو سبع سنين كما في الاستقصاء وغيره.

وفي عهد المرابطين تجددت الحروب بينهم وبين البرغواطيين الكفار فكانت تسمح لهم مساجلة المحاربة بالهجوم على شالة إلى أن تمكنوا من تخريبها مرارا وكان المرابطون يجددون بناءها حيث كانت لديهم حصنا حصينا ومركزا من أهم مراكزهم المنيعة لكن العمارة بها لم تعد كما كانت من قبل ولو بعد انكسار البرغواطيين وفشلهم النهائي في حدود الخمسين من القرن الخامس على يد أبي بكر اللمتوني الذي اثخن فيهم قتلا وسبيا حتي استأصلهم وبرءوا من المجوسية أو الإباحية التي شرعها لهم زعيمهم المتنبي الكذاب صالح بن طريف البرغواطي منذ سنة خمس وعشرين ومائة. وفي أثناء هذا التاريخ زارها الشريف الإدريسي ووصفها في كتابه الجغرافي بأنها خراب وبها بقايا بنيان قائم وهياكل سامية ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزروع ومواش لأهل سلا الحديثة هـ وبنحو هذا وصفها أيضا من زارها قبله من أهل المسالك كالبكري وابن حوقل البغدادي وكذلك من زارها بعد كصاحب الاستبصار وغيره ولما جاء دور الموحدين وبنو الرباط اشتد ضعف عمارة شالة بانتقال أهلها إليه لخرابها وعمارته وقدمها وجدته وانتقلت إليه سائر حرفها وصنائعها تبعا لانتقال أهلها فكان في ذلك القضاء على شالة وعمارتها

لولا أن يعقوب المنصور وفق للمحافظة على ما بقى من رمق العمران بها بل زعم بعض مؤرخي الإفرنج أنه بنى بها مسجدا لطيفا ثاني المسجدين فيها وحصنا عظيما جعله مقرا لجيوشه ومستشفى كبيرا لذوي العاهات والأمراض وعندما جاء بنو مرين وشاهدوا ما آل إليه أمر شالة من الاضمحلال والخراب والاختلال سعوا في تجديد كثير من بناءاتها وأداروا أسوارها التي لا تزال قائمة ماثلة للعيان حتى الآن ثم اتخذوها مدفنا لاعيانهم وصيروها حرما مقدما ومآوى محترما يأوي إليه الفضلان والعظماء وبنوا فيها قبابا رفيعة صاعدة في الجو جعلوها على أضرحة ملوكهم وزخرفوها بأنواع النقش والزخاريف والتمويه وعلى الجدران رسموا كتابات تشتمل على آيات قرآنية وأمداح ومراث لمن دفن بتلك الأضرحة ووقفوا عليها بعض الأوقاف الحبسية وعلى إطعام الطعام لمن يأوي إليها من الفقراء والغرباء وقد كان من جملة تلك الأوقاف التي حبست على إطعام الطعام الحمام الجديد المعروف بحمام العلو بالرباط كما وجد ذلك أثر لأبي عنان في مضمون التحبيس المنقوش على الرخامة التي اكتشفت في هذه الأيام ملصقة بجدار القوس الوسط من صحن الجامع الأعظم الرباطي حين إصلاحه الأخير وهذا نص ما وجد الحمد لله حق حمده مما حبسه مولانا الخليفة الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو عنان ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق تقبل الله عمله وبلغه في نصر الإسلام أمله الحمام الجديد برباط الفتح حرسه الله على ضريح مولانا المرحوم والدهم رضوان الله عليه وإطعام المساكين بشالة عمرها الله تعالى وذلك في عام خمسة وخمسين وسبعمائة عرف الله خيره هـ واستمر حال شالة على ما وصفنا إلى زمان انقراض الدولة المرينية وقتما ثار أحمد اللحياني الورتاجني المريني على عبد الحق أخر ملوك بني مرين وملك مكناسة نحو عشرين سنة وتعدى أمره إلى العدوتين فعمد إلى شالة ونهب خزائن كتبها وحمل ما فيها من المصاحف المحلاة والتحف المحبسة على أضرحتها وهدم وخرب وفرق ذلك الجمع الذي

كان بها من الطلبة والسدنة والقومة الذين كانوا مجتمعين لتلاوة القرآن من تلك المصاحف الكريمة قياما بوظيف الحبس.

ومن أجل ذلك هجرت زاوية شالة وجفاها ساكنها وذهبت محاسنها وأقفرت أماكنها وصارت بعد ذلك في حكم القصبة مسكونة بأخلاط من الناس هم إلى البداوة أقرب منهم إلى الحضارة يسكنون في بقايا إطلال بالية وديار خالية وجدران مائلة وآثار ماثلة.

ديـار عليهـا مـن بـشاشة أهلهـا　　بقايـا تـسر الـنفس إنـسا ومنظـرا
تسرك طورا ثم تشجيـك تـارة　　فترتاح تأنيسا وتشجـي تذكـرا

وفي كتاب نزهة الناظر لسيدي أحمد بن عبد القادر والفهرسة لأبي الحسن العكاري الحفيد الرباطي والمسالك لليون الإفريقي الغرناطي ما يفيد أن شالة كانت عامرة أوائل القرن الثاني عشر بعد الألف بل في تاريخ الضعيف الرباطي التصريح بأن بعض العمارة بها استمر إلى صدر القرن الثالث عشر أيام المولى يزيد بن محمد بن عبد الله عندما شق عليه عصا الطاعة أعراب الصباح الذين كانوا نازلين بأحواز الرباط فوجه إليهم عامله ابا يعزى القسطالي مع قبيلة بني حسن وعبيد البخاري والوادايا والبرابر فاستأصلهم ثم مكن العبيد من شالة وأمرهم بالدخول إليها فوجدوها مملوءة بالإبل والبقر والغنم والقطائف والزرابي والنحاس والعبيد والخدم والزرع فغنموا ذلك كل وهدموا البقية الباقية من ديارها وأخذوا أموال الساكنين بها وفعلوا من الشناعات بالأضرحة هناك ما يخجل القلم من ذكره وبهذا كان اندثار شالة وخرابها النهائي فلم يبق من معالمها ومراسمها إلا ما صار مرعى للمواشي والدواب ووكرا للصدى والبوم والغراب وكان ذلك يوم الجمعة 18 ربيع عام 1205 ولله عاقبة الأمور.

الفصل الرابع
في تاريخ قصبة الرباط[1]

يرى بعض مؤرخي الإفرنج ممن علقوا على تاريخ ليون الإفريقي أن القصبة في عهدها الأول كانت حصنا حصينا بناه الرومان لغرض الدفاع عن مدينة شالة العتيقة وهذا إن صح دليل على تاريخ القصبة في القديم وربما يؤيده ما جاء في جغرافية تيسو صحيفة 233 من أن ما وجد من قديم الآثار بموضع الرباط يدل على أن بنايات شالة كانت تمتد إلى قصبة لوداية وفم الوادي.

أما مؤرخو الإسلام فغاية ما جاء عنهم في تاريخ القصبة لعهدها الأول أنها كانت قبل بنائها من جملة بقعة الرباط عبارة عن رباط يرابط فيه المسلمون بقصد الجهاد والغزو ضد البرغواطيين قال ابن حوقل وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون.

(القصبة في عهد اللمتونيين)

ثبت أن القصبة في عهد دولة المرابطين اللمتونيين أي في عهدها الثاني قبل أن تصير في شكلها الحاضر كانت قصبة صغيرة يسكنها رهط من صنهاجة وهل هي من بناء تاشفين ابن علي آخر ملوك المرابطين أو جده يوسف بن تاشفين خلاف بين ما جاء في مجلة البعثة العلمية الفرنسوية وبين ما جاء في كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية المنسوب لابن الخطيب (على ما في تلك النسبة).

---

1 – كل ما تضمنه هذا الفصل هو مجموع سلسلة مقالات كنت نشرتها تباعا على صفحات السعادة. ثم رأيت إدماجها هنا خشية الضياع ولما فيها من الفائدة العائدة هـ. مؤلفه.

(القصبة في عهد الموحدين)

هذا هو العهد الذي ظهرت به القصبة في شكلها الحاضر. وأدركت فيه من العز والمجد الغابر. بما أحرزته في ذلك الأوان. من المزايا التي تتفاضل بها البلدان كعز المنعة والشنعة. وحصن الصنعة والبقعة. ونضارة المساكن وحضارة الساكن إلى غير ذلك مما صارت به القصبة أجدر بقول ابن الخطيب في وصف مثلها بأنها اقتعدت فم الوادي كرسيا. ورفعها الله مكانا عليا. وقربت أبراجها وصوعدت أدراجها. وحصنت أبوابها. وعزز جنابها. ودار ببلدها السور والجسور. والخندق المحفور. إلخ.

على أن بناءها لم يكن له شكل مستقيم فليست مثلثة ولا مربعة وإنما بنيت على الصخور البحرية بحسب الهندسة الطبيعية التي يقتضيها الموقع الجغرافي للمصب. وكان عبد المؤمن أول ملوك الموحدين هو أول من اتخذها دارا وجعلها لتخت ملكه قرارا. فاختط بقعتها. وادار أسوارها. وفتح أبوابها. وأسس مدرستها. وشيد منارها. وبنى مسجدها الجامع وأجرى إليها الماء في مادة ممدودة إلى صهاريجها من نحو عشرين ميلا كما في الاستبصار وكان ذلك بعد رجوعه من فتح فاس سنة 540.

وأول ما بناه فيها قصره الفخيم. ثم ساباطه العظيم. المشار إليه في مقامة البلدان جعله ديوانا يجتمع فيه الوزراء الإعلام. وإيوانا يأوي إليه حملة السيوف والأقلام. ثم ندب خاصته للبناء حول قصره الغارة. فتسابقوا لإقامة المنازل وتشييد المنازه. وهي التي تسمى بقصور السادة في كلام بعض المؤرخين وكان منها ما بنى في الموضع المعروف باسم القصور في الرباط حيث الإقامة العامة بقى هذا الاسم عالقا من عهد الدولة الموحدية حسبما يوجد في الرسوم الأصلية ولم يزل عبد المؤمن صارفا وجه العناية نحو بناء القصبة على الشكل الذي وصفنا إلى أن تمت وصارت في حكم المدينة فسماها المهدية كان ينزلها كلما قدم إلى سلا وأراد

إبرام أمر أو تجهيز جيش كما أشار لهذا في معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبي الفداء وعبارة الأول (وفي غربي هذا النهر – يعني نهر أبي رقراق – اختط عبد المومن مدينة وسماها المهدية كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر أو تجهيز جيش) وعبارة الثاني (بنى عبدا لمومن أمام سلا من الشط الجنوبي على النهر والبحر المحيط قصرا عظيما واختط خاصته حوله المنازل فصار مدينة سماها بالمهدية ه).

والسبب في تسميتها بالمهدية على ما يظهر ما أرشد إليه صاحب كتاب المعجب من أن المهدي بن تومرت هو الذي أمر الموحدين بالبناء على ساحل البحر المحيط حيث القصبة والرباط وأشار لهم بأنه بذلك يفتح الله عليهم ويجمع كلمتهم إلخ فلما أحدثوا القصبة سموها المهدية عليهم بهذا البناء ولما أتموا بعد ذلك بناء الرباط سموه رباط الفتح تحقيقا لما أشار إليه المهدي المذكور من أنه سيفتح الله عليهم فيه وتذكار أيضا للفتح الأندلسي الذي بني الرباط من غنائمه وبعد كتبي لهذا وقفت على نص صريح في هذا المعنى جاء في كتاب المشترك وضعا المفترق صقعا لياقوت الحموي ولفظه (والمهدية أيضا مدينة قرب سلا في أقصى المغرب اختطها عبد المؤمن بن علي ونسبها إلى المهدي بن تومرت صاحبه القائم بالأمر هناك).

(ملاحظة)

هنا توهم البعض من مؤرخي الإفرنج أن تسمية القصبة بالمهدية وقع فيه التباس بمهدية معمورة لأنها هي التي تسمى بذلك وهو وهم (بالسكون) لا يخلو من هم (بالفتح) نشا من عدم العلم بما قلناه ونقلناه ومن عدم العلم أيضا بأن مهدية معمورة لم تكن تعرف بهذا الإسم وإنما كانت تسمى في القديم بحلق الوادي وبمعمورة فقط إلى أن هدى الله من فيها باتباع الراية الإسلامية سنة اثنين وتسعين وألف على يد فاتحها السلطان المقدس مولاي إسماعيل فسماها بالمهدية لذلك وقيل أنه لما حاصرها وضيق على جيش الإسبان الذي كان بها منذ سبعين سنة خرج إليه راهبها أو قائد جيشها في ثلاثمائة وستة أنفس مستسلما وبيده

مفاتيح المدينة جاء بها هدية للسلطان برهانا على استسلامه فأمنه السلطان وقبل هديته ثم دخل المدينة وسماها المهدية لذلك ولا منافاة بين العلتين فإن النكات لا تتزاحم. أما قصبة الرباط فتسميتها بذلك قديمة من لدن تأسيسها كما علمت آنفا ثم تنوسي اسمها القديم وبقيت تعرف باسم القصبة مضافة تارة إلى سلا قبل بناء الرباط وتارة إلى الرباط بعد بنائه إلى أن سكن بها جيش الأوداية فصارت تنسب إليهم وتعرف بقصبة الأوداية كما يأتي.

(الغرض من تأسيس القصبة)

الغرض من تأسيس القصبة يظهر للقارئ جليا من معرفة السبب الحامل للموحدين على اتخاذ القصبة داراً لملكهم ومرسى لفلكهم والسبب في ذلك هو صلاحية أرضها للرباط وحشد الجنود نظرا لأهمية موقعها الجغرافي وهو كونها على الشاطئ قريبة من بوغاز جبل طارق وفي نقطة الوسط بين فاس ومراكش وعلى مقطع الطرق لبلاد المغرب الجنوبية والشمالية التي يقطعها وادي أبي رقراق زيادة عن كونها في أرض غنية خصبة زكية التربة تساعد على تموين الجنود وتجهيز الجيوش إلى غير ذلك مما جعلها المركز الحربي الذي تؤمه الجيوش وترابط به العساكر للذهاب منه إلى بلاد الأندلس المحتلة برسم الجهاد والفتح ومحاربة الإسبان.

ومما يدل على الغرض المقصود للموحدين من تأسيس القصبة ما هو مكتوب على بابي الساباط من الآيات القرآنية المؤذنة بالجهاد والفتح كآية **(إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله وكان الله عليما حكيما)** كذا على باب القصبة القبلى مكتوب بالخط الكوفي وكتب على باب الشرقي **(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله إلى قوله وبشر المؤمنين)**.

(القصبة في عهد بني مرين)

لما دالت الدولة لبني مرين بقيت القصبة هي القصبة ومعدودة في نظر ملوكها خير عدة للطوارئ والطوارق ولا سيما في عهد المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق فقد كانت في أيامه أعظم نقطة حربية تغادرها الجنود وترجع إليها منصورة البنود واستمرت مدة عشر سنين من سنة أربع وسبعين وستمائة إلى سنة أربع وثمانين تمد قصر المجاز والجزيرة الخضراء بعددها وعددها إلى أن أتم المنصور مهمته من بلاد الأندلس بقهر العدو وتدمير قراره واكتساح ماله وتخريب معاقله وانتساف فواه.

(القصبة في عهد السعديين)

لما جاءت هذه الدولة لم يكن بينت القصيد عندها من عدوة الرباط سوى حلق الوادي وجعله من أهم مراسيها للمصادر والموارد وبذلك فقدت القصبة أهميتها التي كانت لها أيام الدولتين الموحدية والمرينية ولكنها ما لبثت بفضل موقعها أن استرجعت أهميتها بعد أفول شمس الدولة الذهبية دولة أبي العباس المنصور السعدي المعروف بالذهبي وذلك عندما قدمت جاليات الأندلس على ولده زيدان فاتخذ منهم جيشا جرارا جعل فرقة منه بالرباط لتحسينه وتحصينه وأخرى بالقصبة لحراستها وحماية العدوتين من القائم علي عبد الله بن الشيخ السعدي ثم رتب في القصبة عاملا من قبله يعرف بالزعروري. وبسبب هذا العامل وقع ما وقع من النفرة بين أهل الأندلس والسلطان زيدان إلى أن كان من أمرهم ما كان وإليك البيان.

جاء في التاريخ أن السلطان زيدان بعث مرة للقائد الزعروري أن يجهز إلى درعة أربعمائة من الأندلسيين أهل القصبة فجهزهم إليها وطالت غيبتهم بها إلى أن فر أكثرهم ونفرت قلوبهم عن الزعروري وسلطانه فكان زيدان يبعث إليهم بتجديد البعث إلى درعة فيأبون الانقياد إليه في ذلك وكرهوه وأزمعوا على خلع

طاعته ثم وشوا إليه بقائده الزعروري فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الأندلس داره وكتبوا إلى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة ونفاقا فبعث إليهم مولاه وقائده المملوك عجيبا فمكث بين أظهرهم مدة فلم يعبئوا به وصاروا يهزءون به ثم عدوا عليه فقتلوه وتولوا الحكم على أنفسهم باتخاذ عامل بين أشياخهم جعلوه تحت إشراف مجلس نيابي لمدة معينة ثم يجددونه بطريق الانتخاب كما كانت عادتهم بالأندلس حين استولى عليهم العدو وبقوا منعزلين عنه أياما قبل هجرتهم للمغرب.

ثم استفحل أمرهم لما تلاشت سلطة السلطان زيدان وأعياه أمر المغرب فأعرض عنه وصرف عنايته إلى ضبط ما خلف وادي أم الربيع إلى مراكش وأعمالها إلى أن توفي وتوارث بنوه من بعده سلطنته على ذلك النحو وبقي عبد الله ابن الشيخ السعدي يقطع الأيام بفاس إلى أن توفي وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيابها وبقي المجاهد أبو عبد الله العياشي قائما بأمر سلا وأعمالها ما عدا الرباط والقصبة اللتين كانتا تحت حكم الأندلسيين الذين تم لهم بفضل استعدادهم ومعارفهم القبض على زمام استقلالهم مدة مديدة تناهز الثلاثين سنة رغما عما كان العياشي من التشوف للاستيلاء عليهم إلى أن توفي العياشي وبقيت سلا بيد رؤسائها كالرباط والقصبة.

وهذا هو التاريخ الذي كان الحكم في العدوتين معا جمهوريا بحيث لم يكن جنوحهما للمخزن سوى صورية فقط وصار الأوروبيون أنفسهم لا يعتبرون من مملكة المغرب سوى مقاطعة سلا وكم لهم مع رؤساء العدوتين من معاملات تجارية ومعاهدات سياسية مازال التاريخ يحفظها وقفت على بعضها بإمضاء أربعة من رؤساء سلا والرباط وهم عامر بن محمد وأبو الطيب بن عبد الرحمن عبدون والحاج يوسف السنسياض والأمين سعيد أجنوى وذلك بتاريخ ثامن رجب عام ثلاثة وخمسين وألف كما وقفت على معاهدة أخرى بتاريخ ألف وستين 1060 وعليها إمضاء المذكورين ما عدا إمضاء عامر بن محمد ثم زيادة إمضاء عبد الله

القصري ومحمد بن عمرو والحاج محمد فنيش والحاج إبراهيم معنينو وإبراهيم الدك وأبو عزه بن محمد بن طلحة والحاج محمد الزبدي وكان عثوري على هاتين المعاهدتين بإيقاف من جناب العالم المستعرب المستشرق الأثري المسيو دو كاستري.

ثم رأيت له في تاريخه الموضوع في أصول التاريخ المغربي جملة رسائل أخرى من هذا القبيل منها ما هو مأخوذ بالفوتوغراف ومنها ماهو مشار إليه فقط وقد تنزل في تاريخه المذكور إلى شرح الحالة التي كان عليها أهل سلا وأهل الأندلس في عهد استقلالهم وجمهوريتهم فصرح بأن أسطولهم في ذلك الوقت كان يسطو على أساطيل البحار وقرصانهم كان الحكم العدل في تلك الأعصار وأن القوة البحرية التي أنشأها الأندلسيون كانت أشد تأثيرا على أوربا من القوة البحرية الجزائرية التي كانت للأتراك بالجزائر – قال – لأن المراكب الشراعية الأندلسية كانت أكثر عددا وأوفر مددا وكان بحارتها وعساكرها أشد جرءة وأزيد خبرة بالمراوغة البحرية وبفنون الملاحة والرماية ثم عرج المؤرخ في كتابه المذكور على ذكر الوقائع البحرية التي كان يقوم بها الأندلسيون الغزاة المعروفون عند الإفرنج باسم لصوص البحر أو لصوص سلا فذكر أن هؤلاء اللصوص هم من أهل الأندلس ساكني القصبة وذلك أنهم لما استقلوا بأنفسهم وأنشؤوا أسطولهم صرفوا عزمهم إلى التضييق على أهل أوربا وشن الغارات عليهم.

أما الأوروبيون فقد حسبوا لذلك ألف حساب وكثيرا ما حاولوا سد البواغيز في وجوه أولئك الغزاة فلم ينجحوا واضطروا لإيفاد الرسل من قبلهم لتقرير أسباب الهدنة والصلح وافتداء الأسارى منهم بالأموال والمدافع وغيرهما مما زاد في طينتهم بلة حتى صاروا أصحاب ثروة طائلة وقوة هائلة وكان لهم بالقرب من جامع حسان معمل خاص لصنع المراكب القرصانية والآلات الحربية وكانت هولاندة الدولة البحرية في ذلك الوقت تساعدهم كثيرا بما يحتاجونه من آلات وأدوات وعملة وصناع ولم يكن استعدادهم أول الأمر إلا من أجل شن

الغارة على إسبانيا عدوتهم وكم حملوا عليها من حملات شعواء أقلقت راحتها وأقامت نياحتها ولكنهم ما وقفوا عندها بل جاوزوها إلى كثير من بلاد أوربا فغنموا من المراكب والسفن البحرية ما تجاوز المئين ومن الأسارى والسبايا ما قدر بالآلاف ومن النقود الذهبية ما عد بالملايين بل صرح المسيو دو كاسترى بأنه من عام 1618 إلى عام 1626 مسيحي أسروا من الفرنج ستة آلاف نسمة وأخذوا من الأموال خمسة عشر مليونا ليبرة ومن عام 1629 إلى عام 1639 أخذوا نحو السبعة والعشرين مليونا دوكا وغنموا في مدة عامين فقط أربعين مركبا كانت بسواحل أوربا تصطاد الحوت إلى غير هذا مما ألم بذكره في شرح لصوصيتهم ووقائعهم الخارجية، ثم تنزل بعد ذلك لذكر الوقائع الداخلية التي كانت تقع تارة بين أهل القصبة وأهل الرباط، وتارة بينهم وبين العياشي أمير سلا وذلك ما أتينا على ذكره في فصل حوادث الرباط الآتي بحول الله.

ومنه تعلم أن القصبة كانت أحيانا مستقلة بنفسها تماما حتى عن الرباط وأياما محالفة للرباط ضد العياشي وآونة محالفة لسلا ضد الرباطيين وأوقاتا كانت من جهة المخزن تابعة للأشراف السعديين أو السادة الدلائيين. وسيأتي.

(القصبة في عهد الدلائيين)

رأيت أن اقتصر في هذا الفصل على ما جاء في رحلة مويط الفرنساوي الأسير بسلا عام 1670 فقد ذكر في الفصل الثاني عند كلامه على مدينة الرباط وقفت على ترجمته وإليك ذلك.

قال صاحب الرحلة وقد كانت هذه المدينة (يعني الرباط) جمهورية مستقلة سنين عديدة وذلك منذ طرد ملك الإسبان لجالية الأندلس من غرناطة بسبب ما أثاروه من الفتن عيه ولما وصلوا إلى سلا عقد تلك الفتن وكانوا يريدون أن يعيشوا أحرارا مستقلين ورأوا أنفسهم أكثر عددا وأشد قوة من سكان سلا الأهليين أرغموهم على عدم الاعتراف بأي سلطان كان وخلع طاعة الملوك

الوقتيين كابن أبي بكر الدلائي الذي كان دخل إلى بلادهم ووعدهم ببيعته فحاصروا ابنه عبد الله أمير القصبة ومع أن عمره إذ ذاك لم يتجاوزه خمسة عشر، عاما فقد قام بالدفاع أحسن قيام مظهرا للشجاعة والشهامة بضع سنوات وكان يعينه على ذلك ملك البرتغال والدوك مدينا كلي سينيورد بورسانط موي قرب قادس ويمدانه بالميرة والسلاح ويبعثان إليه بالسفن المشحونة بالذخائر الحربية والأقوات لأن أباه ابن أبي بكر كان قد وجه سفراءه إلى اصبانيا والبرتغال مستندا بهما وحيث كان مدخل الواد ممنوعا على أهل سلا بسبب أشراف القصبة المحاصرة عليه وكان أهل البادية يعادونهم حصلت الشدة في المعيشة وقلت الأقوات لديهم فجلب إليهم عدد من التجار المسيحيين سفنا مشحونة بالقمح وأنزلوها على الساحل الكائن ما بين المعمورة وسلا فربحوا بذلك أموالا طائلة لأن الأندلسيين المهاجرين كانوا يشترون القوت منهم بما جلبوه من الحلي والجواهر التي جاءوا بها من الأندلس فاستولوا على ثروتهم بسبب ذلك ولما اشتد الحصار على الأمير عبد الله طلب المخابرة مع رئيس سفينة إنكليزية وردت إلى أمام القصبة ووعده بتسليمها له بشرط أن يدفع ملك إنكلترا لأبيه ألف قنطار من البارود مع ألف مكحلة فقبل الرئيس الإنكليزي المذكور ونزل إلى القصبة مع مائتين من بحارته وعزم على تركهم هناك محتلين لها ويبقى معهم حتى يوجه إلى انكلترا سفيرا يتذاكر مع حكومته فيما راج بينه وبين الأمير عبد الله فأقام بالقصبة من الأربعة إلى الخمسة أيام ولكنه لم يجد ما يقتات به هو ومن معه فيها مدة انتظاره لرد الجواب من حكومته، فقال حينئذ للأمير عبد الله أنه سيتوجه بنفسه ويتذاكر مع ملك انكلترا فيما طلب منه. ولما ركب البحر ورجع إلى سفينته بمن معه ضيق الأندلسيون على الأمير وأخذوا بمخنقه وألزموه الخروج من القصبة والتخلي عنها وأن لم يرحل عنها أوقدوا لغما كانوا قد حفروه له تحت القصبة وهدموها عليه وكان الذي صنع اللغم المذكور أسير طلياني بعد ما لين الصخور بصب الخل عليها وأتقن ذلك غاية الاتقان لأن أهل الأندلس وعدوه بإطلاق سراحه أن نجح في عمله. فلما بلغ الأمير عبد الله ذلك وجه رجلين من خاصته ليشاهدا

اللغم المذكور ويخبراه بكيفيته، فرفعا إليه وأعلماه بأنه إن لم يبادر بالتسليم سقطت القصبة عليه وهلك هو ومن معه فتخابر حينئذ مع الأندلسيين وتصالح معهم وقبلوا مطالبه التي منها تسليم الطلياني صانع اللغم إليه فقتله شر قتلة ولما خرج من القصبة عقد الأندلسيون مؤتمرا للمذاكرة في مصالحهم وكان أهل الحل والعقد منهم حينئذ من نقلت إلينا أسماؤهم وهم الحاج عبد الله فنيش وأحمد سنتياك، وهما الرئيسان ومرينو، وسكورضوس، والزهراء، وابن طوجا، والزبدي، والتونسي، والقرطبي، وبلانسيانو، وبلانكو، ومنينش، وجمع وافر لم نذكر أسماءهم والكل من أعيان ووجوه العدوتين.

فاقتضى نظرهم جميعا أن يحفروا خندقا حول القصبة تحصينا لها وقدروا لذلك نفقة وتذاكروا في كيفية إجراء الأشغال وعجلوا بتنفيذ ذلك فكان يعمل في ذلك الخندق كل يوم ما يزيد على 500 رجل واستمر العمل فيه مدة أشهر ولكن صعب الأمر من الجهة القريبة من البحر لأنهم أجبروا على نحت الصخور وصرف الوقت في معالجة هذا العمل الشاق وقصرت بهم النفقة فامسكوا عن العمل وقد وقفت على أثر هذا الخندق ورأيته غير تام وبقيت الحكومة الجمهورية على ما ذكرنا إلى أول خلافة مولاي الرشيد.

(القصبة في عهد الدولة الشريفة)

قد علمت ما كان لقصبة الرباط الأثرية. من المجد التاريخي في عهد صولتها عهد الجمهوريين من الأندلسيين والغزاة المعروفين عند الإفرنج باسم اللصوص البحرين ولم تزل القصبة مستقلة ضد السعديين والعياشيين والدلائيين إلى أن أشرقت عليها شمس دولتنا الشريفة وجاء السلطان المظفر المولى رشيد بن المولى الشريف العلوي فشملها برشده وأدخلها تحت حكمه سنة 1079 بعدما وحد كلمتها مع الرباط وسلا و أعاد الأمن والسكينة إلى نصابها بين المدن الثلاث حتى صرن في حكم المدينة الواحدة تحت ظل راية دولته وقيادة عامله السيد عبد القادر مرينو الأندلسي بالرباط والقائد الحاج محمد فنيش بسلا وفي بعض قدماته إلى

الرباط أمر بتوسيع نطاق القصبة والزيادة في سورها الذي لم يكن يبلغ امتداده من القبلة سوى مائة وثمانين ميطرا ثم جعل في حده برجين مازالا قائمين إلى الآن على ما جاء في كتاب أصول التاريخ المغربي للمسيو دو كاستري وهذا السور هو المحيط الآن بالمحل المعروف اليوم بالمدرسة جوار القصبة وما عداه من البناء كله من آثار السلطان المقدس مولاي إسماعيل حسبما تنطق بذلك الكتابة الموجودة بصفحة قناطر حلقة الدار التي ابتناها هناك مع المسجد والحمام محلا لإقامة خليفته بالعدوتين ونص الكتابة (الفتح المبين والنصر المكين لمولانا إسماعيل أمير المؤمنين).

وإنما أطلق عليها اسم المدرسة استصحابا لأصل المحل الذي كان مدرسة قديمة لتعليم فن الملاحة ولذا جاء في منشور إدارة الآثار أن الظاهر من آثار هذه المدرسة أنها أقدم من أبنية يعقوب المنصور باني الرباط وهي عبارة عن مدرسة لعلم الملاحة دخلت عليها بعض الطوارئ فأحدثت فيها تشويها وتحريفا في نسق صناعتها حتى صار يصعب على المتأمل الخبير أن يعرف بكل تدقيق الزمن الذي بنيت فيه هـ.

وقد اهتمت الإدارة المذكورة بهذه المدرسة فضمتها مع القصبة إلى جملة المآثر التاريخية القديمة بالرباط بعدما مدت فيها يد الإصلاح في القاعة المشرفة على العرصة والجدار النافذ الذي كان متداعيا مع تنظيف السقوف وتبديل بعض الأخشاب وفتح بعض النوافذ هناك وترميم المسجد وجعل البناء المجاور له ردهة لعرض بعض الآثار الجميلة وكان سكان القصبة اتخذوا حمامها محلا للسكنى فأخرجوا منه إلى منازل أخرى بالقصبة وأعيد الحمام إلى ما كان عليه بعد إصلاحه وفرشه بالرخام وهو اليوم من ألطف حمامات الرباط شكلا وأجمعها لشروط النظافة والاستحمام وكانت الدار وما حولها مشوهة بأزبال الخيل وكثرة المطابخ والأروية ووجد داخلها مقطوعا بعوارض من خشب العمل الذي يشير إلى ما كان يوجد بها من بيوتات السكنى فاهتمت الإدارة بنزع تلك الحواجز والعوارض إلى أن ظهرت المدرسة في جمالها التاريخي وشكلها القديم في العهد

الرشيدي والإسماعيلي. ولما اتخذها مولاي إسماعيل محلا لإقامة خليفته عمر القصبة.برهط عبيد[2] فلان أنزلهم إدالة وزاد في القصبة زيادات أخرى استفدناها من ترجمة رحلة مويط الفرنساوي الأسير بسلا لهذا العهد وقد وصف القصبة بما شاهده وصفا كاشفا رأيت من الفائدة نقله هنا برمته وهذا نص المراد من ترجمته قال ويوجد بالرباط قصبتان جديدة وقديمة أما القصبة القديمة فهي التي تقدم ذكرها فيما سردناه من الحوادث وهي مبنية على مصب نهر أكرو بدون فاصل وأسوارها شاهقة جدا من الجهة الموالية للوادي ومبينة فوق الصخور البحرية وقد بنيت دار القائد في ذروة القصبة وهي مكشوفة لرمي المدافع وليس لبناء هذه القصبة شكل مستقيم فليست مربعة ولا مثلثة بل بنيت على حسب المكان الطبيعي الموجود هنالك وقد بنيت الأسوار الموالية للنهر بالصخور المنحوتة المربعة وزاد فيها المولى إسماعيل من الجهة المذكورة أبراجا مربعة الشكل تمتد تلك الأسوار إلى جهة القنانيط ويوجد في هذه القصبة أمام الباب العظيم الذي عليه دفف بالية حصن مرتفع فيه مدافع موجهة نحو المدينة وتحت الجهة الموالية للبحر يوجد بستيون مبنى على الصخور مسامت للمصب وفيه خمسة مدافع بقصد حماية السفن المرسية بالوادي وتسهيل دخول القراصين الملتجئة إلى النهر المذكور إثر مطاردتها مع السفن المسيحية، وحيطانه من جهة البحر ليست مرتفعة ويمكن تسلقها بسهولة وداخله معمور بالتراب والزبل. ويوجد في هذه الجهة أيضا ما يقرب من عشرين مدفعا من العيار المتوسط بقصد الدفاع عن القصبة من البحر. وفي هذه الجهة يوجد السرداب ذو الدرج المؤدي إلى البحر ويسلك منه إلى البستيون الذي وصفناه إلى البحر ويطلع منه إلى وسط القصبة وليس فيها ماء للشرب عدا ما يجمع من ماء المطر في المطافي وفيها مطفية كبيرة بالقصبة يجمع فيها ماء المطر المنصب على أسطحة الدور، وبها آبار قليلة وماؤها غير عذب وتورد منه البهائم. وأما القصبة الجديدة فهي التي توجد في جنوب غرب المصب أسسها المولى الرشيد وهي مربعة الشكل وعليها أبراج حصينةوأسوارها ذات شرفات

2 – فلانة موزن رتانة رهط من السودان.

جميلة ويسلك منها إلى الأخرى بحائط مرتفع عليه برجان مبنيان على أقواس ويسلك من تحت إحداهما إلى البحر وكان فيها وقت كوني بسلا اثنا عشر مدفعا من النحاس مختلفة العيار هـ المراد ولم يذكر الدار وما حولها من الآثار الإسماعيلية التي أشرنا إليها آنفا فلعلها أحدثت بعده كما لم يذكر من كان يسكن القصبة القديمة لعهده وقد قلنا إنها كانت في ذلك العهد معمورة بالعبيد نزلوا إدالة بها وبقيت في يدهم إلى أن بعث السلطان المولى عبد الله ولده الأكبر المولى أحمد للرباط نائبا عنه بها فجاءها ونزل بالقصبة وانضاف إليه عبيدها واستمر خليفة بها إلى أن سمع أهل العدوتين ما عامل به الرحامنة سيدي محمد بن عبد الله خليفة مراكش فجرى هؤلاء على سننهم واتفقوا على طرد المولى أحمد ابن عبد الله عن بلادهم فتقدموا إليه بالحرب وحاصروه بالقصبة ومعه عبيد فلان وقطعوا عنهم الميرة والماء إلى أن مسهم الجهد وعضهم الحصار فطلبوا الأمان أن يخرجوا بأنفسهم فأمنوهم وخرج المولى أحمد فارا بنفسه ولما خرج عمد أهل الرباط إلى عبيد القصبة فأنزلوهم منها وفرقوهم بالمدينة حتى لا تبقى لهم شوكة ولا عصبية وكانت هذه الحادثة من أعظم الأسباب التي أوغرت قلب السلطان سيد محمد بن عبد الله على أهل الرباط حتى هم بعد سلطته سنة 1187 بنفيهم من بلادهم إلى ثغر الصويرة فاستفتى في ذلك علماء فاس فلم يسوغوا له ذلك حسبما في أواخر الجزء التاسع من المعيار الجديد صفحة 355 لشيخنا مفتي الديار المغربية قدس الله روحه.

ولما جاء السلطان سيدي محمد بن عبد الله أثر مبايعته إلى الرباط نظر إليه نظر اهتمام واغتباط وشاءت همته أن يتخذه لملكه دارا ولنفسه قرارا فأشار ببناء داره الكبرى بأكدال الذي انتهجه طرقا وفصله أزقة ودورا وحوانيت ومساجد لمن أنزلهم هناك من العبيد والحرس بقصد حراسة داره كما جاء تفصيل ذلك في تاريخ الضعيف الرباط ثم أجرى يد الإصلاح في المدينة وفي كثير من مساجدها وأبراجها وصقائلها ولا سيما قصبتها التي هي موضوع كلامنا فقد أصلح ما تهدم منها وبنى فيها بستيونا يقابل سلا وآخر يقابل البحر يسمى برج خنزيرة وجعل في الساباط بيت المال أحكم بناءه وجلد بابه بالحديد كما جدد باب القصبة وتناول

كل فاسدة وبالية بالإصلاح والتجديد ثم عمرها بالعبيد الذين كانوا معه بالمنشية وبهم عادت القصبة لإدالتهم من جديد وكان قد فرق على الثغور باقي عائلتهم توهينا لعصبيتهم ودفعا لعائلتهم.

وكان المولى يزيد أيام خلافته كثيرا ما ينزل بينهم في القصبة كلما قدم للرباط في جملة الثغور التي كان والده يوجهه إليها ليقف على الملازمين لصقائلها وأبراجها ويعلمهم بنفسه ما يحتاجون إلى تعلمه حيث كان خبيرا بفن الرماية ولوعا بصناعة الرمي بالمهراس وفي بعض قدمائه هم ببناء دار له في القصبة فأخذ في تأسيسها وتخطيطها ولكنه كما قال ابن الخطيب في مثله (هم وما أتم) وماز الت رسوم داره ظاهره إلى الآن معروفة بدار مولاي اليزيد ولما خرج جيش الودايا على السلطان مولاي عبد الرحمان وظفر بهم في خبر طويل قطعهم في الأرض أمما فنقل منهم أهل السوس إلى الرباط وأنزل حلتهم بالمنصورية على شاطئ وادي النفيفخ وقوادهم ووجوههم بالقصبة الرباطية التي صارت من هذا الحين تنسب إليهم وتعرف بقصبة الودايا كما هو اسمها اليوم وكان القائد عليهم أبا العلاء إدريس ابن حمان الجراري الشهير جد آل الجراريين الموجودين بالرباط وبعد وفاته تولى قيادة القصبة مكانه ولده القائد الجيلاني وبعده انتقلت من بيت الجراريين بولاية القائد حمان بن عبد الله المطاعي الأودي ولم يدم طويلا في ولاية القصبة بل استعجلته المنية قبل إدراك الأمنية وبوفاته عادت قيادة القصبة لبيت الجراريين فأسندها السلطان مولاي عبد الرحمان إلى محل ولده القائد محمد بن إدريس الجراري والد صديقنا باشا آسفي الحالي وحبيبنا الكاتب الأول بوزارة الأحباس.
ودام القائد محمد بن إدريس في ولايته على القصبة نحو أربعة أعوام متوالية ثم بعثه السلطان لمراكش للالتحاق بخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمن وولي على القصبة القائد محمد بن الشرقي الأودي ثم تولى قيادتها من بعده القائد الحاج الطيب بن الجيلاني الامطاعي المعروف بولد الخيمة ثم ولى عليها من بعده القائد الجيلاني بن الشرقي نجل القائد محمد بن الحاج الأودي وبعده رجعت قيادة القصبة ثالثا إلى بيت الجراريين فتولاها القائد الحاج علال بن القائد إدريس

المتقدم وبعد وفاته تولاها أخوه القائد المهدي بن إدريس دام في ولايته ثمان سنين ثم خلى عنها واستخدم بدار المخزن أيام خلافة مولاي عبد العزيز وولى مكانه القائد قاسم بن بوعزة الزيرادي الأودي وبقي بها إلى أن قبض عليه آخر سلطته مولاي عبدالعزيز. وجاء في محله القائد إدريس ابن العربي الصويني الجراري. وفي العهد الحفيظي أطلق سراح القائد قاسم وشرك هو والقائد إدريس في الولاية على القصبة وقبيلة الاوادايا وداما كذلك إلى أن توفي القائد قاسم فاستقل القائد إدريس وحده بولايته وهو قائد الوادايا الموجودين بحوز الرباط خاصة.

وأما القصبة فقد أضيفت بعد نشر الحماية إلى عمالة الرباط فصار العامل عليها وعلى فرقة الأودايا الموجودين بها هو عامل الرباط وهو اليوم سيادة الباشا المحترم الفقيه السيد عبد الرحمن بركاش أيده الله على أن القصبة في العهد الحاضر لم تبق كما كانت عليه سابقا خاصة بسكنى الودايا بل صار يسكنها كثير من الرباطيين والفرنساويين وأحدثت فيها عدة ديار من الطرز الحديث مع بعض المكاتب الإدارية ولا سيما بعدما مدت لها إدارة الآثار يد الإصلاح في داخلها وخارجها وكذلك في أحد بابيها الذي كان مغلقا من عهد قديم ففتحته وأعادت إليه بهجته ورونقه وأقامت لافتتاحه احتفالا شائقا حضره سعادة المقيم العام وحاشيته وألقيت بهذه المناسبة خطب عربية وفرنساوية وكان ذلك في يوم الجمعة غرة عام 1915 موافق 9 صفر عام 1333. وفي هذا الافتتاح أنشأ حبيبنا الشاعر الأستاذ محمد معمري قطعة شعرية لتنقش بواجهة الباب المذكور رأيت أن أختم بها هذا الفصل بيد أن تاريخها وقفة من جهة أن كلمة (سلام) بحسب الجمل عندنا[3] تعد بثلاثمائة وواحد وسبعين لا بمائة وواحد وثلاثين كما في الرقم والخطب سهل فإن الشعر ريحانة لا تفرك وإنما تشم قال حفظه الله على لسان الباب.

---

3 – 300 31 40 – 371 300 31

وهذا اصطلاح المغاربة. أما في اصطلاح جماعة منهم الإمام الغزالي فالسين بستين 60 31 40 – 131.

أيا واقفا بالرحب عـــج بي مسلمـــا

أشاطرك آيات التعجـــب أسهمـــا

فقد كنت في عصر مضى موئل الشجى

أردد أنفـــاس الكآبـــة مسقمـــا

وصرت بحمد الله بـــاب سعـــادة

أرى كل يـوم للســـرور معالـــما

بفضل أمير شيـــد الحـــق مجـــده

وأسكنــه في العز بيتـــا مدعمـــا

أمير النهى شمس المغارب يوســـف

وشبل العلى بدر الدجى حمى الحمــى

وكان له عونا بجبـــر مكاســـري

مقيـــم فرنســـا بالربـــاط مخيمـــا

ليوطي همام قـــد عـــلا بمحامـــد

وقارن مثواه من الـفــخـر أنجمـــا

فعدد له فضل الجمـيـــع مــؤرخـــا

ســـلام لمن يعلي مـــناري تكرمـــا

661 301 120 120 131

1333

الفصل الخامس
في تاريخ مدينة الرباط

كان الرباط قبل بنائه مربطا لجيش ملوك الإسلام المترددين على فنائه ولا سيما جيوش المرابطين الذين كانوا يجاهدون ضد البرغواطيين قال ابن حوقل في مسالكه عند ذكر وادي سلا وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة يعني شالة قد خربت والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها يعني رباط الفتح ثم قال وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون هـ وكانت العمارة لا تعرف إلا في شالة وسلا ولما جاءت دولة الموحدين كان أول ما أحدثوه في هذه البقعة الرباطية قصبة الرباط الأثرية ثم مدينة الرباط أسسها يوسف وشيدها يعقوب قال في كتاب المعجب وقد بنى المصامدة على ساحل البحر مما يلي مراكش مدينة عظيمة سموها رباط الفتح كان الذي اختطها أبو يعقوب يوسف بن عبدالمومن وأتمها ابنه يعقوب وقيل إنما بنوها بأمر ابن تومرت أيّاهم بذلك وذلك أنه قال لهم تبنون مدينة عظيمة على ساحل هذا البحر يعني البحر الأعظم ثم يضطرب أمركم وتنتقض عليكم البلاد حتى ما يبقى بأيديكم إلا هذه المدينة ثم يفتح الله عليكم ويجمع كلمتكم ويعود أمركم كما كان إلخ كلامه وقال أيضا في ترجمة المنصور الموحدي لأول بيعته ما نصه ولما استوثق أمره على ما تقدم عبر البحر بعساكره وسار حتى نزل مدينة سلا وبها تمت بيعته واستجاب له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المومن بعدما ملأ أيديهم أموالا وأقطعهم الاقطاعات الواسعة ثم شرع في بنيان المدينة العظمى التي على ساحل البحر والنهر من العدوة التي تلي مراكش وكان أبو يعقوب رحمه الله هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدا في بنيانها فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها إلى أن قال فتمت في حياة أبي يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعمر كثير منها وهي مدينة كبيرة جدا تجيء في طولها نحو الفرسخ وهي قليلة العرض ثم خرج بعد أن رتب أشغال هذه المدينة وجعل

عليها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها وما يصلحها فلم يزل العمل فيها سنة طول مدة ولايته إلى سنة خمس مائة وأربع وتسعين.

وقال صاحب القرطاس خلال التعريف بالمنصور ما نصه وكان لما جاز إلى الأندلس لغزوة الأراك المذكور أمر ببناء قصبة مراكش وببناء الجامع المكر م الذي بإزاء القصبة وصومعته وببناء منار جامع الكتبيين[1] وببناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا وببناء جامع حسان ومناره هـ.

وقال أيضا وفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بنى رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه الخ.

وقال ابن الأثير بني يعقوب المنصور مدينة محادية لسلا من أحسن البلاد وأنزهها.

وقال ابن خلكان إنها مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناها على البحر المحيط الذي هناك وعلى نهر سلا مقابلة لهما من البر القبلي.

قال ابن الخطيب في مقامة البلدان وقابلها الرباط الذي ظهر به من المنصور الاغتباط. حيث القصبة والساباط. ووقع منه بنظيره الاعتباط. فاتسع الخرق وعظم الاشتطاط. وطلل حسان المثل في الاشتهار. هـ

وقال صاحب كتاب الاستبصار. في عجائب الأمصار. ما نصه وأمر الخليفة أبو يعقوب رضى الله عنه ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين وفي هذه المدينة المحدثة قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها إذ وضعها على المجاز والمعبرة على حضرة مراكش كلأها الله وعلى هذا المعبر قنطرة[2] مركبة على

1 – أي بإتمام بناءها وتشييدها وإلا فالذي اختطها وأمر ببناءها أولا هو والده أبو يعقوب.

2 – لا أثر لها الآن.

ثلاث وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يوثر فيه الحافز تجوز عليها العساكر والمسافرون وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل ويمد البحر فترتفع القنطرة فتغطي الجسر فتعوم عليه المراكب وترسى دونها الأجفان الكبار وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة المدخل هـ باختصار.

والحاصل أن بناء الرباط هو من الأعاجيب التي أجراها الله تعالى على يد هذا السلطان الأعظم الدالة على اتساع دائرة فكرته إذ قلما توجد مدينة على تلك الصفة إلا وواضعها رجل عظيم حاضري حكيم وقد أودع من بدائع الصنائع لديه ما لا مزيد عليه قال ابن خلكان ولما وصل المنصور إلى مراكش يعني بعد قدومه من الأندلس سنة أربع وتسعين وخمسمائة انتقل إلى مدينة سلا وكان قد بنى مدينة الرباط فطاف بها وتنزه فيها ثم رجع إلى مراكش هـ بتصرف.

قال في الاتحاف وكان إنفاق المنصور على هذه المدينة من بيت المال ومن أخماس غنائم الروم ولما شاهدها فارغة ندم على بنائها وعلى إتلاف تلك الأموال في الماء والطين وظن أنها لا تعمر وبقي ذلك في خاطره حتى حضرته الوفاة فصرح بذلك لكن بعده انتقل إليها غالب أهل شالةوعمروا بعضها ولم تتسع عمارتها البالغة الغاية إلا عند استيطان أهل الأندلس بها عند خروجهم من الجزيرة بنفي العدو سنة سبع عشرة وألف فتفرقوا في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وخرج منهم بسلا طوائف عبروا الرباط فحصنوه وبنوا به القصور والدور والحمامات وبهم تمت عمارته وقصده الناس من القبائل والمدن القريبة وهو اليوم من أعظم أمصار المغرب وأحسنها بناء وأفسحها فناء وأكثرها سكانا وأرفعها مكانا وأبدعها جمالا وأعدلها كمالا وأعمرها أسواقا وأكثرها نفاقا وأوسعها تجارة وأكملها عمارة جمع بين أسباب الدين والدنيا والعلم والفتيا والوعظ والخطابة والتأليف والكتابة وذلك كما قال الشاعر :

بها ما شئت من دين ودنـــــيـــا   وإخوان تناهوا في الكـمــــال

(السبب في تسمية الرباط رباطا)

قلنا إن الرباط كان قبل بنائه عبارة عن بقعة فسيحة متسعة ينزل بها جيوش الإسلام ذهابا وإيابا فلكونها كانت رباط الملوك سميت بذلك وبقي هذا الاسم يطلق عليها حتى بعد بنائها مدينة وقيل فيها رباط الفتح تذكارا للفتح الأندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه ولأنه إنما بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين. فهو رباط الفتوحات والفاتحين ومعترك الجهاد والمجاهدين ومعبر العساكر والجنود ومركز تجهيز الجيوش ونشر البنود وقد كان أسطوله في تلك الإعصار يسطو على أساطيل البحار وقرصانه الحكم العدل قبل أن يسبق السيف العذل كما كان سيفه قبل تجريد النصل صاحب كلمة الفصل وهكذا كان الحال والوصف حتى المائة الثانية بعد الألف. وقد سبق ذكر ماهو مكتوب على بابي الساباط من قصبة الرباط تلك الآيات القرآنية المؤذنة بالجهاد والفتح والدالة على أنه إنما بني لأجل هذا الغرض والقيام بذلك الحق المفترض قيل وهناك دليل أثري آخر وهو ما يشاهده الناظر إلى منار حسان من الجهة الجوفية الموالية للبحر فإنه يشاهد صورة سيفين عظيمين قائمين منقوشين على باب الصومعة على شكل سيوف الجبابرة الأقدمين مشيرين بذلك إلى البحر ه ولهذا يقال إن كل من أقام به ناويا الجهاد والفتح يموت شهيدا وهو يكفي دليلا على فضله وشهيدا قال شيخ شيوخنا أبو إسحاق التادلي في موشحه :

جـادك الغيـث أيـا مـن ربطـا ... بربـاط الفـتح بـدر اهبطـا
وبـه راسي بغـرب سـقطا ... ولحـرف العلـم فـضلا نقطـا
كـل مـن قـد حـل فيـه مسلما ... ونـوى غـزوا بـه مـات شـهيد
حبـذا شـالـة به مستلمـا ... وربـاط الخيـل لي فيـه شهيـد

قلت وهنا دعوى لا تكاد تقوم عليها بينة كان بودنا أن لو تقاعس عن إثباتها صاحب كتاب الاتحاف الوجيز حيث قال ثم إنه لا يخفى على كل لبيب إن لكل شيء من مقتضى اسمه نسبة تشعر بشرفه وضده وقد جرب القدماء والمتأخرون

من الانشراح ووجدان السلو بهذه المدينة يعني سلا ما كاد عليه الاتفاق كما أنه يوجد بالرباط ضد ما يوجد بسلا وأنشد.

أرى القلب يسلو في سلا عن همومه

ويعروه ضرب في الرباط من القنـط

لأن سلا من السلـو اشتقـــاقـهـــا

كذلك الرباط اشتق أيضا من الربط

فانظره مع قول بعض الأدباء التونسيين والحق ما شهدت به الأكفاء من الأجنبيين. قال :

فــاق الربــاط قــرى الأيالــة كلهــا وكفـــاه فخـــرا اســـمه المقـــصود

فرنـــت إليـــه ســـلا بنظـــرة غـــائر مـــن بعـــد رقـــرق والحـسود حقــود

فأتى خطيــب يدعـــــي بكمالهـــــا كذبا وزورا والقضـــاة شـــهـــود

وكنت قلت :

حقيق سلا من السلو اشتقاقهـــا

وأن رباط الفتح يشتق من ربـــط

ولكن على ربط القلوب بـــوده

وربط الغزاة الفاتحين ذوي الربط

وهذا رباط الخيل في الذكر شاهد

لما فيه من فضل على مدي القنــط

ولله قول شيخنا وحبيبنا أديب فاس السيد أحمد بن المأمون البلغيثي في مدح الرباط.

ما رباط الفتـــح إلا لارتباط النفس يدعو
إن سلا أهل سلا فــــيه فقل ليـــس بـــدع

وأنشدني حبيبنا الشريف الأديب مولاي مبارك العلوي وأنا بمراكش الحمراء قوله

وما سمي الرباط إلا لربطه قلوب ذوي الآداب بعضا على بعض

وهذا كله إنما هو مجارات لما جرى به قلم صاحب الاتحاف الوجيز وإلا فسلا جارتنا لها مالنا وعليها ما علينا والحر من يرعى حق الجار ولو جار ولا ينبغي أن يتمسك بكلام الشعراء في هذا المجال. فإنما هو خيال. والواجب أن نشق عصا الشقاق. ونرضع أفاويق الوفاق. حتى نكون كأسنان المشط في الاستواء. وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء. بل يجب أن نكون في وحدتنا على حد قوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وفي اجتماعنا على حد قوله المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وبهذا تعلم أن جاء في كتاب الاتحاف. ليس بإنصاف. وإنما الانصاف قول بعض الفضلاء من الشعراء.

عـــج بالركـــاب إلى الربـــاط فإنـــه مـــأوى الـــسرور ومنـــزل الأفـــراح
أما سلا فالقلب عنها ما ســـــــلا وكلاهـــمـــا حســـن بغـيـر مـــــــزاح

بعض ما قيل في مدح الرباط

مناسبة لما ذكرناه في مدح الرباط. نعطر هذا البساط. بذكر بعض ما قيل فيه من الأناشيد ذات الأسماط والأنماط. فنقول أنشدني صاحبنا العلامة الأديب القاضي السيد أحمد الزموري وقد حل بالرباط قوله فيه مستجيزا.

رباط الفتح إنك ذو جمال — تطل على سلا ذات النضارة
وشكل سلا بجنبك مستدير — ولا تقلق فإن بك الإدارة

فأجزته أولا مذيلا بقولي :

وإن صالت بصولتها قديما — فإن بك الإمارة والوزارة
وإن طالت بإطلال حسان — فمن حسان تكفيك المنارة

وأجزته ثانيا مشطرا بقولي :

رباط الفتح أنك ذو جمال — (عريق في التمدن والحضارة)
(مبانيك التي طالت وصالت) — تطل على سلا ذات النضارة
وشكل سلا بجنبك مستدير — (حكى من معصم الحسنا سواره)
(فقل يا حسن شكل مستدير) — ولاتقلق فإن بك الإدارة

ومما خاطبني به صاحبي الأديب المتضلع السيد محمد الشنجيطي لما ورد علينا بالرباط للتوظف بإدارة السعادة قوله مذكرا ومتشكرا.

رويــدك أننــي جــد اشــتياق ... إلى ثغـــر التـــآزر والوفـــاق
ربــاط الفــتح مطمــح كــل نــدب ... يــروم مــن العــلى صــعب المــراق
أيممهـــا وقلبـــي مـــستهام ... بمغناهـــا ودمعـــي في انطـــلاق
اخلائـــي المقيمـــين اعـــذروني ... عـــلى هـــذا التقـــاطع والفـــراق
لهـا ديــن علينــا بــل وثــاق ... وحـــتم أن يـــوفى بالوثـــاق
محمــد هــل تفكــرت التــآخي ... وأيـــام التعـــارف والتلاقـــي
وساعات قضيناها جـــميعـــا ... بأبحـــاث وأسئلـــة رقـــاق

فأجبته بقولي :

إلا أني عـــلى الميثـــاق بـــاق ... وإن حكــم الــزمن بــما ألاقــي
أحــن إلــيكم شــوقا وذكــرى ... لأيـــام التـــداني والتلاقـــي
لأيـــام وددت لهـــا فـــداء ... بأيـــامي الـــسوالف والبـــواقي
قـضيناها كــما حكــم التــآخي ... علينـــا في اصـــطباح واغتبـــاقي
وكــم بتنــا وغــصن الإنــس دان ... وجــنح الليــل مــسدول الــرواق
أبــا عبــد الإلاه بقيــت فــردا ... جـــوادا لا يجـــاري في الـــسباق
تعــال نجــددن عهــد التــداني ... ونرضــع صــفو البــان الوفــاق
وقل أهلا بمـــن صـــافى ووافى ... ربـــاط الفتـــح عن جد اشتيـــاق

ومما أنشدنيه فيه صديقي الشاعر المطبوع الكاتب الشهير السيد الحاج عبد الله القباج قوله :

عرج على ثغر الربـاط الأنفـــس

وانخ مطيك بالمقام الأقـــدس

حيث الغياض تدفقـــت أنهارها

وتعانقت أشجـارهـــا بالأروس

حيث الرياض تفتقت أزهارهـــا

وغدا القرنفل حامدا للنرجـــس

حيث المنازل قد علت وتزينـــت
حيث الشوارع نزهة للأنفـــس
حيث النجوم من السماء تنزلــت
وغدت مصابيحا تضيء بكؤوس
حيث النفائس والطنافس والأوا
نس والموءانس كالجواري الكنس
حيث الإمـارة والـــوزارة والإدا
رة والإرادة كالأغــر الأملـــس
حيث الزواخر والمواخـر والبـــوا
خر والذخار كالأشم الأطلـــس
حيث الزراعة والصناعة والبضـا
عة والقناعة باليسيـر الأبخـــس
حيث المواكب والمراكب والنجـا
ئب والجنائب للشريف الأسيـس
حيث الجلالة والعـدالة والسيـــا
دة والسعـــادة رحمـــة للأيـــس

وقد تقدم قوله أيضا :

إذا افتخرت مكناس بالماء والهوا
وفاس بواديها وبالعلم والمجـــد
ومراكش بالجد والجود والجدى
فإن رباط الفتح واسطة العقـــد

وأنشدني حبيبي العلامة الأديب القاضي الفاضل السيد أحمد سكيرج أيام مقامه بالرباط.

لله أيام أنس بالرباط مضت ... بها سلوت عن الأحباب والوطن
قد جادلي الدهر فيها بالمنى فغدت ... تعد عندي من نفائس الزمن

وأنشدني لنفسه صاحبي الأستاذ الفيلسوف السيد محمد الشافعي النفطي لما ورد علينا من نفطة بقصد زيارة الولي الصالح سيدي العربي بن السائح.

رباط الفتح ليس له نظير ... جميل شكله فرد نضير
وكل فتى أتاه يرى رياضا ... ويلقى به بدورا تستنير
بنور قلبه منها علوما ... بحب جمالها عبدا يصير
رياضة كالنعيم تروق حسنا ... بدوره في العلو لها مسير
تفيض صدروهم من كل علم ... فمن رام العلوم لهم يسير
أباس في الذكاء بلى علي ... وفي نظم المديح هم جرير
نوافلهم إذا ما رمت علما ... فإن الصبح هو بها خبير
لهم جود لقد وسع البرايا ... فما يحيى وما معن نظير
إذا حل الغريب لهم ربوعا ... يجدهم خير أهل يستجير
إذا ما رام فرقتهم بجسم ... يروح وقلبه فيهم أسير
لهم في المجد والفضل المعلى ... مقام دونه البدر المنير
سقا الغيث الرياض وساكنيها ... ومولانا الكريم لهم نصير
عليهم ما سموا أسمى سلام ... عبير ختامه مسك عبير

ولما حل في الرباط علامة فاس الشيخ أبو عبد الله السيد محمد كنون أنشأ في مدح شيخه سيدي العربي بين السائح قصيدة يقول في مطلعها:

بشرى لطالع وصلنا ياواسي ... بحلولنا بمعاهد ومراسي
سمح الزمان لنا بجمع سلامة ... بأحبة في أبهج الأغراس
جمعا أضاء بكل حبر سيد ... يسلي عن الأوطان سلوة فاس
جمعاتنا هي لا مثيل لفرده ... متنزها عن ساحة الأدناس
جمعا يضوع الند من أنفاسه ... برباط فتح مجمع الأكياس

وقال الإمام العارف بالله الأديب أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي يتشوق إلى ثغرنا المصون أيام مقامه بمكناسة الزيتون.

خليلي إن جئت الرباط وعاينت الديار وأبـــصرت القبـــاب فاعلاهـــا
لعلـــك تلقـــى بـــالعلو أميمـــة وتسال عنـاو الجـوى حـشو أحـشاها
بربـــك نبئهـــا بـــأني عـــلى الهـــوى مقـيم وفي قلبـــي وطـــرفي مثواهـــا
ومـا زادنـا بعـد المـزار سـوى الأسـى وســكب دمــوع دائـــما عنـد ذكراهـا
إلا كيف أنسى من إذا ما تبرجـــت تناسيت ضوء الشمس ساعة مـــرءاها

وقال بعض الأدباء :

إن شـــــــالة مقـــــــام لـــــــن ينالـــــــه انحطـــــــاط
عرصـــــــاتها جنـــــــان وبمرجهـــــــا اغتبـــــــاط
ولأهلهـــــــا ســـــــلو بعريـــــــشها ينـــــــاط
بـــــــين طـــــــير ومثـــــــان وبحـــــــسنها انبـــــــساط
وعلى الإنصـــاف قـــلـــنـــا مســـــرح الأنـــس الـــربـــاط

وأنشد في الروض الأريض. في بديع التوشيح ومنتقى القريض. ديوان أديب فاس السيد محمد بن زاكور قوله يخاطب جماعة من أهل الرباط بالغوا في أنسه وإكرامه.

أهل سلا أهل السلو عن البخل
سلمتم ودمتم في مسالمة المحـــل
خصوصا بها أهل الرباط فإنهـــم
أناس ينسى أنسهم عطفة الأهل
يداوون أدواء النـــوى بنوالهـــم
ويسقون ما فيهم بثانية الفضـــل

وأنشد شيخ شيوخنا أبو إسحاق التادلي في شرحه للخزرجية هذا الموشح وقد تقدم بعضه :

جادك الغيث أيا من ربطا | في رباط الفتح بدر اهبطا
وبه راسي بغرب سقطا | ولحرف العلم فضلا نقطا
كل من قد حل فيه مسلما | ونوى غزوا به مات شهيد
ليلة فيه حديث معلما | بمزاياها عن النار بعيد
حبذا شل به مستلما | ورباط الخيل لي به شهيد
وحبيب القلب جار بسلا | كلما واصلني قلبي سلا
أو أفاض الدمع بحرا مرسلا | بحديث الصد جاء مسلسلا
مجمع البحرين إن شئت ادعها | بشاهد يتلوه منه في النظر
نزهة الدنيا به قد نلتها | من علوم وذهاب لكدر

(وصف مناظر الرباط)

لما ذكرنا ما قيل في مدح الرباط شعرا مناسب أن نذكر ما جاء في وصف مناظره نثرا ومن أحسن ما جاء في هذا الباب قولة صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار إن هذه المدينة قد شرفها الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة والمنازه البديعة وماهي وقت مرور المحلات عليها الأمن عجائب منتزهات الدنيا لا سيما في الأعوام الخصيبة والفصول المعتدلة وناهيك من ساحل طوله نحو الميلين مملوء بالبشر والزوارق في الوادي بركابها والمنارة مطلة وعلقات الثمار وجذر الكرمات وقبب الجلوس للسادات أيدهم الله ظاهرة وقبلة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة وما هي في أوقاتها إلا أحسن من ديار مصر وما يحكى عن دجلة والفرات فإنا لله عن الفناء والمهات ولله در القائل :

الناس مثل حباب | والدهر بركة ماء
فعالم في طفو | وعالم في انطفاء

وقد تقدم قول ابن الخطيب وقابلها الرباط الذي ظهر به من المنصور الاغتباط. حيث القصبة والساباط. إلى أن قال في وصف شالةبأنها مرعى الذمم. ونتيجة الهمم. ومشمخ الأنوف ذوات الشمم. وعنوان الرمم. حيث الحسنات المكتتبة. والأوقاف المرتبة والقباب كالأزهار زاهرة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار. ووصف ضريحها بالضريح المقدس الذي تعددت على المسلمين حقوقه. وسطع نوره. وتلالأ شروقه. وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه. ورسخت عروقه. وعظم فخره فما فوق البسيطة فخر يروقه. حيث الجلال قد رسخت هضابه. والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه. القرآن العزيز ترتب أحزابه. والعمل الصالح يرتفع إلى الله توابه. الخ وأنشد :

عرج على الوادي المقدس والحمى
واقصد ضريحا لا تخيب جـــواره
ومقام بر عظمـــــت حرماتـــــه
واختال في خلع الـــرضى زواره
تقضي مناسكـه ويمســح ركنـــه
أبدا وتقـذف للدمـــوع جمـــاره
كم فيه من ليث هزيـر ما سطـى
إلا ومن بيض الظبـا أظـفـــاره
ومناخ فض أقصدته يد الـــردى
وهــــلال تـــم خـــانه أبـداره
فكأنما إحداثـــهـــم لما بـــدت
آيات وعـظ رتبـــت أسطـــاره
روض تـأرج عرفـــه وترنمـــت
أطيـــاره وتهـــدلت أشجـــاره
خضر الجناب سقى معاهده الحيـا
وعلا على كنـز الجـــلا جـــداره

ومما وصفت به شالة الرباط ما جاء في صحيفة 54 من كتابي في تاريخها ونص ذلك إما حالتها الحاضرة لهذا العهد فيختلف وصفها باختلاف ملحظ واصفها فإذا نظرها بعين المعتبر وجدها في حالة تستوقف النظر. وتحدث بآيات العبر. تلوح عليها شارات الجلال. وعلائم النقصان بعد الكمال. بل سيما العدم بعد الوجود. والغيب بعد الشهود. يتجلى ذلك للرأي بين حقولها ومزارعها. وقبورها وصوامعها. وبين آثارها وأطلالها. وهضابها وجبالها. ثم في رسوم بالية وبيوت خالية. وأسوار ماثلة. وأشجار مائلة. وعيون سائلة. تنوح حولها الأطيار. في الوكنات والأوكار. تنعق فيها الغربان. كأنها تنعي ما أصابها من طوارق الحدثان. وطوارئ الملوان،

رسوم غدت تستوقف اللحظ كلما وقفت بها أو زرتها متذكرا
فكم عبرة سالت من العين عبرة عليها وكم ذاب الفؤاد تذكرا

وإذا نظرها بعين الناظر المتسلي وجدها نزهة للعيون. بل جنة من جنان الدنيا تجري من تحتها الأنهار والعيون. ماشئت من ينابيع دافقة. وأفنان باسقة. وأغراس متناسقة. وأغصان متعانقة. وأطيار متعاشقة. وبساتين شائقة. ومنتزهات رائقة. إلى طيب هواء. وعذوبة ماء. وصفاء أديم. ورقة نسيم. وإلى منظر بديع. في أبان الربيع. حيث تتجمل تلك الهضاب والربى. بأجمل حلة يرصعها الندى ويعطرها الصبا. فيشرف الناظر منها على تلك الأجنة والبساتين. وما خطته أقلام القدرة من الطرز.

الرفيع فوق زرابي النباتات والرياحين. ويتعدى ذلك إلى منظر الولجتين. وموقع العدوتين. يشقهما الوادي ويحدهما المحيط. كأنهما جميلتان أو أختان شقيقتان تجردتان من كل محيط ومحيط. ثم وقفتا أمام أمهما شالة في موقف تقف عنده الأعين. وتترطب بذكره الألسن. ويسلو به الناظر. وينشرح منه الخاطر. ويشطو فيه اللسان قول الشاعر. (مؤلفه)

لله شـــلة مـــا أبهـــا مناظرهـــا تـــروق آثارهـــا الغـــراء ناظرهـــا
ي الربيع أجادت صنعـــها فغـــدت كجنة الخلد تنسي الهم زائـــــرهـــا

وكنت كتبت في سلسلة مقالاتي المتعلقة بالمدرسة العليا الرباطية (معهد التعليم العالي المغربي) ما نص الغرض في وصف منظرها ومركزها.

وقد جاء تخطيطها الهندسي تقريبا أشبه شيء بشكل مثلث الزوايا والأضلاع تحل بوسطه تلك القبة البديعة الشكل كما تحل الشامة بوجنة الحسناء وتتصل بها من هنا وهناك بنايات صغرى وكبرى وقاعات خصوصية وردهة لاجتماع المدرسين ومكتبة علمية للمطالعة ومستودع للذخائر والآثار المغربية البربرية ثم يكتنف بالكل روض أريض يحيط بالمدرسة من جهاتها الثلاث كما تحيط الهالة حول القمر.

أما مركزها الجغرافي فقد ساعده الحظ بربوة ذات فرار ومعين فوق بسيط منبسط من أكدال الخارجي ذاك المنظر الطبيعي المطل على المحيط الأطلانطيكي يفصل بينهما سلسلة حدائق وبساتين مونقة وغابات أشجار وأفنان مورقة ولا تسل عن حسن هذا المنظر البديع إبان فصل الربيع ناهيك أن الناظر منه يشرف على كثير من المناظر الطبيعية والمنازل والمنازه الرباطية، ويخيل له أن السماء في صفائها كأنها أخت البحر تأخذ من لونه ويأخذ من لونها ثم يأخذ نظره ذات الشمال فيرى الربيع قد أبدع وشي زخارف تلك البطحاء الواسعة الأرجاء ثم يأخذ ذات اليمين فتتراعى له المدينة لابسة حلتها البيضاء آخذة حظها من الزينة كأنها عروس حسناء.

هذا المركز الذي ظهرت فيه المدرسة مظهرا راقيا وجاء كما تريد هي مطابقا لمبداها وغايتها من سائر الحيثيات خصوصا من حيث السعة والترتيب وحسن الشكل والتقسيم والتنسيق إلى ما أبدعته فيه يد الصنعة والاتقان والتأنيق واخترعته أنامل الإبداع والزخرفة والتنميق مما يستوقف الناظر كلما جال نظره بين هاتيك القباب الشاهقة البنيان الموطدة الأركان المزرية بصرح بلقيس رفعة

وضخامة وقصر البديع شكلا وفخامة فسلام على هاتيك القباب الشامخة سلام ولتدم بكل إقبال تصافحها يد الأيام.

ووصفت بعض الدور الرباطية في بعض مقالاتي الصحافية بأنها جاءت جامعة المحاسن. كاملة الأحاسن. بها ما شئت من رخام مجزع ومرمر ملون. ورسم مموه. وما شئت من ضروب الصنعة المغربية. وصنوف الزخرفة الأندلسية على الطريقة الهندسية مما يدهش وينعش. نراها وقد تجسمت فيها روح التهذيب. وجانست بين جدرانها أجناس النقش الغريب من نوع الجبص الخالص وصنف الزليج الفاسي العجيب وفرشت بالرخام الأبيض الأعز المختار من حر المرمر يتخلله قطع الزليج المنقوش الملون حتى كأنها برد موشى من عمل صنعاء اليمن. أو روضة خمائل منثورة الأزهار. مهصورة الفن.

ومما زاد في بهائها أن جميع صنائعها ومصانعها وكل ما فيها من هندسة وزخرفة وتقسيم وتخطيط ورقم ونقش جار على النمط الإسلامي والطرز المغربي في البناء لا مدخل للصنعة الأجنبية ولا الصبغة الأوربية في شيء من أعمالها بحيث جاءت بصورتها وشكلها أشبه بمرآة صافية تتجلى فيها صور الصنائع المغربية الجميلة وتسفر عما للمغاربة من حسن الذوق ودقة الإحساس ورقة الشعور. بل وعن مزيد قدرة وشدة مهارة وتمام معرفة في الصنائع والفنون. وهذا ما دعا الفرنسيين إلى الإعجاب بشكلها كل الإعجاب. والتهافت على رويتها تهافت الظمآن على ماء الشراب. وهكذا قل في وصف جميع طبقاتها الثلاث وفي كل ضلع من أضلاعها الأربع وفي كل قبة من قبابها الثمان إلى بقية ردهاتها ومقاعدها ومستودعاتها الخصوصية بين الأركان وإما منتزهها فهو وحده صرح بديع يزري بصرح البديع ويشرف من جهة على المدينة ودورها فالإقامة العامة وإدارتها فمدينة شالة وآثارها ومن جهة على وادي أبي رقراق بسفنه وزوارقه مع المرسى بقواربه ومراكبه فمدينة سلا بولجتها وأجنتها إلى ما وراءها من المناظر الطبيعية ومن جهة على الشارع الفسيح شارع العلو فالمدرسة والقصبة والساباط فالمحيط الأطلانطيكي ببواخره ومواخره ومن جهة على باب تامسنا بالمستشفيات

فالمعرض فالمدرسة العليا فالقصور السلطانية وما بين ذلك كله من الأجنة والبساتين الرباطية وفي هذا الصرح قلت من أبيات شعرية :

صرح على العز قد قامت قوائمه ... في وجه ناظره يفتر باسمه
إن جئته زائرا يحييك منظره ... كالروض لما تحيينا مباسمه
حل البهاء به فالحسن شامله ... واليمن طالعه الأمن خادمه
والمجد ساكنه والسعد حارسه ... والحمد فاتحه والشكر خاتمه

وكتب بعض الأدباء الفرنسويين في وصف المنارة البحرية والساحل بالرباط ما نص ترجمته قال هناك على شواطئ الأطلانتيك يرف علم الشريف سلطان المغرب. والطيور ترف حوله بالفضاء وقربه نور منارة تنبعث أشعته فوق الأمواج والأطلانتيك يتموج مدا وجزرا وأمواجه تصطدم وتتهجم على الشاطئ كجيش يحاصر العدو فيهز المراكب ويخلخل الصخور وينبسط على شاطئ سلا المدينة النيرة على شاطئ الوادي والسطوح والجدران البيضاء تتماوج بمجدها كالعروس التي تتهادى في ضوء القمر بين الأنوار ونسمات الهواء البليل والبحارة في المرسى يقذفون المراكب ويدفعونها إلى سطح البحر وسواعدهم شديدة كالخشب الذي يسيرهم فوق اليم وأصواتهم تتصاعد بالغناء والطرب ممتزجة بين هدير الأمواج وعاصفة البحر.

(وصف آثار الرباط)

متى قلنا إن المآثر التاريخية والآثار القديمة هي زينة البلاد المتمدنة وحلية المدن المتقدمة نجد مدينة الرباط في الصف الأول بين المدن المغربية نظرا لما اشتملت عليه من المعالم والمآثر التاريخية التي كانت بالأمس ولن تزال كعبة قصيد الشاعر والواصف وصارت صورة صفحة ريشة الرسام وعبرة الناظر المعتبر تلك الآثار التي يكون بها للرباط حق الفخر إذا افتخرت كل فتاة بأبيها وكل امة بماضيها وما من أمة إلا ويعجبها الفخر أو فتاة إلا وهي بأبيها العزيز عليها معجبة.

أجل إن مدينة الرباط بما يراه الناظر فيها من معاهد شالة ومعالم القصبة وآثار الساباط والمدرسة وإطلال جامع حسان ومناره والأسوار القديمة وأبوابها الجديرة بأن تعد في مقدمة المدن المغربية المثرية من آثار الصناعة العربية الناطقة بما كان لدول الإسلام من الترقي والتقدم قبل ظهور المدينة الحادثة الأوربية.

وحسبك دليلا على ما قلناه (إذا كان النهار يحتاج إلى دليل) ما يأتي :

أولا تهافت ا لسياح من الأجانب على رؤية تلك الآثار وزيارة معاهدها التي طالما نحن رأيناها فأهملناها. ثانيا اعتناء أرباب التصوير بتصويرها ونشرها في بطاقات البريد (الكارت بوسطال) الأمر الذي ترك لها في سائر الأقطار والأمصار ذكرا يؤثر وينشر وأثرا يذكر فيشكر. ثالثا انكباب الرسامين بريشتهم القلمية ذات الألوان والأصباغ على رسم مناظرها الجميلة وتنميقها بصنوف الزخارف والتحسينات كما ينمق الشاعر قصيدة وقريضه بضروب البديع والمحسنات. رابعا حرص الحكومة الحامية بواسطة إدارة الآثار على الاحتفاظ ببقاياها وتلافي المتداعي منها بتدعيمه وتقويمه رعيا لكون الاحتفاظ بالآثار التاريخية من الضروريات في أقنوم نشوء الأمم لأن فيها من آيات العبر ما يحمل على الاهتداء بمن مضى والاقتداء بمن غبر.

وكيف لا وآثار الأسلاف هي للأخلاف بمثابة مرآة صقيلة يرى فيها اللاحق صورة براعة السابق. فيدرك منها مقدار ما بلغه من التقدم والحضارة. في الصناعة والعمارة. وما كان له من قوة الفكر واليراع في سبيل الابتداع والاختراع.

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وجاء في مقالتي المنشورة في جريدة السعادة تحت عنوان المباني الإسلامية ما نص المراد.

أما مدينة الرباط فحسبك أنها واسطة عقد الجميع. في حسنها البديع. على أن الآثار الموحدية كجامع حسان ومناره والقصبة والساباط والمدرسة والدار الإسماعيلية التي داخلها مع البقية الباقية من الآثار المرينية بزاوية شالة إلى القلع

والأبراج العلوية إلى الضريح العبدلاوي إلى الدار الملوكية والقصر اليوسفي الفخيم. كل ذلك مما لا يعزب عن ذهن القارئ الكريم.

وأما أفراد الرباطيين فنظرا لجدة حضارتهم وحدوث أسباب ترفهم ورفاهيتهم لم يجنحو للتأنق في البنيان إلا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وقتما استفحلت الحضارة والمدنية ونبعت من أيديهم منابع الثروة المخزنية فلذلك كانت الديار الكبار عندنا قليلة بالنسبة إلى مراكش وفاس لكن بالرغم عن قلة الأبنية الضخمة بالرباط فإنه بفضل حسن تقسيمه. وإجادة تخطيطه على الطرز الأندلسي يتراءى كالعروس الحسناء في زي رفيع وشكل بديع يخيل للناظر أنه عريق. في التأنيق والتنسيق. وحسبك دليلا أن واضعه أسسه على هيئة الإسكندرية. وهذا ما يحملنا على أن نقول إن مدينة الرباط هي إسكندرية المغرب إن لم نقل إنها اليوم باريزه بفضل ما دخل عليها من التحسينات العديدة. والإصلاحات الجديدة مع ما أحدث فيها من المراكز الإدارية العظيمة والأبنية الفارهة والقصور المشيدة (كما سبق وصفه في هذه الجريدة) هـ. وجاء فيها بقلم أحد الكتبة من وصف ساباط القصبة هذا الساباط من الآثار القديمة والأبنية العظيمة التي تناقلت أخبارها تواريخ الإسلام وحفظت هياكلها بطون الأيام وله بابان عظيمان أحدهما مشرف على منظر بديع ومشهد رفيع تنشرح له الخواطر وتبتهج له النواظر حيث ترى منه سائر أجنة شالة ورباها وبساتينها والأبنية الرباطية ودورها ومنتزهاتها والآخر نافذ إلى القصبة المذكورة وهو أشبه شيء بباب الرواح أحد أبواب الرباط الغربية إذ بانيها واحد.

ولا أطيل بوصف هذا الساباط وعظمة بنيانه وضخامة أركانه وما أودعته يد الزخرفة على جدرانه من النقوش الآخذة بالألباب والنفوس وحسبي أن أقول إنه شاهد صادق ولسان ناطق بما كان لأربابه من العز السابق والمجد الفائق وجاء فيها أيضا من مقالة في وصف جامع حسان ما لفظه: جامع حسان من المآثر الحسان العظيمة الشأن التي وصل صدى صيتها لكل مكان وتقررت شهرتها في

الأذهان وهي أعظم شاهد وأصدق برهان ينبئ بما كان لأربابها في سائر الأزمان من مزيد التقدم في الحضارة والعمران والمهارة التامة في أحكام الصنائع والإتقان.

جامع حسان هو ذلك البناء القديم والمشيد العظيم المالىء ببقايا عمده وأنقاض دعائمه فراغا كبيرا من الفضاء المناطح بقبة منارته العالية الشماء الزائدة الارتفاع والسناء عنان السماء جامع حسان من البناءات القديمة والمؤسسات العظيمة الآثار الفخيمة التي كان أعتني بها الملوك العظام وأمراء الإسلام الفخام في عابر الأيام في جملة ما قاموا بتأسيسه من المعابد الدينية والمعاهد العلمية والآثار التاريخية في هذه البلاد المغربية والأصقاع العربية.

مسجد حسان من الآثار التي طالما قاومت بشدة بنيانها وقوة أركانها كرور الإعصار ومرور الأدوار لتبقى محل أعجاب واعتبار وعنوان مجد وفخار وتخلد لمؤسسها أحسن تذكار فيما كانوا عليه من ارتقاء المدارك والأفكار وقوة الاقتدار والابتكار التي تندهش منها الأبصار وتحار في عجائب آثارها الأنظار.

كان مسجد حسان من أعظم مساجد هذه البلاد المغربية وأكبرها وأبهجها وأفخرها وامتنها بنيانا وأكثرها إتقانا وأفسحها مكانا وأجلها شانا وهو وإن تلاشت صورته اليوم من العيان فلا زالت جملة أوصافها راسخة في الأذهان مسجلة تفاصيلها بمداد الإعجاب على صفحات التاريخ وبطون الأيام.

لم يزل هذا المسجد العظيم والمعبد الفخيم راسخ الأركان ثابت الجدران قائم الدعائم منصوب القوائم سالما ن عوامل الخراب وآفات العطب إلى أواخر أيام السعديين فهناك أخفى عليه الدهر ونسجت عليه بمناكب الإهمال وانتشرت فوق محاسنه ذوائب الاضمحلال وبددت أيدي الاندثار ما كان فيه من عجائب الآثار وصار بعد ذلك أطلالا بالية وأنفاضا متلاشية ودعائم متداعية اللهم إلا منارته المحكمة البنيان المتينة الأركان فإنها لم يؤثر فيها توالي الأيام وتعاقب الأعوام بل لازالت لابسة لحلل الجدة والبهاء سالمة من وقع عوامل الوهن والبلاء مزدانة بما أودعته يد الزخرفة على جدرانها من النقوش الرفيعة والأوضاع

البديعة والتخاريم الرقيقة والزخارف الدقيقة ومن العجيب أن أحجار حيطانها العظيمة الهائلة المتواصلة خصوصا من داخل لازالت في غاية ما يكون من الجدة والسلامة حتى أنه ليتخيل للناظر أنها قريبة البناء حديثة التأسيس ومما يستحق أن يذكر أيضا أن في أحد جدرانها على يمين الصاعد نافذتين عظيمتين مقوستين بهندسة غريبة وإتقان وأمامهما بيت مربع في جوف قطب المركز الذي تدور عليه جدران الصومعة فإذا سامتهما الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما في داخل البيت المذكور في كيفية عجيبة على شكل خطين منحرفين مشتبكي الوسط متفرقي الأطراف ولم يدر إلى الآن ما الفائدة المقصودة منها فعسى أن تزاح عنها بالمستقبل ستور الخفاء تتجلى لعالم الوضوح والمعرفة وقد وشح كشح هذه الصومعة من خارج بأقواس نقشية عظيمة دائرة بوسطها إدارة النطاق بالخاصرة وعلى أحد جوانبها في داخل تلك الأقواس منقوش على سطح حجارات الصومعة تمثال سيفين عظيمين مرفوعي الرأس لجهة السماء كأنهما يشيران لعلو همة أربابهما وشموخ أنوفهم وطموح أبصارهم إلى ما فوق السماء.

(مساجد الرباط)

يوجب بالرباط نحو الخمسين مسجدا أقدمها المسجد العتيق وهو مسجد القصبة المتقدم الذكر في فصل تاريخها على أنه من آثار عبد المومن الموحدي كان بناه وخطط فناه إلى أن أفناه كر الجديدين فتجدد بالإصلاح مرتين كما صرح بذلك الفنيون القائمون اليوم بإصلاحه للمرة الثالثة بفضل عناية الأحباس ثم مسجد جامع حسان الذي سبق وصفه بناه يعقوب المنصور الموحدي وأضيف إلى حسان تذكار الاسم بانيه ومناره من الآثار المضروب بها المثل في الشفوف والاعتبار ولذلك قال ابن الخطيب وطلل حسان المثل في الاشتهار.

يشتمل هذا الجامع على أربعمائة سارية محيط العمود منها أربعة عشر شبرا وطوله أزيد من عشرين شبرا ومساحته الفان وستمائة وتسعة وخمسون ميترا مربعا وهي طولا خمسمائة ذراع موافق مائة وستة وثمانين مترا وعرضا أربعمائة ذراع

موافق مائة وثلاثة وأربعين مترا ومنارته طولها نيف وستون مترا ومحيطها من جهاتها الأربع مائتان وأربعون شبرا ومحرابه ثلاثة أمتار ونيف طولا ومثلها عرضا وأبوابه اثنا عشر بابا ستة منها في الجهة التي بين الشمال والشرق والستة الأخرى في الجهة التي بين الجنوب والغرب وجله مبني بالصخور مثل البناء الروماني الباقي بسفح جبل زرهون من آثار مدينة وليلي وكل من زار هذا المعهد المقدس يقضي العجب ويرى أن الدهر الخئون قد لعب بهيكله العظيم فتركه أطلالا متراكمة سوى مناره الذي ما زال شاخصا ماثلا للعيان يراه القادم من مسافات بعيدة شاهدا بما كان للمنصور بانيه من العظمة والهمة الشماء التي ما طاولتها سماء. وقد جاء في ضخامته وفخامته يشبه مدينة بلح كما صرح بذلك المؤرخ الطنجي أبو عبد الله ابن بطوطة في رحلته كما جاء مناره في صنعه ووضعه أشبه شيء بمناره الإسكندرية كما لصاحب المعجب في أخبار المغرب. قال إن أبا يوسف يعقوب المنصور لما فرغ من بناء مدينة الرباط التي كان اختطها وشرع في بنيانها أبوه يوسف بنى فيها مسجدا عظيما كبير المساحة واسع الفناء جدالا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه وعمل له مأذنة في نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيها بغير درج وتصعد الدواب بجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف ولم يعمل فيه بعد محمد ولا يوسف ونقل ابن عبد المنعم الحميري في كتاب الروض المعطار أن هذا المسجد كان يعمل في بنائه ونقل حجاراته سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج قال وهو من أعظم مساجد الإسلام وأحسنها شكلا وأفسحها مجالا وأنزهها منظرا.

وقال ابن أبي زرع في القرطاس أثناء الكلام على المنصور أنه لما جاز إلى الأندلس في بعض غزواته أمر ببناء قصبة مراكش والجامع المكرم الذي بإزائها وصومعته ومنار جامع الكتبيين وببناء مدينة رباط الفتح وجامع حسان ومناره وقال أيضا وفي سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة بنى رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه وفيها بني جامع حسان ومناره هـ ولم يزل مدة مديدة وهو سالم قائم القوائم إلى أيام السعيد الموحدي ففي الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية عند ذكر

حوادث سنة 631 أن السعيد الموحدي نقض جامع حسان وصنع بخشبه الأجفان فكانت مباركة فأحرقت بوادي أزمور هـ.

وكان من أسباب خرابه اشتماله على خشب الأرز الجيد ا لمتين فمدت إليه الأغمار أيدي الأطماع بالاختلاس والنهب مع عدم تعاهده بالعمارة ولا طروقه للصلاة إلى ما طرأ عليه من الحوادث التي صار بمجموعها خرابا وقاعا صفصا منها الحريق الهائل المشاهد مصحوبا مع سقوط الأعمدة تارة بإزائها وتارة فوقها وتارة تحتها حتى أنه ليشاهد أثر الحريق من تحتها ومن فوقها وبإزائها وقد أثر الحريق في بعض أحجار تلك الأعمدة الرخامية تأثيرا عظيما صيرها هشة رخوة وطبخ ما سواها من المواد الحجرية حتى فتتها تفتيتا وصير الخشب العظيم الغلظ فحما ورمادا ولولا حفظ بقية تحت الردم ما شوهد له أثر ومنها الزلزال العظيم الذي سقطت به عمد الجامع وسواريه وطرف من صومعته كما يأتي عن إدارة الآثار ويدل لبعضه ما جاء مقيدا بكناشة الفقيه المؤرخ السيد أحمد عاشور الرباطي قال وفي يوم الثلاثاء 13 محرم عام 1169 وقعت زلزلت سقط بها البعض من مكناسة الزيتون ومات أناس كثيرون ودام اهتزاز الأرض أياما والناس في رعب عظيم وفي يوم السبت 26 من الشهر المذكور عامه 1169 وقعت زلزلة عظيمة انشقت بها الديار ومات البعض من الناس وفاض البحر على أطراف البلد حتى كاد يدخل مدينة الرباط في الساعة الرابعة باعتبار السوائع الشمسية وذلك ضحى اليوم المذكور وطاح طرف من صومعة حسان وما الأمر عظيما في هذا اليوم جدا وحصل لطف الله بعباده هـ.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي في تاريخه أن أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي انتزع لأهل العدوتين سلا والرباط سفينة عظيمة كانوا يجلبون بها الميرة لأنفسهم من خارج صنعوها أيام الفترة يعني في دولة والده مولانا عبد الله بن إسماعيل قال المؤرخ كانوا صنعوها من خشب جامع حسان وتعرف بسفينة الكراكجية وكان ذلك بتاريخ 1165 خمسة وستين ومائة وألف هـ.

ومما قالته إدارة الآثار في كلامها على هذا الجامع الذي اهتمت بإصلاحه ما نصه[3] لم يشر التاريخ إلى الأسباب التي كانت نتيجتها انهدام هذا الجامع العظيم فاهتم المسيو ديالافوس مع قرينته بالحفر على الآثار فتوفق إلى إيجاد الباب والعتب والعدد اليسير من الأعمدة وأقامها في أماكنها كما يراها الناظر الآن واستدل من الأخشاب المحروقة التي وجدت بين الأنفاض على أن الجامع المذكور احترق وانهدم ولعل زلزلة شديدة كانت السبب في انهيار جوانبه وعقبها حريقة بالجامع أما المنار فلم يتم بناؤه وظل سطحه مكشوفا لتقلبات الجو فأصابته الحرارة والبرودة وتسربت مياه الأمطار بين جدرانه فأصلحت إدارة الآثار السقف والمجاري بدون أن تمس هيئته القديمة بأدنى تبديل. وأصابت الصاعقة العقدة الجنوبية من المنار فخلخلت بعض أحجار زاويتها فاهتمت الإدارة بتمكين هذه الزاوية بالحديد حتى لا تتداعى وباشرت الحفر على آثار أخرى بالجامع ولنقف عند هذا الحد الجامع في الكلام على هذا الجامع وأن أردت زيادة التفصيل حول ما قامت به إدارة الآثار من الإصلاح والآثار فانظر مقالة المهندس فورناز المنشودة في مجلة فرنسا والمغرب عدد 9 بتاريخ 15 شتنبر عام 1917.

وأما الجامع الكبير بالرباط فقد جاء في كتاب الاتحاف الوجيز أنه من أبنية يعقوب المنصور الموحدي باني الرباط ولا نعرف لهذا أصلا بل لا تظهر عليه صنعة الآثار الموحدية ولا صبغة البناءات القديمة المعروفة للموحدين ولو كان من بنائهم لصرح به المؤرخون كما صرحوا ببنائهم لجامع القصبة ولجامع حسان كما تقدم والظاهر ما صرح به البعض من أنه أثر من آثار بني مرين ويشهد له أمران الأول وجود المارستان العزيزي المريني بإزائه. الثاني ما اكتشف بعد الإصلاح الحادث به أثر لأبي عنان المريني من الرخامة الملصقة بجدار القوس الوسط من صحنه بل وقع التصريح في عدد 9 المؤرخ ب 15 شتنبر عام 1917 من المجلة السابقة بأن عبد الحق المريني هو الذي أمر ببنائه آخر القرن السابع الهجري

3 - قصور بل في تواريخ الإسلام ما يشير إلى تلك الأسباب كما نقلناه صريحا عن صاحب الذخيرة السنية والمؤرخ عاشور والمؤرخ الضعيف الرباطيين والله أعلم هـ. مؤلفه.

هـ وقيل إنما جدده وتاريخ بنائه قبل ذلك وقيل أنه من بناء الأندلسيين وأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله جدد بناؤه والسلطان أبا الربيع أصلح أحد أبوابه ثم تجدد صحنه وأعيد بناء بابه الخارج لسماط الخرازين في عهد مولاي الحسن ثم تداعى أخيرا وأشرفت سقوفه على السقوط فتداركته عناية الأحباس سنة 1333 ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف بالتجديد والإصلاح والترميم والتسقيف من جديد فكان ذلك من حسنات هذا العصر الجديد.

وأما جامع السويقة المعروف بجامع مولاي سليمان فقد دلتنا إضافته لمن هو وفي أي عصر كان بناؤه وقد قيل في سبب بنائه أن السلطان مولاي اليزيد لما بويع له بسلا والرباط وهو بالحرم المشيشى وبايعه أهل فاس أيضا اقتضى نظره أن يبنى بالمدن الثلاث مساجد ثلاثة مكافاة لهم على المبادرة إلى بيعته فأصدر أمره الشريف في جمادى الأولى عام خمسة ومائتين وألف وهو بمكناسة الزيتون فابتدأ العمل في البناء لمسجد الرصيف بفاس وعاقه الأجل المحتوم عن إتمامه والشروع في مسجدي العدوتين فأمضى عمله بعده أبو الربيع السلطان مولاي سليمان بإتمام الأول وإنشاء مسجد الجزارين بسلا وهذا الجامع السليماني بالرباط وما يقال من أن هذا الجامع كان من المساجد القديمة أو هو المسجد العتيق بالمدينة والسلطان المذكور إنما جدد بناءه لا يعرف له أصل.

نعم جاء في تاريخ الضعيف إطلاق اسم جامع السويقة عليه عند ذكر حوادث 1219 ثم قال في حوادث 1227 وفي يوم الخميس خامس شعبان كملت صومعة جامع السويقة وفي يوم الأربعاء الحادي عشر منه جاء من جبل طارق الصاري الحديدي للصومعة وفي يوم الخميس ثالث رمضان طلع الصاري الحديدي ونزل برأس الصومعة وفي يوم الأربعاء السادس عشر من رمضان كملت الصومعة وتجردت ولا بقى فيها ما يعمل هـ.

فانظر هل كان اسم جامع السويقة يطلق عليه أولا عند حدوثه كما يطلق عليه اسم جامع مولاي سليمان أو كان ذلك الاسم لجامع قديم ثم نسخ باسم الجامع السليماني لما بنى بناؤه الحديث.

ومن مساجد الرباط الفسيحة الرحاب الرحبة البلاط مسجد جامع السنة أحد المساجد الست التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بأكدال أشار لها الزياني في ترجمانه وأكنسوس في جيشه وابن الحاج في تاريخه والناصري في استقصائه وذكر الضعيف منها خمسة بأسمائها في حوادث سنة 1187 فذكر جامع السنة وجامع الوداية وجامع أهل مراكش وجامع أهل سوس وجامع أهل فاس ولم يبق منها الآن إلا الأول والأخير ثم منارة آخر يعرف اليوم بمسجد ملينة وكان تمام جامع السنة بالبناء في جمادى عام 1199 وكأنه بني على قاعدة ظل العصر بالصحن الأول إذا زالت الشمس عن سقفه الموالي لجهة القبلة كل يوم يطلع العصر لأن جداره أسس على ظل العصر فلا يتبدل أبدا كما أفادنيه شيخنا مؤقت العصر الأستاذ السيد المهدي متجنوش الرباطي قال الضعيف ولما ورد السلطان على الرباط دخله وجلس أمام المحراب ودارت به الطلبة وشرعوا في قراءة إنا فتحنا وفي ليلة المولد أمر بتزيين الجامع المذكور بالمصابيح وفرق المال على أهل الرباط وسلا نحو القنطارين أو أزيد وأمرهم أن يصنعوا الطعام ويأتوا به للجامع من الدجاج والمروزية والكعك والمقروط والحلواء الشباكية وغير ذلك وبعث الزرابي من داره وفرش الجامع ثم جلس المادحون وجلس معهم وأمرهم بقراءة قصيدة بانت سعاد إلى آخر كلامه وقال في حوادث السلطان أبي الربيع وفي صفر الخير عام واحد وعشرين ومائتين وألف أمر مولانا سليمان نصره الله بهدم سقف جامع السنة الذي بناه أبوه السلطان سيدي محمد بن عبد الله برباط الفتح بأكدال على أن ينقض منه الجوائز مع قناطير السقف المذكور فنقض وسار به في سفينة من مرسى الرباط إلى المهدومة (الجديدة) ومنها إلى مراكش وسقف به جامع علي بن يوسف اللمتوني وكان هناك المعلم عبد الله السوداني فلما سقف على الجامع المذكور بمراكش[4] وكمل السقف سقط في الأرض وتكسر والأمر لله. أنفق عليه أموالا جزيلة ورتب فيه الطلبة وكان يأوي إليه كثيرا ويصلي فيه ويتفقد الطلبة

4 - هي جعل سوار مربعة جهة الجوف من محل الصلاة وتركيب أنصاف أقواس عليها دعم بها سقوفه حيث وقع فيه انشقاق بإشارة المعلم البناء المرحوم السيد الحاج عبد السلام بناني الرباطي في نظارة المرحوم الحاج عبد القادر المعموري فلم يزد في طوله ولا عرضه وإنما زاد ما ذكر.

بالطعام في كل يوم يطلع من الرباط ولا يغفل عن الطلبة هـ كلامه ولما دالت الدولة للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن تلافاه وأحياه قال في الاستقصا وكان بائدا يعشش فيه الصدى والبوم وأقام فيه الصلوات الخمس والخطبة كل جمعة وأحيا المسجد الصغير المسمى بمسجد أهل فاس وأعنى به وزخرف سقوفه هـ ولما جاء مولاي الحسن أحدث زيادة في جامع السنة ولم يزل غالبا هو الجامعَ السلطاني الذي يقيم به السلطان صلاة الجمعة في موكبه الرسمي إلى هذه الأيام الأخيرة حيث اقتضى نظر الجناب اليوسفي أيد الله ملكه تخصيص جامع أهل فاس القريب منه بإقامة الجمعة الرسمية ولما كان لصغره يضيق بالمصلين أمر بالزيادة فيه وتجديده بالبناء والزيادة في أقواسه وصحنه وهدم منارته وإبدالها بأخرى تبعد عنها بنحو سبعة مياتر وهي منارته التي أصبحت تناطح السماء. وقد طلب مني سعادة وزير الأحباس بواسطة ناظر الكبرى بالرباط الفقيه السيد محمد ملين إنشاء أربعة أبيات تنقش على المحراب الجديد. تتضمن الإشارة إلى عناية السلطان بهذا الإصلاح والتجديد. فقلت :

بشرى فقد عاد الشباب لمسجد ... حجراته ضاءت ضياء الماس
لما تجدد حسنه ومناره ... وأفاه حسان مطأطئ رأس
وعلى التقى قد أسست شرفاته ... شرفا وتقوى الله خير أساس
في ظل مولانا المؤيد يوسف ... ووزيره المولى أبي العباس

ولما وقف عليها سعادة الوزير ارتأى أدبا وجوب الاقتصار على ذكر الأمير. فلذلك قلت في إصلاح البيت الأخير.

في ظل مولانا المؤيد يوسف ... رب الندى والسيف والقرطاس

(بقية المساجد والزوايا بالرباط)

ومن مساجد الرباط أيضا مسجد العطارين المعروف بجامع السوق وجامع الجزارين ثم جامع ضريح مولاي المكي بن محمد الوزاني ومسجد ضريح سيدي العربي بن السائح ومسجد القبة ومسجد درب مولاي عبد الله ومسجد الدك ومسجد مرينو ومسجد دنيه ومسجد بلامينو ومسجد شكلانط ومسجد السراير ومسجد الغماري ومسجد البيضاء ومسجد الخرازين ومسجد وقاصة ومسجد قورية ومسجد اللوبيرة ومسجد عطية ومسجد ضريح سيدي السايح ومسجد الزناقي ومسجد ضريح سيدي الشادلي ومسجد الباشا ومسجد ضريح سيدي الغندور ومسجد تبرنوصت ومسجد درب النجار يدعى سيدي أبو الأنوار ومسجد أم الكنابيش ومسجد القضية ومسجد الجزاء ومسجد ضريح سيدي فاتح ومسجد ضريح مولاي إبراهيم ومسجد لالة كنزة الطالبية الإدريسية ومسجد ضريح مولاي المكي ابن عبد القادر الوزاني ومسجد بناني ومسجد ضريح سيدي محمد الدرعي ومسجد النخلة ومسجد ضريح سيدي الحسن المسكيني ومسجد الحويشي ومسجد المدرسة بدرب والزهراء ومسجد الجنائز المدعو بالزاوية الكتانية ومسجد ضريح الحسن بنسعيد ومسجد ضريح لالة عائشة عريانة الراس العلمية.

وأما الزوايا بالرباط فعددها اثنتان وعشرون وهي الزاوية الناصرية والزاوية القاسمية والرحمانية والمعطوية والمختارية والغازية بالبحيرة لأصحاب سيدي الغازي بن قاسم والغازية بزنقة بيارة لأصحاب سيدي الغازي ابن العربي والتهامية القادرية والعيساوية والحمدوشية والمباركية والحنصاليةوزاوية سيدي الشيخ والدرقاوية والتجانية والكتانية والبنانية والعكارية والتلمسانية والغربية والقجيرية واكتفينا بسردها لعدم تعلق الغرض باستيعاب الكلام عليها هنا.

(الدور الملوكية بالرباط)

منذ كان الرباط وهو قاعدة الإمارة وعاصمة الإدارة والوزارة. كم فيه من دور وقصور. لعبد المومن وحفيده المنصور. ولا تزال قصور الدولة الموحدية معروفة بهذا الإسم في بعض الرسوم الأصلية. ومما جاء في ذلك لأهل المقامات والمسالك قول ابن الخطيب بها للملك دور وقصور ولأهل الخدمة بناء مشهور. وقول صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وقد تقدم مبناه وهذا معناه أن في الرباط من المباني الملوكية الرفيعة والمنازه البديعة وقباب الجلوس للسادات والقصور العليا ما جعلها من عجائب منتزهات الدنيا.هـ وكان من جملة هذه القصور دار العادل بالقصبة جعلها بعضهم من آثار بني مرين والحق أنها من بناء السلطان أبي محمد عبد الله ابن يعقوب الموحدي المعروف بالعادل وقد اندثرت ولا يعرف لها محل من القصبة وأنشد في حقها صاحب الجذوة.

يا عادلي دع عنك عذل العاذل   واخلع عذراك في الحبيب الواصل
وإذا ذكرت عشية لمحاسن   فاذكر عشايانا بدار العادل

وقد تقدم ذكر الدار الإسماعيلية المسماة بعد بالمدرسة، كما سبق ذكر دار السلطان سيدي محمد بن عبد الله بأكدال ودار ولده مولاي اليزيد بالقصبة ومما لم يتقدم لنا ذكره من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالرباط دار سعيد بن صالح التي اندثرت اليوم وصار عليها مركز الإقامة العامة الجديدة بناها لقائده سعيد بن صالح وهو قائد بخاري كان قائد رحى من كبار قواده ووصفانه متوليا قيادة جيش البواخر بالرباط ذكره الزياني في كتابيه الترجمان والبستان وترجم له القنصل الدانمركي هست في تاريخه للمغرب ولما جاء السلطان أبو الربيع بنى لنزوله الدار الملوكية بالقبيبات بشاطئ البحر وهي التي صارت اليوم مستشفى عسكريا ومن الدور الملوكية الدار الكبرى داخل الرباط المنسوبة لمولاي رشيد بن أمير المؤمنين مولاي عبد الرحمن وهي التي صارت مستشفى أهليا لعموم أهالي الرباط ومنها دار السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وهي الدار الكبرى بأكدال

المجاورة لدار سيدي محمد بن عبد الله السالفة الذكر وهي دار حسناء حسنة البناء واسعة المقاعد والفناء قيل في وصفها أنها من أخوات البديع لما اشتملت عليه من البناء الرفيع والنمط البديع وكان الفراغ من بنائها عام واحد وثمانين ومائتين وألف. قال في الاستقصا: ولما كمل بناؤها أمر السلطان رحمه الله أن يختم فيها فقهاء. رباط الفتح صحيح البخاري أولا وفقهاء سلا ثانيا فدخلناها في جملتهم وتقصينا منازلها ومقاعدها فرأينا ما ملأ أبصارنا حسنا وإتقانا وعجيب صنعة هـ. وقال صاحب الجيش عند ذكرها: ولقد أحسن مولانا نصره الله كل الإحسان في تعمير الثغر المبارك الذي هو سرة البلاد وغرة الفتح المبين عند الجهاد في جوار جده المجاهد الناصر لدين الله تعالى سيدي محمد بن عبد الله فلو رأى رحمه الله ما شيده مولانا المظفر نصره الله لافتضى منه العجب العجاب. وعلم أنه ترك الأمراء العلماء الإنجاب. وأن له زرعا يغيظ الكفار نباته. وخلفا مثل الجبال رسوخه وثباته. ولو حيى يعقوب المنصور الذي أسسه. ورأى ما صونه مولانا المظفر وحرسه لقال: الآن صار الرباط رباطا، وازداد دون غيره من ثغور الإسلام اغتباطا لما أصبح للأسد الهصور عرينا وأضحى لمدينة السلام قرينا، وأظهرت فيه الدولة المحمدية آثارها، ونثرت عليه الأبهة الهمامية نثارها، فصارت تحاكي المباني المحمدية المراكشية والإسماعيلية المكناسية إلا أنها تفوقها بأنها في نحور العدو عتاد، ولسرادق العز الأثيل أوتاد، وعندها للبر والبحر صدور وأعجاز، ومنها إلى الشرق أو الغرب مجاز، فأجزل الله الثواب لأمير المؤمنين على حسناته وبارك للمسلمين له في حركاته وسكناته هـ.

ولما جاء السلطان المقدس مولاي الحسن أحدث فيها زيادات من جهة الضريح العبدلاوي وشيد فيها عدة قباب وقصور تزري بقصور الزهراء وبديع القصور منها قبة عجيبة مطلة على الروض السعيد ومما كتب على جانبي مدخلها لشيخنا القاضي الفاضل أبي حامد البطاوري أبقاه الله قوله يمين الداخل.

دخول سعادة ومزيد يمن ونصر واعتزاز وارتقـــاء

وقوله يسار الداخل :

قدم والدهر بالإفراج عيد ودم بالسعد متصل البقاء

وأحدث أيضا داراً أخرى على الشاطئ البحري جهة الدار السالفة الذكر من بناء السلطان أبي الربيع وأما المنتزه السلطاني الجديد بدار المخزن والقصر اليوسفي الحادث العهد بباب تامسنا فهما من المحاسن اليوسفية بالرباط بل همازينة الرباط العامر. وحلية هذا العصر اليوسفي الزاهر. وما أحقهما بقول الشاعر.

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الأيام

وقولي في بعض المنتزهات. المقصودة للنزهات.

ومنزه منه كل الحسن مقتبس
كأنه من جنان الخلد مختلس
من كل صنع نفيس حاز أنفسه
لذاك تعشقه النفوس والنفس
أساسه السعد حتى لو رءا زحل
سعد السعود به ما كان ينتحس

(بقية الآثار الملوكية بالرباط)

من آثار الرباط الأسوار القديمة وأبوابها وهي من بناء يعقوب المنصور الموحدي كما تقدم.

قال المؤرخ مويط الفرنسوي في رحلته والمتناقل عن السكان أن بعضها من بناء المسيحيين الذين أتى بهم قواد يعقوب المنصور عند غزوه لجزيرة الأندلس وهؤلاء المسيحيون هم الذين قاموا ببناء الأقواس الممدود عليها قنوات المياه الموجودة بالمدن المغربية كما هو مشاهد الآن بالمدن المذكورة هـ. وهذه الأسوار

تبتدئ من برج الصراط الذي صار اليوم مستودعا من جملة المستودعات وتمتد على طول ثلاثة آلاف ومائتين مترا إلى جهة الجنوب الشرقية[5] ثم تنحرف نحو جهة الشمال إلى أن تتصل الوادي قريبا من أسوار شالة بمائة وستين ميطرا[6] ويتصل بالسوار الموحدي من جهة المحيط سور أشبار الذي أحدثه السلطان المولى عبد الرحمن يبتدئ من برج الصراط إلى قبالة قصبة الأوداية ويفصل بينهما[7] السور الداخلي الواصل أيضا بين السور الموحدي والوادي. أحدثه الأندلسيون أوائل القرن الحادي عشر ولا يزال يعرف بسور أهل الأندلس وأما السور الخارجي[8] فهو من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله يبتدئ من البحر عن بعد ألف وسبعمائة وأربعين ميطرا من الجنوب الغربي لبرج الصراط ويمتد نحو الجنوب الشرقي ثم ينعطف إلى أن يتصل بسور الموحدين عن بعد خمسمائة ميطر من دار السلطان التي يحيط بها سور أكدال الكبير الذي أحدثه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. أما أبواب الأسوار فسبعة عشر بابا تهدم البعض منها اليوم وأنشئت بدلها أبواب أخرى اقتضتها ضرورة مصلحة الأشغال العمومية ولكن الأبواب الأثرية منها هي الأبواب الموحدية وهي بابا القصبة المعبر عنهما بالساباط وباب العلو وباب الأحد وباب الجديد وباب الرواح الذي ينفذ منه إلى أكدال وكان رحمه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأحدث قرب داره التي بناها في قبلة هذا الباب بابا جميلا ملاصقا لداره سمها باب الرواح أو باب الربح بقي مفتوحا طول حياته ثم سده ولده المولى يزيد كما في الضعيف وهو الذي بنى فوقه لهذا العهد المنتزه السلطاني بعدما فتح للمرور منه.

ومن الأبواب المحدثة ما ذكره الضعيف في تاريخه قال وفي ليلة يوم الثلاثاء 25 رمضان عام 1151 سقط القوس الكبير الذي بباب القنانيط بباب البحر من

5 – وهي طول السور الجنوبي للرباط.

6 – وهي مساحة السور الشرقي للرباط.

7 – أي من السور الشرقي والأشبار.

8 – وراء السور الجنوبي المذكور أولا وعلى مساحته.

رباط الفتح أمنه الله وذلك في مدة مولانا المستضيء بالله وفي يوم الأربعاء 29 قعدة عام 1204 تقوس باب الجديد وفي يوم الإثنين الثاني من جمادى الأولى وقعت ملاججة بين القائد السويسي والناظر محمد فرج على بناء باب شالةبعد أن حفر الناظر أساس الباب على يد المعلم بن أحمد الشياظمي فلم يرد السويسي بناء الباب وأراد إبقاءه على ما كان عليه، وفرج أراد بناءه. وتعطل البناء ثم بعد ذلك شرع الناظر في بنائه بعد أن كاتب محمد السلاوي فأمره بالبناء وكان ابتداء بنائه في السادس عشر من جمادى الأولى وضرب عليه الطبل والآلة هـ. باختصار.

ومن الآثار الملوكية الحادثة بالرباط ما يوجد فيه من القلع والأبراج وهي أحد عشر برجا تقدم ذكر بعضها في الكلام على قلعة الرباط أعني القصبة الأثرية ومما جاء في تاريخ الضعيف الرباطي أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله جدد بناء القصبة وبنى بها البستيون المعروف ببرج خنزيرة وبستيونا آخر مقابل سلا وبنى برج الصراط وصقالة ابن عائشة[9] وجدد قصبة مولانا الرشيد هـ المراد وفي تاريخ الاستقصاء أن السلطان المذكور في سنة ثلاث وسبعين ومائةً وألف نهض لتفقد الثغور والنظر في أحوالها ولما حل بالرباط أمر قائده أبا الحسن علي مارسيل أن يبني صقالة أي برجا كبيرا على البحر وأمر قائد سلا عبد الحق فنيش يمثل ذلك ثم أمر بإنشاء سفينتين إحداهما لأهل الرباط والأخرى لأهل سلا وكانت عندهم سفينة واحدة مشتركة بينهم أنشؤوها أيام الفترة (أي وقت استقلالهم أيام مولاي عبد الله) وأما أشبار الكبير بالعلو فهو من آثار السلطان المولى عبد الرحمان كما سبقت الإشارة إليه وهو أيضا الباني بأعمال الرباط لحفظه وتأمين طرقه القصبتين الكبيرتين قصبة الصخيرات وقصبة أبي زنيقة قال في الاستقصا فأمن الناس بها وارتفقوا بالتردد عليهما. هـ وهو الباني أيضا لدار البارود الجديدة قبالة باب الجديد وهي الدار التي اقتضت اليوم مصلحة البلدية هدمها أرضا دكا من طرف من السور الأندلسي بتوسيع نطاق السوق البلدي. أما البرج العظيم الهائل المنظر والمخبر المعروف باسم البرج الكبير خارج باب العلو على الشاطئ فهو

9 – الرئيس المتقدم الذكر.

أعظم أثر حسن للسلطان المقدس مولاي الحسن صرف عليه أموالا باهظة وبناه على هندسة غريبة وكيفية عجيبة لم تكن تعرف عند المغاربة من قبل وجلب إليه المدافع من ألمانيا من أحكم وأحدث طرق وقد كان شيخنا القاضي أبو حامد سئل وقت بنائه إنشاء بيتين يكتبان على باب البرج المذكور فأنشأ في ذلك.

جلت مآثر مولانا الإمام بما ... أبداه من كل صنع متقن حسن
شكل من شاهد البرج العظيم شدا ... بالعز والنصر والتأييد للحسن

وهو الباني أيضا لمرسى الرباط الحالية قبل أن تتناولها يد الإصلاح الحديث جدد بناء ديوانتها الكبرى والصغرى وزاد في رصيفها وشيد عدة أهرية ومستودعات. لحفظ البضاعات. أما دار البارود القديمة المعروفة بالقشلة وبقصبة مولاي رشيد بظاهر العلو فقد جاء في الاتحاف الوجيز أنها من آثار السلطان مولاي عبد الرحمن والحق أنها من بناء مولاي رشيد وجددها سيدي محمد بن عبد الله كما سبق عن الضعيف ولم تكن تعرف إلا بقصبة مولاي رشيد بانيها وما سميت بالقشلة إلا بعد أن أحدث ا لسلطان مولاي الحسن فيها العسكر ثم صار يطلق عليها دار البارود حيث كان بعضه مخزونا بها. ولما أحدث تنظيم البوليس المغربي وخصصت هذه القصبة لفرقة بوليس الرباط صار يطلق عليها قشلة البوليس إلى أن جعله بعد الاحتلال من سجون البلد وكان البارود الموجود فيها مع سائر الآلات الحربيةجله من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يجلب ذلك من الخارج وكم له من سفارات في هذا السبيل كسفارة عام 1175 التي قام بها كاتبه السيد الطاهر بناني الرباطي إلى السلطان مصطفى العثماني صاحب القسطنطينية العظمى وسفارة عام 1177 التي قام بها في بلاد السويد الرئيس الحاج التهامي مدون الرباطي. وسفارة الرئيس أبي عبد الله العربي المستيري الرباطي إلى بلاد انكلترا. وسفارة عام 1179 التي قام بها الرئيس أبو الحسن علي مرسيل الرباطي إلى فرنسا وغير هؤلاء من الرؤساء والسفراء الذين كان يبعثهم السلطان بالهدايا فيرجعون بالمراكب الموسوقة من آلات الحرب كالمدافع والمهاريس والبارود وإقامة المراكب القرصانية. وكان السلطان العثماني

في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف أهدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله هدية عظيمة كلها عدة وآلات حربية ومعها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم المعرفة بإفراغ المدافع والمهاريس والكور والبنب وبصناعة المراكب القصانية وفيهم معلم مجيد في الرمي بالمهراس إلى الغاية ففرقهم السلطان على الثغور وبعث معلم الرمي إلى رباط الفتح فكان يعلم فيها الطبجية من أهل العدوتين وتخرج على يده نجباء ومن ثم توارث أهل العدوتين هذه الصناعة مدة إلى أن لم يبق منها اليوم إلا الاسم قاله في الاستقصا. ومن آثار الرباط ما كان فيه من الديار المعدة لضرب السكك الفضية والنحاسية كذلك كدار السكة المعروفة بهذا الاسم من حومة الجزاء وقفنا من آثارها بالرباط على بعض مسكوكات مضروبة باسم السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثم ما فيه من مارستانات كالمارستان القديم أمام الجامع الكبير قيل إنه من أثر أبي عنان المريني ويدل له تصريح ابن جزى في تهذيب رحلة الطنجي بأن من آثار أبي عنان بناء المارستانات في كل بلد من بلاد المغرب ولا زال اسم المارستان يطلق عليه حتى بعدا أن صار منجرة للأحباس أخيرا وأما المارستان الجديد بضريح سيدي محمد الغازي فهو من بناء السلطان مولاي عبد الرحمان إلى غير هذا من بقية الآثار الملوكية بالرباط نذكر منها أيضا السجن القديم بساباط القصبة وقد تقدم والسجن الحديث بدرب الحفرة في عهد السلطان أبي الربيع ثم ما يوجد فيه من المرافق والمنافع العمومية كبعض الحمامات والعيون والسقايات فإن منها ما هو حديث العهد ومنها ما هو قديم وجد مع ما وجد أولا من بنايات الرباط وقد تقدم قول الاستبصار. وفي مدينة الرباط قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها هـ. ولعل الحمام المذكور هو حمام السوق لأنه أقدم حمام يوجد في الرباط وأما حمام العلو فقد سبقت الإشارة إلى أنه من آثار بني مرين.

ويعرف في الحوالات الحبسية باسم الحمام الجديد حبسه أبو عنان المريني على ضريح والده أبي الحسن وعلى إطعام الطعام للمساكين بشالة كما جاء كل ذلك في رخامة التحبيس السابق ذكرها في فصل تاريخ شالة كما سبق أن حمام المدرسة إنما هو من بناء السلطان المظفر مولاي إسماعيل وحمام أكدال من بناء

السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأما حمام القصري فمن بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن كان وقت سكنى اليهود بحومة البحيرة دار يهودي يقال له القشري بالشين فصحف بالقصري وبقي الحمام يعرف به حتى بعد بنائه والذي باشر بناؤه هو المعلم الطيب بن سعيد والد المعلم المفضل كبير البنائين اليوم بالرباط.

أما باقي الحمامات فهي محدثة من بناء الأفراد كحمام الشرفاء والحمامين الجديدين حمام غنام وحمام والزهراء.

وأما المياه المطردة بسقايات الرباط ومساجدها فالذي كان أجراها أولا من عين غبولة هو عبد المومن الموحدي سنة 545 كما سبق، ثم أجراها من العين المذكورة ثانيا السلطان يعقوب المريني سنة ثلاث وثمانين وستمائة وذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج كما في الاستقصا.

وجاء في تاريخ الضعيف أن الذي أجرى مياه عين عتيك بالرباط هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولعله إنما جدد إجراءها وإلا فقد وقفت على ديوان القاضي أبي عبد الله مرينو الكبير وفيه التصريح بأن إجراء عين عتيك هو من آثار السلطان المقدس مولاي اسماعيل. قال إنه هو الذي أدخلها وأجراها داخل المدينة ومساجدها بتاريخ يوم الجمعة العاشر من صفر الخير عام خمسة وثلاثين ومائة وألف وأنشد في ذلك هذه القصيدة.

فللــه الكــريم الحمــد حقــا	**عــلى نعمائــه حمــدا وفاهــا**
ومــن أســنى الأيــاد في البرايــا	**خليفتــه الموفــق مــن حماهــا**
إبــان بنــصل جــده كــل هــزل	**وزان بعدلـــه فيهــا حلاهــا**
وأيــد ملــة الإســلام صــدقا	**وملــة غــيره قهــرا نفاهــا**
فكــم لــه مــن فتوحــات وغــزو	**مــشاهد نــصره أفرحــت غناهــا**
وكــم أحيــت عدالتــه نفوســا	**بتهيئــة العلــوم لــه مناهــا**
وكــم أحيــت مجادتــه بــلادا	**بــإجراء الميــاه لهــا تراهــا**
كما أحيا الربــاط ربــاط الفــتح	**بماء عتــيك جــدول في ثــراهــا**

إلى أن قال :

وقــال لـسان حــال عتيـك أني روي في الأقـــاول مــــن وعاهـــا
بــأن الـصالحين دعــوا لا بقــى رهـــين المـــرج يحبـسني حماهـــا
فكـم عانــا الملـوك وكـم أرادوا ومالبّـــت ميـــاهي مــــن بغاهـــا
فلـــما أن توجـــه لي إمــــام ســما عنـــد الإلاه الحـــق جاهـــا
أجبـــت نـــداءه لمـــا دعــاني ولبّينـــــا وأقبلنـــــا وجاهـــــا
وجئـت مهـرولا في كـل صـوب إلى الأقـــواس قـــد جرنـــا بناهـــا
مـددت طويـل جيـدي رغـم أنفـي إلى ذاك الـــسريج بـــــه يباهـــــا
فقــال أنظــر إلى قــدري وحــسني وقـــد ملئـــت جوانبـــه مياهـــا
ومنــه قــد جــرى الأنبـوب كـلي وأرغمـــت الـــذي بـــالمنع فاهـــا
واخرج منه عـنـد الـبـاب حـلـوا ليكرع من جــداولـنــا ظــمــاهــا

وهي قصيدة طويلة كلها في مدح السلطان والعين المذكورين وقد نقلت ما نقلت منها على علاقة للفائدة التاريخية التي هي درة يتيمة في عقد التاريخ الرباطي. ولم تزل هذه العين هي المادة الوحيدة المستعملة بالرباط لعدم وصول عين غبولة إلى داخل المدينة حتى بعد عام 1330 حيث اهتمت البلدية بتعميم قناة عين غبولة في الانتفاع وتخصيص الأولى للسقي والرش عملا بإشارة إدارة الصحة فوقع جلبها وصار المستخرج منها يوميا مبلغ ستة آلاف متر مكعب بعدما كان في أول الأمر لا يتجاوز ستمائة متر مكعب بيدانه أخيرا حصل أمر غير عادي فقل ماؤها بكيفية محسوسة ورغما عما أضيف إليه من مياه الآبار المحدثة حوالي المدنية فإنه لم يمكن تجاوز 5300 خمسة آلاف وثلاثمائة متر مكعب في اليوم وأصبح هذا المقدار وما معه من ماء عين عتيك المنتفع به في غير مسجد وآدي والبالغ 800 ثمانمائة متر مكعب غير كاف لضروريات العاصمة التي اتسع نطاقها وازداد عمرانها وستزداد نموا واتساعا ولذلك وقع التفكير من مصلحة البلدية في بناء سد على نهر أبي رقراق ولا زالت الفكرة تحت النظر ولو نفذت لكانت الفائدة جليلة بحصول العاصمة على جميع ما يحتاج إليه من الماء زيادة عن كون ذلك يساعد على تنظيم الري في وجتي سلا والرباط فتتضاعف ثروتهما وتتوفر خيراتهما من فلاحة وإنتاج والله أعلم.

(المعارف والمدارس والمكاتب بالرباط)

جاء في مقدمة كتابي تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط ما نص المراد منه – قال – غير خاف على من له المام بتاريخ المغرب أن الرباط مدينة عمارتها حادثة العهد ولم يكن بها أول بنائها إلا بعض الجنود والجيوش رابطة فيها. للسلطان المنصور بانيها. مع البعض من أهل شالة انتقلوا إليها لجدتها. ولم يتسع نطاق عمرانها. إلا بعد استيطان جالية الأندلس بها حين نفتهم دولة إسبانيا من الجزيرة الخضراء. في أوائل القرن الحادي عشر. فتفرقوا شذر مذر في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ووصلت منهم طوائف إلى الرباط فحلوا به وحصنوه وحسنوه بما بنوا فيه من البناءات الرفيعة والقصور البديعة وغيرها من الحمامات والديار والمنازل والمنازه والكل على الطرز الأندلسي فتمت بذلك عمارته. وزهت حضارته. وراجت تجارته. وراقت نضارته. وازداد ذلك لما أخنى الدهر الخؤون بشالة تلك المدينة المقدسة ولعبت بها أيدي الأيام حتى استحالت سعودها نحو ما آلت للخراب فانتقلت تلك البقية الباقية من أهلها إلى الرباط وانتقلت إليه سائر الصنائع والحرف والمعارف التي كانت بشالة بانتقال أهلها فأصبحت عند ذلك مدينة الرباط رافية في أوج العمران والرفاهية تجر ذيول التقدم على كثير من المدن المغربية سيما بعد ما أخذ أهل الفضل والعلم والأدب ينسلون إليها من كل حدب. فاستوطنها كثير منهم وبهم راجت بضاعة العلم بالرباط ونفقت أسواقه. وعمرت مجالسه. ولم تمض مدة يسيرة حتى نبغ من الوطنيين أجلاء ملكوا زمام الكتابة والتأليف والتدريس والوعظ والخطابة والفتيا والقضاء وسائر الرياسات الدينية ولم يزل كل ذلك إلى هذا العهد في نمو وازدياد يفوق الحد. ولله الحمد. أما في غير هذا التاريخ أعني قبل الألف بكثير. وبعده بيسير. فالأمر كان بضد ذلك كله بين جهل سائد. وعلم كاسد. لا عالم ينتفع بعلمه ولا مؤلف يهتدي بفهمه. إلا أفرادا قليلين لا يزيدون على حركات العوامل. وإن زادوا ما جاوزوا عدد الأنامل. ولا غرابة فتلك طبيعة العمران وحال البداية في الأوائل.

وجاء في آخر حلقة لسلسلة مقالاتي (ذكرى صلحاء الرباط) المنشورة في "السعادة" ترجمت فيها للشيخ الإمام أبي إسحاق التادلي إمام المجددين ومؤسس دولة النهضة الحالية بين الرباطيين ما نص الغرض. قلت أمام المجددين ومؤسس دولة النهضة الحالية بين الرباطيين وهي مقالة يغني فيها العيان عن البيان والتاريخ نعم القاضي على الماضي فقد مر على الرباط حين من الدهر لم تكن فيه سوق المعارف والعوارف نافقة نفاقها الذي زرعت بذر بضاعته منذ أواخر القرن العاشر إلا عند ما قرب انبثاق فجر القرن الحاضر وبعث الله على رأسه من يجدد أمر دينه فكان المترجم خير أمة أخرجت للناس (إن إبراهيم كان أمة) لم يزل يدعو ويرشد ويؤسس ويجدد وهو الخبير بإشادة ذلك البناء وابن بجدته الذي طالما لقب نفسه بالمجدد ووسمها بالمشيد إلى أن فتح الله من عين بصيرة أقوام أبصروا عند بزوغ فجر دعوته نورا هداهم إلى سبيل الاهتداء بهديه والتأدب بآدابه والرضاعة من ثديه بينهم طبقة من مشايخنا ومشايخهم الذين وقفوا الاقتفاء آثاره والطبع على غراره في التأديب والتهذيب فأصبحوا أعوانه بمدينة الرباط في الأخذ بصبعيها والأناقة بها على اليفاع لغاية تدرجت فيها اليوم بفضل تعاليمه للوقوف في مقدمة المدن المتقدمة علما وعملا وأدبا وفضلا (وليس الخبر كالعيان) هـ. الغرض من المقالة وأن فيه لدلالة على كون الرباط حادثة العهد في سبيل تقدمها العلمية وتفوقها الأدبي.

ولذا كانت المدارس العلمية القديمة قليلة بالرباط لا يوجد منها إلا مدرسة الملاحة جوار قصبة الأوداية بالمحل المعروف بالمدرسة. وقد تقدم ذكرها وهي التي كان الأندلسيون اتخذوها لتعليم فن الرماية والملاحة والقرصانية وباقي الفنون الحربية البحرية أيام لصوصيتهم وقيامهم بالغزو في السواحل الأوربية. ومنها مدرسة درب والزهرا أنشئت في عهد مولاي إسماعيل وكان يسكنها بعض طلبة العلم في العهد المذكور وهي التي صارت اليوم زاوية للطائفة الحراقية ومنها مدرسة الجامع الكبير وهي المارستان المريني الذي كان جعل مدرسة لطلبة العلم المترددين على دروس العلم بالجامع المذكور وأما المدارس المحدثة ولا سيما

الكتاتيب الأهلية فعددها ليس بالقليل ولو عني بإصلاحها وإدخال التنظيم العصري عليها لكان لها من الفائدة أمر جليل كما نشاهده في أخواتها مدارس الحكومة كالمدرسة الابتدائية بزنقة العكاري ومدرسة أولاد الأعيان بشارع العلو ومدرسة البنات بحومة سقاية ابن المكي والمدرسة اليوسفية بأكدال أعني المدرسة العليا الإسلامية إلى غير ذلك من المعاهد ولمدارس التي هي تحت نظر إدارة العلوم والمعارف وهي كثيرة ما بين وطنية وفرنسوية علمية وصناعية ابتدائية وثانوية وعليا. وأعلاها المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بربوة أكدال الخارجي قرب المعرض وهي التي ترقت اليوم عن اسم مدرسة وصار يطلق عليها اسم معهد الدروس المغربية العليا.

وقد كنت أيام توظيفي بها بصفة مدرس أنشأت سلسلة مقالات بجريدة السعادة في تأسيسها والغاية المقصودة منها كما أنشأت هذه الأبيات في تاريخ وضعها. ومحاسن صنعها.

على الطائر اليمنى أسست العليـا

وفوق مناط النجم والذروة العليـا

بدت غرة غراء في جبهــة الربــى

ولاحت لنا كالخال في وجنة الدنيا

وقال بشير السعد فيهـا مؤرخـــا

على الطائر اليمني أسســت العليا

142 1301 151 221 101

1916

أما المكاتب العلمية العمومية فلا يوجد قديما منها بالرباط إلا مكتبة المسجد الأعظم من حبس السلطان سيدي محمد بن عبد الله لأنه كان جمع عددا وافرا من الكتب العلمية يزيد على إثني عشر ألف مجلد وحبسها على مساجد الغرب فناب

الرباط قدر له بال منه تأسست المكتبة الحبسية لينتفع بها من هو أهل لها كما جاء في نص التحبيس. ومما جاء في بعض الوثائق المكتوبة على تلك الكتب أنه يشترط أن تكون على يد الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم السجلماسي صاحب العمل الرباطي وشارح العملى الفاسي فلم يزل القيم بتلك المكتبة مدة مقامه بالرباط إلى أن غادره بأمر مولوي إلى بجعد كما يأتي في ترجمته إن شاء الله. وبعد ذلك بقيت المكتبة بيد القضاة والنظار فتلاعبت بها الأيدي كما شاءت الأقدار بل في العهد الحفيظي أمر السلطان بإحصائها وانتخب منها ما انتخب ثم بقي ما بقي منها في حكم العدم إلى أن قوض الله به همة من أصدق الهمم وذلك لما تناولت يد الإصلاح أحباس الرباط فصدر الأمر المولوي لجناب ناظرها بالبحث عن البقية الباقية من تلك الكتب الحبسية في خزائن القضاة والنظار والبيوتات العلمية إلى أن جمعت من ذلك مائة وواحدا وثلاثين مجلدا كلها خطية منها تسعة عشر مجلدا من البيان والتحصيل لابن رشد وثمانية من نسخة تامة من البخاري وثمانية من القسطلاني وسبعة من ابن حجر وخمسة من المعيار وخمسة من الحلية وخمسة من شرح بناني على سيرة الكلاعي المسمى مغاني الوفا بمعاني الأكتفا وأربعة من شرح السدراتي على الموطأ ثم البعض من الزرقاني والترغيب والترهيب للمنذري والأحياء للغزالي والمدخل لابن الحاج والذخيرة ومختصر ابن عرفة وكبير الخرشي والمواق وشرح العمل والحطاب واختصار البرزلي والاستيعاب لابن عبد البر وشرح نظم ابن سينا في الطب وغيره وشرح التسهيل للدلائي وشرح الكافية لناظمها والمقامات الحريرية وكتاب البداية والنهاية وشرح المواقف والإصابة وشرح التهذيب والشيخ يحيى على المدونة وغير هذا من الكتب وكلها بخط مغربي والباقي وهو نحو العشرين مجلدا بخط مشرقي.

وتوجد مكتبة أخرى حبسية من آثار شيخ الجماعة بالرباط أبي إسحاق التادلي الرباطي رحمه الله كان حبسها على طلبة العلم بالرباط ولا يزال بعضها بخزانة قائمة في ضريحه والبعض منها تلاشى والبعض عند أولاده وكانت تشتمل على عدة كتب مطبوعة وخطية وعلى الكثير من مبيضات تآليف الشيخ أبي

إسحاق وهي مؤلفات عديدة تقدر بمائة وعشرين تأليفا في كثير الفنون ولكن جلها غير تام وأما المكاتب الخصوصية بالرباط فكثيرة من أعظمها مكتبة القاضي المرحوم الفقيه السيد أحمد بناني التي صارت بعده لورثته ثم مكتبة شيخنا شيخ الجماعة بالرباط القاضي السابق الشريف أبي حامد البطاوري أبقاه الله.

ومن المكاتب الخصوصية العامرة بالكتب في الرباط مكتبة المسيو لوريش المستشرق اللغوي قنصل دولة فرنسا سابقا بالرباط وهي من المكاتب والخزائن العامرة بالكتب الغربية بالمغرب.

ومما يوجد بها نسخة من المقامات عتيقة بخط الأديب مهذب الدين مهلب ابن حسن بن بركات الميلي المتوفى بمصر يوم الثلاثاء 21 من ذي القعدة الحرام عام 576 تاريخ كتابتها ثمان خلون من شهر ربيع سنة 574 وعليها سماع على الشيخ الإمام العالم الحافظ تقي الدين أبي الرضى أحمد بن طارق بن سنان القرشي. مقيدة علي بن محمد بن رحال الشافعي كتبه في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأخيرة سنة 578. وفي السماع المذكور أنه يروي الرسالة السينية والشينية عن شيخه أبي منصور الجواليقي عن الحريري وهنا سماع آخر على ابن طارق المذكور وفيه أنه يروي المقامات عن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن الشقور عن مؤلفها وتاريخ السماع سنة 577. وبعده بخط ابن طارق صحيح ذلك وكتب أحمد بن طارق في التاريخ هـ.

أما ما أنشأته الحكومة في المكاتب العمومية في الرباط فأعظمها مكتبة المدرسة العليا أي معهد الدروس المغربية العليا وقد أحدث لها اليوم محل خصوصي بجوار المعهد المذكور ونقلت إليه أخيرا بعدما صار يطلق عليها مكتبة الحماية وقد كنت خصصت للكلام عليها مقالة بين سلسلة مقالاتي المتعلقة بالمدرسة المذكورة كما سبقت الإشارة إليه آنفا وهذا نص تلك المقالة الخاصة بالمكتبة قالت :

ذكرنا في فصل التحسينات المدرسية أن من جملة التحسينات التي دخلت على المدرسة ما أنشئ بها من تلك المكتبة العلمية الجامعة العمومية التي يؤمها

الراغب ويقصدها الطالب فيظل فيها كأنه بين رياض وغياض وحياض أو حدائق ذات أنوار ورياحين وأزهار. وتجري من تحتها الأنهار وهو يتهافت نحوها تهافت الظمآن أو العاشق الولهان على تقبيل خدود الورد وارتشاف ثغر الزهر والريحان يقتطف تارة من أزهار العلم وأفنان الفنون. ويتقلد آونة أخرى من جواهر المعاني ودرر المباني ما يزري بالجوهر المكنوز والدر المكنون.

مكتبة لا أغالي إذا قلت إنها المكتبة الوحيدة المغربية أو قلت إنها من قبيل المكاتب العمومية الأوروبية أو قلت إنها ثالثة الأثافي لمكتبة الأستانة العربية ومكتبة مصر الخديوية بما تجمعه في بطون خزائنها من الذخائر العلمية وتكتنزه من المآثر الفنية حبا في تسهيل أسباب التعاطي على التلميذ المتعطش للارتواء من لبان المعرفة وارتضاع ثدي العلم والحكمة وسعيا وراء تحقيق سائر الوسائل والوسائط التي بها يتسنى للطالب الراغب في الاستزادة أن يجد ويكد في الاستفادة بما يجده بين أكنافها الفسيحة من وسائل البحث ومواد التنقيب والتنقير في العلوم على العموم قديمها وحديثها معقولها ومنقولها فروعها وأصولها أجل إن الواقف على هذه المكتبة وعلى ما جمعته مع قرب العهد بنشوئها من المؤلفات الغربية والمصنفات العجيبة والكتب العتيقة والخطوط الأنيقة يستنتج من ذلك ولا جرم أن همة من أعظم الهمم هي التي تحتاطها وتلحظها بعين الاهتبال والاهتمام ألا وهي همة سعادة المقيم العام الذي لم يزل يحوط هذه المكتبة منذ تأسيسها بسائر ضروب الرعاية والعناية آخذا بيدها في سبيل تقدمها وتوسيع نطاقها بما يجلبه لها بنفسه من المجلدات والذخائر الثمينة وبما يسعى في تحصيله لها من الهدايا النفيسة التي ترد عليها من المعاهد العلمية والمنتديات الأدبية وحسبك هذه من خدمة تذكر ومنقبة تسجل بين صفحات أعماله الخيرية وتشكر.

ولم يقف عند هذا الحد بل مرارا استدعى لزيارتها الوزراء الكرام في جملة من الرؤساء العظام وأعرب لهم عن مزيد إعجابه من تنظيم هذه المكتبة وترتيبها مع ماله من الشغف الزائد بالسعي وراء فائدتها بتكثير مقتنياتها ومستودعاتها وحثهم على مساعدته وشد عضده في هذا السبيل لما فيه من المنفعة العامة العائدة

على الجميع بالخير الجزيل والذكر الجميل وصرح لهم بأنه يعلم كثيرا من الخزائن التي كانت عامرة وبقيت مهملة في زوايا النسيان مدفونة في سجوف الإهمال إلى أن أخنت على بعضها الأيام وضربت عليه بسرادق من نسيج العنكبوت وهبت على البعض الآخر رياح الضياع وذهبت البقية الباقية أدراج الأطماع. مع أنه في الإمكان إحياء موات تلك الآثار بجلبها لمكتبة مثل هذه تتعهد بحفظها وضبطها ضبطا يخول للجميع حق الانتفاع بها والاستمتاع بنفائس مجوهراتها. لا سيما والمبدأ الذي أسست لأجله هذه المكتبة هو أن تكون بحيث يصح أن يطلق عليها اسم المكتبة الإسلامية المغربية بما تقتنيه من الآثار الإسلامية ومآثر علماء الإسلام عموما. والآثار المغربية المحررة بقلم المغاربة خصوصا. وبالأخص فيما هو متعلق بالتاريخ الإسلامي الإفريقي المغربي.

ولقد سبق لجريدتنا السعادة الإشارة إلى هذا المعنى فلم يبق علينا إلا أن نرد بجماح قلمنا إلى استلفات أنظار علماء بلادنا عموما وأبناء نهضة شبيبتنا الحادثة خصوصا، وأخص الأخص أدباء العدوتين (ولأي شيء نستلفت أنظارهم).

نستلفت أنظارهم إلى التمتع بهذه الغنيمة الباردة والقطيفة السهلة التناول ولو بزيارة المكتبة حينا بعد حين.

فالمكتبة اليوم مستعدة لاستقبال كل زائر كريم واقتبال كل أديب لبيب ومساعدته بما شاء في أي وقت شاء إلى أن يرجع قرير العين مبتهج الصدر باسم الثغر بما يحصل عليه من الفرائد والفوائد والشوارد والزوائد.

وهي دائما فاتحة أبوابها في وجوه زائريها ولا تقتصر على يوم معين أو أسبوع دون آخر بل تقابل زوارها صباح مساء وتقتبلهم يوميا من الصباح إلى المساء إلا يوم الأحد وايام المواسم الدينية والأعياد الرسمية.

ولأجل هذا الغرض وقياما بهذا الحق المفترض جعل عليها قيم خاص مجبول على الهش والبش معروف بلين الجانب ودماثة الأخلاق فأنيط به أمر مراقبتها والقيام بشؤونها والنظر في مصالحها وإليه ترجع مسؤوليتها في دفع كتاب

أو إعارته على وفق القانون المسنون من استلام خط يد المستعير بشرط أن يكون معروفا وأن لا تنيف المدة على الخمسة عشر يوما إلى غير هذا من الشروط الشاملة من كان داخليا من المدرسة أو خارجيا عنها إلا الأساتذة فلهم نوع فسحة بنوع رخصة ليست لغيرهم.

أما تنظيمها على الطريقة الحادثة وترتيبها على النسق العصري الموافق للنظام الموجود ببقية المكاتب العمومية الأروبية فالفضل فيه يرجع إلى المسيو كوتنير الكتبي الشهير بباريز فقد جاء بدعوة خصوصية من قبل مدير المدرسة وعهد إليه بأمر المكتبة فثابر على العمل بجد ونشاط لما له من الدراية السابقة حتى أتم مهمته في أقرب وقت فدون فهارس القسمين العربي والإفرنجي بطريقة عملية تسهل على المشغلين البحث فيها فكونها من صفحات متحركة أي بطاقات صغيرة مرتبة بحسب الفنون على الحروف الهجائية مكتوب عليها اسم الكتاب ومؤلفه واسم الفن والمطبعة إذا كان مطبوعا وهكذا.

ولا يخفى أن هذه الطريقة المثلى التي تجعل المكتبة على الدوام كاملة شاملة لكل ما يرد عليها من الكتب الجديدة خلافا لبعض المنتقدين الذي ارتأى أفضلية الفهارس المجموعة المطبوعة في دفتر خاص كأنه غفل أو تغافل عما تضطر إليه ولا بد من تكميلها بطبع ملاحق من وقت لآخر كلما ورد عليها من المؤلفات التي تظهر في كل وقت من الأوقات.

وبالجملة المغنية عن التفصيل فقد أصبحت هذه المكتبة بفض تنظيمها وعظيم مكنوناتها ومكنوزاتها معدودة من مفاخر المكاتب العلمية وحسبك أنها تشتمل على عدة آلاف من المجلدات عربية وأفرنجية خطية وغير خطيةزيادة على الجرائد والمجلات التي ترد عليها في كثير من اللهجات وزيادة على الكتب القديمة والحادثة العهد التي تعهدت بالبحث عنها وإنساخها وربما سعت في طبعها على نفقتها. وزيادة على ما ازدانت به متاحفها من طرف الفنون الجميلة والآثار القديمة التي يعثر عليها الباحثون تحت سجوف التراب وذلك بضواحي

شالة ومدينة وليلى حيث يوجد الكثير من آثار مصنوعات الرومان والبربر ساكني هذه البلاد من قبل. وزيادة على كثير من الدفاتر العظيمة المشتملة على أعداد من الصور والأشكال الهندسية.وكثير من الآثار الفنية والمآثر الصناعية في جملة من تماثيل الرسوم التخطيطية المنقولة من أبدع الصنائع والبناءات التي أجراها الله على يد العالم المتمدن في القديم والحديث.

فما علينا إذن إلا أن نردد عبارات الإطراء والثناء على من تخلدت في سجلات أعمالهم الخيرية أمثال هذه الأعمال المبرورة والمساعي المشكورة مكافاة لهم حتى بكلمة طيبة لهديها لهم على حد. من أسدى إليكم معروما فكافئوه.

(الفلاحة والغراسة بالرباط)

كنت فيما مضى حررت مقالة بين أعمدة جريدة السعادة تحت عنوان (أين الغراسة بالرباط) أتيت فيها على ذكر تطورات الرباط من حيث الغراسة والفلاحة فرأيت من المناسبة إثباتها هنا لما اشتملت عليه من الفائدة التاريخية وهي هذه الغراسة من قبيل الفلاحة يتعرف من فنهما كيفية تدبير النباتات والمغروسات من أول نشوئها إلى منتهى كمالها تارة بإصلاح الأرض إما بالسقي أو بما يحميها من المعفنات كالسماد أو يحميها في أوقات البرد والأهوية المختلفة. وتارة بعلاج تلك المغروسات وحفظ نباتاتها من الجوائح والأعراض والأمراض.

وقد أثبت التاريخ أن العدوتين كانتا في مقدمة المدن المغربية المعتنية بالغراسة واستغلال التربة الزكية واستثمار الأراضي الصالحة حتى كان لأجنتها وحدائقها ذات الفواكه الشهية نوع امتياز من حيث الصلاح والطيب وحسن المذاق بل والكثرة والأثرة.

بلغت كثرة الأجنة بالرباط مبلغا كاد يساوي ما فيه من المنازل والديار، إن لم نقل يفوقه سيما أيام الدولتين المرينية والسعدية. فما شئت من عرصات حول عرصاته وحدائق تحدق به وبساتين محيطة بالأسوار. إحاطة السوار. الأمر الذي يدل على ما كان لأهل من العناية بصناعة الغراسة والاستثمار.

وهل ما زال الأمر كذلك ؟ ولم لم يزل كذلك جوابنا أن مدينة الرباط لما اتسعت دائرة عمرانها وضاق نطاق بنيانها عن إيواء قاصدي استيطانها طفق البناء فيها يمتد إلى خارج السور الداخلي (سور أهل الأندلس) وبذلك أخذت المنازل تزاحم المنازه وابتدأ ذلك أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله وهو أول من أمر باستئصال شافة أجنة أكدال بالرباط وقطع ما فيه من الأشجار المثمرة وغيرها وانتجهه طرقا وفصله دورا وأزقة وحوانيت ومساجد لمن أنزلهم هناك من العبيد والحرس بقصد حراسة داره الفخيمة.

ولما جاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وحاول تجديد ما اندثر من ذلك البناء والزيادة في القصر الملوكي فعل مثلما فعل سلفه ببعض الأجنة وهي القضية التي قام عليه فيها أهل الأجنة يطلبون منه النصفة إلى أن انفصلت عن ضرب من الصلح بإعطائهم ثمن جناتهم. وما ضاع لهم من غلاتهم.

أما بعد الحماية واتخاذ الرباط عاصمة إدارية مخزنية فلا تسل عما فقده الرباط من الأجنة والبساتين ما صار اليوم مدينة جديدة لسكنى الفرنسويين ومركزا للإقامة العامة القديمة والجديدة وغيرها من الأبنية والمراكز المتكاثرة يوما فيوما هنا وهناك.

إذا لا عجب فيما قلناه من أن الرباط لم تبق كما كانت في عهدها القديم وافرة الغلال. وارفة الظلال. لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب. نعم يتساءل هل من الممكن أن يتلافى الرباطيون ما أتلفوه أو تلف لهم ؟ وإذا كان من الممكن فلم لم يفعلوه ؟. جوابنا عن السؤال الثاني أنهم لم يفعلوا لميل جميعهم اليوم للدعة والتوسع بأسباب الترف والانغماس في نعيم الحضارة العريقة فيهم. وجوابنا عن السؤال الأول أن تلافي الرباطيين لما أتلفوه أو تلف لهم من الأجنة والأراضي حتى تعود الرباط من حيث الغراسة إلى حالتها الأولى أو أحسن هو في نظرنا لبس من الأمر العسير. بل من الأمر اليسير. لو شاءت همتهم تعويضها بتلك الأراضي الفيحاء خارج السور الخارجي ثم غرس ذلك بأنواع المغروسات الممدودة

الظلال. المقصورة على الفواكه والغلال. فيحصلون على فائدتين مزدوجتين فائدة مادية بتعويض ما فقدوه من الأراضي والاستغلال. وفائدة أدبية باسترجاع ما فقدته المدينة من الميزة والشهرة من حيث طيب الفواكه وكثرة الغلال.

وحسبنا في مثل هذا أن نعمل بمقتضى الإرشادات والنصائح التي تبثها لنا جريدة السعادة حينا بعد حين فقد تقدم لها قريبا وما بالعهد من قدم – فكتبت مقالة طنانة بقلم محررها الفاضل تحت عنوان (الغلال والفواكه المغربية) أتت فيها على بيان ما للغلال من الدخل العظيم في ثروة البلاد وسكانها ومما صرحت به أننا إذا رجعنا إلى إحصائيات فرنسا فيما يتعلق بالأرباح المتوفرة من وراء غرس الأشجار المثمرة يتأتى لنا القول بأن ربح المغرب من وراء ذلك سيكون أكثر من الربح المنجز من فلاحة الحبوب بل أن بعض المتبصرين يقولون إن الربح من الأشجار المثمرة يتجاوز في هذه البلاد حتى الربح من الفسفاط ولو بعد توسيع نطاق استغلاله.

فعلينا بتلافي ما أتلفناه من الأجنة والأراضي الصالحة حتى نستفيد ونفيد، ونتنفع وننفع. ولا نعتمد في الغراسة على ما عندنا من علم وتجربة فقط بل فليكن اعتمادنا أيضا على الأساليب الفلاحية والطرق الحديثة ا لعصرية في غرس الأشجار واستثمارها أي طبق القاعدة العلمية العملية التي طالما أرشدتنا إليها إدارة الفلاحة فيما أسسته من الحدائق المتعددة للتجربة أو ألقته على مسامعنا من المسامرات الفنية بواسطة مفتشيها والاختصاصيين من مستخدميها رغبة في إرشادنا إلى خير الوسائل النافعة والوسائط الناجعة العائدة علينا بالنجاح وعلى غراستنا وفلاحتنا بالفلاح.

هذا وقد علمنا أن بعض المولعين بفن الغراسة قد أسس شركة وطنية فرنسوية للسعي حول هذه الغاية نفسها من إرشاد الوطني إلى العمل بالقاعدة العلمية في الغراسة وإحداث محلات جديدة للتجربة وللتوليد وتسهيل غرس الأراضي الصالحة بمغروسات ثابتة الجذور يمكن الحصول من ورائها على دخل

دائم منتظم وبيع كل ما يحتاجونه الملاكون وأرباب الأجنة من المغروسات لأجنتهم الخصوصية. وإفادتهم بما يحمي تلك المغروسات من الأعراض والأمراض إلى غير ذلك مما تحملته تلك الشركة على كاهلها وقررته في قانونها الأساسي.

ولا ريب أن هذه الشركة الوحيدة من نوعها بالمغرب قد جاء تأسيسها في وقت مناسب يعلم فيه كل المهتمين بمثل هذه الشؤون الفلاحية مقدار الخدمة الجلى التي ستقدمها لهم فيقدرون قدرها وذلك ما يبشر بأنه لا تكاد تمر علينا بعض أيام حتى نظفر بضالتنا المنشودة ولا نبقى نتساءل (أين الغراسة بالرباط).

ومما نشرته السعادة أخيرا بقلم أحد مساعديها الكرام هذه المقالة البديعة تحت عنوان (مستقبل الرباط الفلاحي).

قالت :

مستقبل الرباط الفلاحي يلوح أنه سوف يطرأ عيه تحسن ظاهر بالنسبة لما وصلت إليه حالة الفلاحة الرباطية في السنوات الأخيرة وذلك إذا اعتبرنا مبادئ النهضة الفلاحية التي أخذت تدب اليوم في نفوس الرباطيين دبيبا وإن كان بطيئا فسينمو تدريجيا وتكون له نتائج سارة بحول الله.

الرباط في الأصل بلدة فلاحية أكثر منها صناعية وتجارية. أما حضارتها الحاضرة التي برزت اليوم فيها على كثير من مدن المغرب وتفوقت في التأنق في أساليبها تفوقا خاصا ألفت لها الأنظار وشهد لها به القاصي والدان فإنها لم تكن لها من قبل ولم يكن لسكانها بها هذا الشغف الكثير الذي عم الصغير والكبير بل كان همهم الأكيد مقصورا على فلاحتهم وماشيتهم وكان الواحد منهم يظل في حقله يزاول أعماله بيده أو يراقب من ينوب عنه في حراثته فإذا جن الليل عاد بماشيته لمربضها المجاور لمنزله حيث تبيت هناك وحيث يقوم بحلب لبانها فيأكل من محصولات زرعه ويشرب من خيرات ضرعه ويبيع ما فضل عنه من ذلك وهكذا كانت عيشة السواد الأعظم من أهل الرباط عيشة بسيطة مرضية خالية من كل

زخرفة وتأنق ولكنها مع ذلك أشبه بعيشة أهل الفردوس لما كانت محفوفة به من عوامل الهناء والاطمئنان وأسباب السعادة والاغتباط.

ولم يكن ذلك لبداوة فيهم أو خشونة في طبيعتهم بل كانت نفس الواحد منهم وهو في حقله قابضا على محراثه وبين حرثه وماشيته ترمي دائما إلى التأنق والتفوق وتميل لجانب الحضارة والمدنية وما اشتغالهم بمثل هذه الأمور إلا من باب الاتكال على النفس والاعتماد على العمل حتى لا يكونوا عالة على غيرهم من جوارهم أهل البادية إن شاءوا جلبوا لهم الأقوات وإن شاءوا قطعوها عنهم ولا سيما عندما تحدث بين الجانبين منافرة ومقاطعة وكانت في ذلك الوقت كثيرة الوقوع الخ هـ. الغرض من المقالة. وإن فيه لدلاله.

(التجارة والصناعة بالرباط)

الحركة التجارية بالرباط وإن كانت متأخرة بالنسبة لحركة الدار البيضاء وفاس فهي متقدمة بالنسبة إلى غيرهما من المراسي والمدن وقد أصبحت مدينة الرباط اليوم بعد بناء مرساها فائزة بأمنيتها من حيث تأييد مركزها التجاري بعد تأييد مركزها الإداري وتحققت بذلك الآمال التي طالما كانت تعلق على إصلاح المرسى ووجود السكة الحديدية بين ظهرانيها على أن مرسى الرباط وإن كانت مزاحمة بمرسى القنيطرة فالنقطة المتوسطة التي تبعث الرباط السلعة إليها وتجلب الموسوق منها هي غير النقطة القريبة من القنيطرة فمرسى الرباط هي مرسى بجعد وزيان وزمور وزعير بل ومكناس أيضا وما تحتها من القبائل ولنترك فاسا وما حولها من القبائل والغرب وزاوية وازان لمرسى القنيطرة ففي دائرة كل مرسى منهما ما يكفي لروجان الأشغال التجارية وحركة دواليب الأعمال الاقتصادية وهذا ما جعلنا في اطمئنان من حيث تأييد المركز التجاري لمدينة الرباط التي لا يعوزها إلا عدم وجود شركات أهلية تقوم بترويج حركته الصناعية ولا سيما ما هو مطلوب من الصنائع والبضائع كصناعة الزرابي الرباطية

التي لها المقام الأول بين الزرابي المغربية والطرز الرباطي الذي أصبح من التحف في مفروشات الدور الأجنبية، ثم البلغة المطلوبة في السودان والبلاد المصرية، والبطانية المرغوب فيها بين الأسواق الأروبية إلى غير ذلك مما نرى بعض الشركات الأجنبية قائمة على ساق في الاستفادة من ورائه في الأسواق ولا يزاحمهم في ذلك إلا بعض الحذاق من تجار الرباط وقليل ما هم .

أما قديما فقد كانت رحى التجارة الرباطية دائرة على قطب عدة مصنوعات كان لأصحابها في ذلك العهد القدح المعلى والمقام الأعلى بين غيرهم وذلك كالكتان ومصنوعاته والجلود ومصنوعاتها، والفخار ومصنوعاته مما كانت سفنهم ومراكبهم التجارية تحمله إلى بلاد الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى وسواحل مصر إلى أن اتصل المغرب بأوربا وفتحت أبواب التجارة في وجوه الأجانب الذين زاحموا مصنوعات القطن والكتان الوطنية بما نسجوه على منوالها وجاءوا بها الطف شكلا وأخف ثمنا الأمر الذي قضى على صنعة الحياكة بالرباط وغيره بعدما كانت باب رزق يلجه العمال فيثرون ثم أصبحوا اليوم عالة يتكففون. وأما الجلود ومصنوعاتها فلا زال لها روجان كصنعة الفخار التي هي من أعظم الصنائع والحرف بالرباط ومعاملها كثيرة جدا يصنع فيها الأواني على اختلافها ولا سيما النوع المزدج منها الذي كاد أن يكون خاصا بالرباط وكذلك الآجر المزدوج الملون المعروف بالزليج الرباطي وكذلك الزليج الفاسي نظير المصنوع بفاس ومما كان يعتني به الرباطيون قديما عصير العنب وصنعة حلواء الفانيد كان يحمل الأول للإتجار به في سائر بلاد الأندلس ويحمل الثاني إتحافا إلى كثير من البلدان وكان في الرباط أيضا أكثر من معمل واحد لصنع الصابون المغربي الممتاز بلونه وقوامه على غيره وقاعدة صنعه هي هي في سائر البلاد المغربية تؤلف أجزاؤه من الزيت والقلى والرماد ويطبخ على النار فتتحد عناصر تلك المستحضرات بعضها ببعض ويتولد منها مزيج لزج ضارب إلى الحمرة وهو في غاية من الجودة ولولا المزاحمة الخارجية لبقى هذا الصنف بيد الأهليين غير أن

التفوق في الأمور العصرية غلب على بقايا الصنائع ليصوغها في قالب أمتن عصري أليق بأهل الحضارة والرفاهية والحاصل أن الصنائع الرباطية كيفما كان حالها من الروجان وضده فإن حالتها اليوم يغر حالتها بالأمس كما يتبين لك من مضمون مقاله أنشأها جناب المسيو شامبيو المراقب المدني ببلدية الرباط سابقا في موضوع الصنائع الرباطية وبيان حالتها أيام الحرب الكبرى وإليكها كما جاء نشرها في القسم الغير الرسمي من الجريدة الرسمية لكن باختصار واقتصار قال المراقب المذكور الغرض من هذا الدرس إظهار حقيقة حالة الصناعة الرباطية بعد عامين ونصف من الحرب الحاضرة، أي بعد مدة تعذرت فيها مواد الصناعة وارتفعت أثمانها بسبب شراء تلك المواد لحاجات الجيش وبسبب تعذر الصادر والوارد وغلاء المعيشة ووقوف حركة الروجان وعوامل عديدة دخلت في سيران الصناعة والتجارة فتصاعدت معها أثمان المواد التي يشتغل بها الصناع وحسبنا أن تقرر حالة كل صنعة على حدة فنبتدئ مثلا (بدرازين الصوف) وقد كان عدد الأنوال في السنين المتأخرة يزيد عن ستين نولا فلم يبق منهم اليوم إلا تسعة يشتغل على كل نول ثلاثة من الحياكين ولا يوجد عند هؤلاء من المتعلمين أحد لأن العائلات الرباطية أقلعت عن تعليم أولادها حرفة تجد أن دخلها غير كاف للمعيشة في الوقت الحاضر فعلى الحكومة الإدارية أن تعتني بهذا النقصان وتسد العوز والحاجة إذا كانت تريد الاحتفاظ والاستبقاء بهذه الحرفة الجميلة المفيدة لأن الدراز يشتري قنطار الصوف اليوم بمبلغ تسعين ومائة ريال وكان يشتريه سابقا بمبلغ عشرين ريالا ويضطر نظرا لغلاء الصوف أن يزيد ثمن مصنوعاته فابتعد عنه الشاري وقل الطلب عليه والمشتغلون بالدراز اليوم يشتغلون دائما على حسابهم وحساب التجار.

وتأتي بعد هذه الطائفة (طائفة درارزين القطن) فقد قل عدد هؤلاء جدا منذ سنين وكان بلغ عددها 200 معلم وأربعمائة صانع فلم يبق منهم في احترافها إلا ثلاثة عشر معلما وثمانية صناع وثلاثة متعلمين.

ويظهر أن سبب تأخر هذه الحرفة منافسة مراكش للرباط فيها باجتهاد بعض المعلمين الرباطيين الذين هاجروا الرباط إلى مراكش وفتحوا الأنوال لغزل القطن وحياكته بالحمراء والسبب الجوهري غلاء القطن الوارد من منشستر فقد زاد ثمنه مائة بالمائة فاضطر الحياك أن يزيدوا أثمان مصنوعاتهم فامتنع الكثيرون عن شرائها نظرا لغلاء المعيشة والخلاصة فهذه الطائفة تجتاز أزمة صعبة.

(طائفة الدباغة) توجد في الرباط 28 دار للدبغ يستثمرها غالبا بعض الأرباب إما بالاشتراك أو بالاختصاص وعدد صناع الدباغة الرباطية يناهز الثلاثمائة منهم مائة في ريعان العمل ومائة وخمسون متعلمون وخمسون من المعلمين العجز الغير القادرين على العمل وكان عدد هؤلاء الدباغين قبل الحرب يزيد على خمسمائة دباغ فاضطر 200 منهم لترك العمل مؤقتا لاحتراف أمور أخرى واحترف البعض ببيع الخضر والبعض الشيالة والبعض يطلب عملا ولا يجد ومن هذا التفصيل يرى القارئ مبلغ أزمة الدباغين في الوقت الحاضر.

(طائفة الخرازين) وهم صناع البلغة والبابوش والسباط والصناعة الجلدية على العموم وكان عددهم سابقا 140 معلما يحترف معهم 220 متعلما وكانت صناعتهم رائجة قبل عشرة من السنوات حتى انقطع وسق البلغة إلى مصر والجزائر والسنيكال والسودان ونافست بلغة فاس بلغة الرباط حتى في الرباط وغلت أجور المتعلمين فصار المتعلم الماهر يقبض بسيطتين ونصفا إلى ثلاثة بساسط باليوم وكان سابقا لا يقبض أكثر من نصف بسيطة وارتفعت أجور أكرية الحوانيب وتضاعفت، ومما أثر جدا في هذه الصنعة غلاء أثمان الجلد. وعليه فحسب الحكومة أن تحتفظ بالكمية اللازمة من الجلد لمصلحة الخرازين وأن تسهل لهم تناول الدبغ والمواد الكيماوية التي تحل محل ما ذكر وأن تطلب الحكومة من حكومتي الجزائر وإفريقيا إرجاع تصدير البلغة إلى تلك النواحي كما كان العمل بالماضي وأن تبذل الجهد في ترويج البابوش المطرز بالحرير وخيط الفضة والقصب للبس الغادات في الدور الباريسية. (أما طائفة الطرافين) فلم تتأخر

حرفتهم جدا وأعمالهم جارية على أحسن منوال بعكس الخرازين فهم في عسر لعدم وجود المواد اللازمة لأعمالهم. (طائفة الخياطين) وعددهم عشرون معلما ولا يوجد من لا يجد شغلا بين محترفي هذه الحرفة. (والصباغين) وعددهم سبعة معلمين وعاملان وخمسة صناع يشتغل الكل بدون انقطاع مع قلة العمل لأنه كان عندهم كمية كبرى للصباغة التي تشحن إلى السنيكال فنفدت وجل شغلهم الآن بصبغ الصوف للزرابي.

(والصياغين) عدد الصياغين سبعة عشر صائغا معلما منهم ستة عشر من اليهود ومعلم مسلم وعندهم عشرة من المساعدين وسبعة عشر متعلما ستة عشر من اليهود وواحد من المسلمين، وقد أقلع ثلاثة من الصياغ منذ ابتداء الحرب حتى الآن عن الصنعة لأنهم لم يجدوا فيها من الأرباح ما يكفيهم لمعيشتهم فسافر اثنان منهم إلى الدار البيضاء والثالث سافر إلى البرازيل.

ثم إن هؤلاء الصياغين لا يشتغلون الآن إلا يومين بالأسبوع وكانت أرباحهم بالماضي تبلغ خمسة عشر بسيطة يوميا فصارت اليوم لا تتجاوز ثلاثة بساسط ونصف بسيطة ومن عنده منهم فضلات متوفرة يأكل منها اليوم وسبب انحطاط هذه الصنعة عدم تبرج ذوي اليسار بالحلي نظرا للضيق العام الحاصل في المعيشة وقد زادت أثمان الفضة والذهب فكيلو الفضة كان يساوي سابق 28 ريالا مخزنيا ويساوي الآن أربعين ريالا. وقد قل الذهب إذ صار من الممنوع تذويب السكة الذهبية واضطر الصائغ أن يشتري الحلي القديمة ليذوبها ويشتغل بها بإصلاح غيرها وكان ثمن الرهج الذي يمحص الذهب يساوي الكيلو منه عشرة بساسط وهو يساوي اليوم مائة وأربعة وعشرين بسيطة وقلما يجده الطالب وكان ثمن الزئبق اثنى عشر بسيطة للكيلو فصار الآن خمسين بسيطة وتضاعف ثمن الأمونياك وعليه فأصحاب اليسار لا تشتري الحلى نظرا لغلاء ثمنها والصائغ لا يمكنه أن يوجدها بسهولة وجل الأعمال الآن مقصورة على بعض التصليحات.

(والحدادين) وعددهم سبعة عشر معلما بالرباط عند كل معلم خادم وصانع وأشغالهم كثيرة في فصول ثلاثة.

الفصل الأول : قبل الحرث – سكك للحرث والفلاحة.

الفصل الثاني : قبل الحصاد – صنع مناجل للحصاد.

الفصل الثالث : قبل جز الصوف – صنع مقصات للجز.

وفي غير هذه الفصول قلما يجد الحدادون من الأشغال التي تروج صناعتهم وعلى كل حال فعندهم دائما منها ما يكفي للقيام بأود المعيشة وقد قلت عندهم أعمال الشبابيك الحديدية والفيسان والقفولة والمطابخ بسبب الواردات من هذه الأنواع من الأسواق الأوروبية والسبب في هذا يرجع إلى ميزة مصنوعات أوربا على المصنوعات الوطنية.

(القصادرية)

القصادرية ستة في الرباط وعند كل معلم متعلم وشغلهم صقل مواعين المطابخ والتلحيم ولا يشتغل واحد منهم في صنع آنية جديدة لأن الإنسان يستحسن الآنية المصنوعة في أوربا على الآنية المصنوعة هنا.

(البرادعية)

البرادعية هم المشتغلون في صنع البرادع للحمير والبغال وعددهم سبعة وعند كل معلم متعلم وأشغالهم متواصلة.

(الفخارين)

كان يشتغل في الفخارين عادة مائة معلم مع خمسين متعلما وقد بطل أكثر من الثلث اليوم ويقول عريفهم إن البطالين بطلوا عن كسل والشغل كثير موجود ولو نظرنا مدققا إلى صنعة الفخار وجدنا نقصانا بينا في الصنعة بسبب غلاء نقل المواد الدلغانية والدوم وكراء المحلات وأجور الصناع والناس لا تشتري كالماضي للعسر العام.

(والبنائين)

إن البنائين في الرباط عددهم الأصلي لا يزيد عن 25 إلى خمسين معلما وزاد عليهم 150 إلى 200 معلما من سلا وقد تحسنت حالة هؤلاء جدا نظرا للأشغال الكثيرة الموجودة والتي وجدت بعد الاحتلال والمقاولون الأوروبيون يفضلون المعلم الأجنبي لأنه يشتغل من الساعة الخامسة صباحا حتى الساعة الخامسة مساء والمعلم المسلم يشتغل من الساعة السابعة حتى الساعة الخامسة فقط وعسى أن يحصل التفاهم في هذا الأمر ويعتمد المقاول الأجنبي على اليد العاملة الوطنية دون غيرها.

(الرحوية)

عدد الرحوية في الرباط الآن سبعة وكان عددهم قبل الاحتلال خمسة وثلاثين والنقصان يرجع إلى إنشاء مطاحن بخارية وعما قريب تقفل أبواب الرحوية الوطنية لأنها عاجزة عن مناظرة آلات البخار التي تعجل بالطحن وأقل ثمنا بالأجرة وأنعم طحنا من الحجر. انتهى ما وقفت عليه من مقال المراقب المذكور وبإنتهائه وانتهائك معي إلى هذا الحد لا شك أنه يخالجك أيها القارئ من لواعج الأسى والأسف حول الصناعة الوطنية ما يحملك على أن تكبر عليها أربع تكبيرات إذا لم يلهم الله الوطني المسكين ويؤيده بروح من عنده فيقوم قومته لتلافيها قبل نلقها وذلك بالمحافظة على صبغتها والسعي في ترويجها وترصد الأسواق بها وزيادة التأنيق فيها والبعد عن التدليس والتلبيس حتى لا تحل محلها صنعة أخرى أجنبية فتزاحم صناعتنا وتسلم أسواقها بالبوار والكساد لا قدر الله.

(العمران وعدد السكان بالرباط)

منذ كان الرباط رباطا وهو معمور بالسكان معروف بالعمران. حتى قبل بنائه وتخطيط فنائه على ما سبق عن ابن حوقل من أنه كان إذ ذاك يربط فيه المرابطون. وعددهم مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون. ولم يزل الرباط كذلك

مأهولا مأنوسا بالعمارة حين اتخذه الموحدون مقر الوزارة والإمارة. واستفحل عمرانه بالجيوش ساكنيه. للمنصور بانيه. وكان يقدر عددهم بالآلاف المؤلفة كانت تذهب لغزو الأندلس من جملة الجنود. فترجع منصورة الألوية مكللة البنود بل اجتمع فيه مرة للموحدين من عساكر هم ومن قبائل العرب والبربر أزيد من ثلاثمائة ألف فارس فيها من جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل إلى أن ضاقت بهم أرض قصبة الرباط وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس إلى حلق المعمورة كما يعلم من أخبار الدولة الموحدية لدى تأهبها للغزو وجمع عدده وعددها حول قصبة الرباط الأثرية ولكن في أواخر أيام يعقوب المنصور أصابت الرباط عين الكمال. فلم يبق له ما عهده من ذلك الاستفحال وتلك هي الغصة التي شربها يعقوب. ولم يكتمها لما حضرته شعوب. ولو عاش رجبا لفضى من تجدد عمارته أيام الدولتين السعدية والعلوية عجبا ولذلك قال صاحب كتاب المجد الطارف والتالد في التنكيت على ابن الخطيب الذي لم يفرد الرباط بمقامة واحدة في مقامات البلدان أنه لو أدركه زماننا هذا يعني أواخر القرن الماضي (فما بالك بالقرن الحال) من جهة الحضارة ودثور المال والأبنية الأنيقة وكونه صار تخت الملك وإيوانه السامي ومحط رجاله لأفرده بالذكر هـ.

وكان ابتداء تجدد هذه العمارة من عهد السلطان زيدان السعدي الذي جعل فيه من طوائف أهل الأندلس ما يقدر عددهم بنحو ثلاثة آلاف كما تقدم. وكانت العمارة الرباطية بلغت من الضعف أيام الدولة المرينية. إلى حد لم يبق معه عدد الديار بالرباط سوى نحو المائة مع بعض الأبنية. ومن عدد الساكن سوى ما يناسب هذه المساكن رغم الرغبة التي كانت لهذه الدولة في سبيل التجديد، وإحياء الرباط من جديد. وهذا عندي عذر ابن الخطيب. في عدم إفراد الرباط ذاك بالتبويب. وأما بعده فقد انقلب الحال. وأخذ عدد السكان في ازدياد والعمران في استفحال. إلى أن صار أهل الرباط قبل الاحتلال يقدرون بنحو العشرين ألفا من الوطنيين المسلمين واليهود، بينهم ثلاثمائة فقط من النصارى

وبعد الاحتلال زاد عدد النصارى إلى نحو عشرة آلاف ما عدا الجنود والموظفين العسكريين كما أسفر عن ذلك إحصاء عام 1917 وقريب منه إحصاء عام 1921. الذي نتج منه أن جملة قاطني الرباط عدا العسكريين وعائلاتهم 29 الفا و523 منها 18 الفا و723 مسلمين و5 آلاف و302 فرنساويين و3 آلاف و4 يهود و1096 إيطاليين و1216 اسبانيين و29 انكليزيين ولبنانيين وصينيين و6 سوريين و4 من الجمهورية الفضية و4 بولونيين وروسيا و30 سويسريين و34 يونانيين وبلغاريا و8 سربيين و54 من البرتقيز و8 من بلجيكا هـ. هكذا جاء في إحصاء عام 1921. والذي نتج عن الإحصاء الأخير وهو إحصاء هذه السنة 1926، أن مجموع سكان الرباط واحد وأربعون ألفا ونيف فمن الأهليين المسلمين 20 ألفا و700 نسمة ومن الأوربيين 16 ألفا و787 نسمة ومن الإسرائليين 3 آلاف و276 نسمة. والعلم له وحده.

(أهالي الرباط)

أهالي الرباط أقسام شلاويون وسلويون وفاسيون ومختلطون ومرابطون وأندلسيون وإسلاميون وإسرائيليون.

فمن فريق أهل شالة أولاد الشلاوي انتقلوا منها إلى الرباط في جملة الشلويين ولا تزال بيدهم بعض رسوم وملكيات لما كان لهم بها من الديار والرباع. وكذلك أولاد أبي الشكاوي وآل سيدي أبي الشكاوي دفين شالة ويعرف البعض منهم بأولاد ابن الخضر ثم آل ابن العامري والمحرزي وكان المحرزيون يعرفون بأولاد الحمير[10] وآخر من عرف منهم محمد بن عبد الله المحرزي أحد العدول بالرباط آخر القرن الثاني عشر ثم السيد محمد الحمير محتسب الرباط بتاريخ 1223. وكان من أ هل شالة قديما الشرفاء الكتانيون الموجودون اليوم بفاس كما تلقيت ذلك عن الشيخ أبي السعود الكتاني ذكرا أنه يوجد في بعض رسومهم القديمة التصريح بأن أصلهم من شالة استوطنوا بها زمنا طويلا ومنها انتقلوا إلى فاس. وعليه فانتقال البعض منهم اليوم إلى الرباط هو انتقال متأصل. معدود من باب الحنين بأول منزل.

10 - بالتصغير.

ومن فريق أهل سلا بعض البيوتات آثروا الانتقال لدواع وأسباب كأولاد السلاوي والبربري والرايسي وبوحدو والشدادي وابن يوسف وفنيش من آل عبد الحق فنيش قائد سلا الشهير انتقلوا بعد محنته الشهيرة في التاريخ بأمر مولوي. وكذلك أولاد زنيبر انتقل البعض منهم للرباط لمحنة أصابتهم من عامل سلا بتاريخ 1159 وكان بينهم عالمهم الكبير وقاضيهم الشهير أبو عبد الله محمد بن حجي زنيبر السلاوي تلميذ العكاري والغربي فبقى مهاجرا بالرباط مدة مديدة إلى أن عاد لسلا وبها توفي سنة 1194.

وكذلك الشرفاء القادريون بالرباط أصلهم من سلا كانوا قاطنين بها عام 1130 كما وقفت على ذلك في ظهير اسماعيلي بالتاريخ المذكور.

ومن فريق أهل فاس كثير من البيوتات انتقلوا إلى الرباط للاتجار أو غيره فاستوطنوها واتخذوها قرارا وموطنافحسبوا من أهلها وذلك كأولاد كسوس وبناني والتازي والأزرق وبوهلال ولحلو والقباج وأولاد جسوس منهم من هم من قبيل العلامة أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس شارح الشمائل وغيرها وأولاد بناني قيل أنهم من نسل شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام شارح الاكتفاء وبحث فيه بأن عقب ابن عبد السلام المذكور انقرض بالكلية في حدود سنة 1200. ومما يؤيد هذا ماهو مكتوب على ظهر نسخة من الخرشي تسعية موجودة بخزانة كتب جامع القرويين من أن النسخة المذكورة كان حبسها التاجر بمصر الحاج أحمد الشرايبي الفاسي الأصل على ابن عبد السلام المذكور وعقبه وأنه إذا انقرض العقب المذكور ترجع لأحباس القرويين وحين انقرض العقب المذكور حيزت النسخة المشار إليها للخزانة وكتب ما ذكرنا على ظهر كل سفر منا بشهادة أبي عبد الله محمد بن عبد المجيد الفاسي وأحمد بن محمد بن سليمان وذلك بتاريخ 2 ربيع سنة 1201 كما تلقيته عن الشيخ أبي السعود حياه الله. ولنا كلام في أصل هذه العائلة الفاضلة. ذكرناه في غير هذه العجالة العاجلة.

ومن فريق المختلطين ما يوجد في الرباط من باقي المدن كما تدل على ذلك نسبتم كأولاد البيضاوي. والصوري. والمراكشي. والمكناسي. والوزاني.

والعرايشي. والتطاوني. وغيرهم ومن أهل تطوان بيت أولاد ابن عبد الله الشهير وأما ما يوجد في الرباط من قبائل العرب وغيرها من الأحواز المختلطة. فمن سجلماسة السادة العلويون السجلماسيون أبناء مولاي علي الشريف الحسنيون. ومن تافيلات بيت أولاد برق الليل البيت المعروف بالرباط وبالفيلاليين يعرفون في رسوم القديمة ومن عرب الساقية الحمراء أولاد بوجندار وينتسبون إلى سيدنا عبد الله بن جعفر. ولنا كلام على هذه النسبة في ترجمة قريبنا عالم البيت الجندري الفقيه السيد المكي بوجندار قدس سره.

ومن سوس أولاد السويسي كما تدل لذلك نسبتم ومن دكالة أولاد الدكالي وأولاد فرج وأولاد الغربي. وقيل في أولاد فرج أن أصلهم الأصيل أندلسي وإذا صحت نسبتهم إلى فرج الأندلسي كانوا عثمانيين من بني عثمان ابن عفان كما في كتاب الأنوار النبوية. ومن تادلة أولاد التادلي ينتسبون إلى سيدنا جابر بن سليمان دفين قصبة تادلة. ومن شرشال عمالة الجزائر أولاد الشرشالي المعروفين بالبطاوري ينتسبون إلى الإمام أبي مهدي عيسى الغبريني عصري الإمام ابن عرفة ومفتية أيام ولايته. ومن تلمسان أولاد بورقية بيت حديث العهد بالرباط وكانوا يعرفون هناك بأولاد ابن عبد الرحمن ثم شهروا باسم جدتهم للأب الأعلى. ومن الجزائريين بيت الحجويين الجعفريين انتقلوا إلى حواضر المغرب لأسباب تاريخية في دولة بني زيان وفي دولة المولى إسماعيل وهم ثعالبة من صميم عرب اليمن بينهم فصيلة من آل جعفر بن أبي طالب منهم الولي الشهير سيدي عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر ومن بني أولى قبيلة بالشاوية أولاد الأوراوي وينتسبون إلى الشرفاء العزوزيين.

إلى غير هؤلاء من ذوي المجد العريق المنخرطين في سلك هذا الفريق. والبعض كما ترى يدعي الشرف ولكن أصرحهم نسبا السادة العلويون والشرفاء الوزانيون فإن في مثل نسبهم يقال :

نسب كان عليه من شمس الضحى

نورا ومن فلق الصبـــاح عمـــودا

ومن فريق المرابطين بعض أهل الزوايا كالسادة الناصريين والمباركيين والشرقاويين والعيساويين والعابديين ثم بيوتات أخرى عريقة في المجد والفقضل كأولاد ابن الجناوي وقد ذكرنا نسبتهم في غير هذا المحل. وكذلك أولاد الضعيف آل الضعيف المؤرخ الشهير وقد انقرض بيتهم اليوم أو كاد ثم إن بعض هؤلاء يزعم الشرف حيث كان أباؤهم من أرباب الزوايا والصلاح ظنا منهم أن كل صالح شريف من آل البيت وليس كذلك، فإن الصلاح لا يختص به أهل البيت بل كل مؤمن ينبغي أن يكون صالحا.

ومن فريق أهل الأندلس جل العائلات الموجودة في الرباط اليوم كآل بركاش والزبدي والزهراء وبلافريج ومارسيل والقرطبي وتكيطو وملاط ودنية والرندة وابن الكاهيا وملين ومرينو واشكلانط وبلانبو وابيرو وبراد ومتجنوش وطيفور واللوشي وعاشور ولباريس وبسير وكريسبو وابن طوجة وكيلطو وبربيش وسباطة وتمورو ورودياس وبلامينو وبريس وباينة وبونو وضاكة والدقاق والحداد وزبرو وفشردو والعماني والقسطالي والتونسي والقصري وقريون ومدون وقديرة وابن قدور وبن عمرو وابن الطاهر وبن الفقيه وابن دهاق وفلوريش.

إلى غير ذلك مما هو معلوم. وفي الرسوم مرسوم. وربما يوجد في بعض الرسوم كثير من البيوتات الأندلسية انقرضت اليوم كأولاد الدك وشنتياك ودعنون وعبدون وبلاكو. وفلوريش ولازال اسم الرئيس المعطي فلوريش من الشهرة بمكان في الرباط. وكذلك اسم زنقة الدك. وجامع الدك. والعرصة الدعنونية وغيرها. وكذلك أولاد بلسيو وآخر من عرف منهم السيد عبد الرحمن بلسيو ناظر الزاوية القجيرية بالرباط أواخر القرن الثاني عشر ثم أولاد بزازة وكنضرون وابن منديل وابن الضيف والحمري والعظمي وبلدور وفرندنو وآخر من عرف من هذه البيوتات بعض المريدين من تلامذة الشيخ سيدي محمد الفخيري ثم بيوتات أخرى لازالت في المرسوم والرسوم محفوظة ملحوظة. وقد

يوجد في بعضها نسبة أهلها نسبهم الحاضر وذلك كأولاد عاشور يعرفون في الرسوم القديمة بأولاد الرشلي وأولاد الجزولي من بيت أولاد لميرو وآخر من تسمى منهم بهذا الاسم رجل يسمى المحجوب لميرو أدرك الكهولة وليس له أولاد فنذر أن زيد عنده ولد يسميه باسم السيد محمد الجزولي أحد المأذونين من قبل الشيخ ابن عيسى السفياني المنسوبة إليه الطائفة العيساوية وكان السيد المحجوب ينتسب إليها ويعتقد شيخها وبالفعل لما رزق ولدا ذكر أسماه محمد الجزولي وفاء بنذره، فبقي يعرف به فقط وتنوسى نسبه الأول إلا في الرسوم والشهادات العدلية فكان يذكر فيهما معا كما أفادنيه صديقي الشاعر الفحل السيد محمد الجزولي نجل الفقيه الناسك التقي السيد بنعاشر بن حسان المادحين الرجل الصالح الذاكر الخاشع السيد الحاج بوشعيب بن السيد محمد الجزولي لميرو المتقدم ولا تزال بعض عقاراته تعرف به كدار الجزولي لميرو وهي دارنا الكبرى بزنقة قورية التي تملكها من أحد أولاده جدي للأم السيد الحاج محمد بن محمد بوجندار. وبها كان مسقط رأسي واندراجي من عشي فسقيا لها من دار.

رجع ولأول نظرة يلقيها القارئ على هذه الأسماء والألقاب الأندلسية يدرك منها ما هو عربي أصيل أو معرب دخيل تولد من احتكاك العرب بالإسبان والامتزاج بهم فتعجمت أسماؤهم لذلك ولاسيما الذين بقوا مدة تحت حكمهم بل منها ما هو عجمي محض كان لأشراف من العائلات الإسبانية الأصلية ولما دخلت في دين الله القويم لم تغير ألقا بها الخاصة بها لما كانت عليه بالطبع من الجاه والحسب مثل بونو أو ابن بونو اسم لكثير من أدباء الأندلس وأصله اسباني محض معناه الطيب والجيد ولا يزال لقبا لعائلات اسبانية إلى الآن كما أن هناك أعلاما عربية محضة تعجمت واستسبتت ولا تزال أسماء لبعض الإسبانيين إلى اليوم مثل قديرة مع أن أصله عربي. وعائلة أولاد قديرة وأولاد بن قدور شهيرة بالرباط وغيره انظر شرح هذا المعنى في آخر كتاب السفر إلى المؤتمر للرحالة المصري الشهير أحمد زكي عند كلامه على امتزاج العرب بالإسبان والاستشهاد على ذلك بالأسماء والألقاب فقد أفاض في البيان والإفادة.

ومما أفاده أن من خصائص الألقاب الأندلسية التي تفرد بها أهل الأندلس المسلمون زيادة الواو والنون لإفادة القوة والشدة والتفخيم مثل ابن خلدون وبدرون وزيدون وعبدون وحسون وغيرها من الأسماء التي سرد منها ما ينيف على الخمسين. والذي نستنتجه نحن من ذلك أن بيت أولاد قريون ومدون بالرباط هي من البيوتات الأندلسية الإسلامية الأصيلة انتهى.

وفي كتاب الأنوار النبوية ذكر لجماعة من أشراف هذه البيوتات الأندلسية كأولاد بن الفقيه وبرقوق وهما من أهل النسب بالرباط وسيأتي التصريح بأن نسب أكثر أهل الأندلس من قريش والأنصار ومن بقايا العرب الذين التزموا طاعة الاسبان والبقاء تحت حكمهم على شروط اشترطوها عليهم حين استيلائهم على غرناطة سنة 897. وانقراض ملك العرب من الأندلس.

ومن فريق الإسلاميين بيوتات لا داعي لبيانها محافظة على العواطف كانوا أسلموا بالرباط وليس لهم دار سواه وقد سوى الإسلام بين هؤلاء وبين غيرهم في الحقوق وقرر أن لا فضل لعربي على عجمي في الذاتيات إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ومن فريق الإسرائليين عائلات كثيرة يرجع أصل بعضها إلى إسرائيلي الأندلس الذين طردتهم اسبانيا فهاجروا مع من هاجر من العرب المسلمين وقد كان هذا الفريق يسكن بحومة البحيرة من الرباط ثم أُخرجوا منها بأمر السلطان أبي الربيع إلى حيث يوجد ملاحهم اليوم بوقاصة. قال المؤرخ الضعيف في حوادث 1222 من تاريخه ثم جاء أمر السلطان لأهل الرباط ولأهل سلا على أن اليهود يخرجون من ملاح سلا وملاح الرباط ويبنون ملاحا آخر في طرف المدينة ولا يبقون مختلطين بديارهم مع ديار ا لمسلمين وعين ليهود الرباط الجنانات التي بحومة وقاصة واشترى الأرض من عنده وحبسها على اليهود فأقلعوا الكرم والدوالي والبرقوق والإجاص وفي متم ثلاثين من جمادى الأولى طلع المعلم الحسن السوداني وفصل لهم الملاح بحومة وقاصة المذكورة وصارت اليهود تبني

الديار والأفران والطواحين والحوانيت إلى أن قال في حوادث عام 1223 أنه في يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان العام المذكور خرجت اليهود أهل الذمة الذين بالرباط من ملاحهم القديم للملاح الجديد الذي بوقاصة لما كمل بناؤه وخرج آخرهم يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان المذكور بالبكاء والصياح والعويل ووافق السادس من أكتوبر.

(استطراد في نسب جالية الأندلس وسبب هجرتهم)

رعيا لكون جل أنساب أهل الرباط أندلسية وأن البيوتات النبيلة والعائلات الأصيلة فيه كلها أو جلها من بقايا جالية الأندلس رأيت أن انقل في شرف نسبهم ما يصلح أن يكون دليلا لمن يفتخر بالانتماء إلى جانب حسبهم وذلك ما جاء في خاتمة كتاب الأنوار النبوية في آباء خير البرية. وهو كتاب خطي عزيز الوجود لأبي عبد الله النسابة سيدي محمد بن عبد الرفيع الأندلسي المتوفي في رجب عام اثنين وخمسين وألف. وهذا نص المراد من خاتمة ذلك الكتاب وقد تضمنت زيادة عن فائدة الأنساب فائدة خروج الأندلسيين وما دعى إليه من الأسباب. قال رحمه الله وبوأه من الفردوس أعلى القباب. قد كثر الإنكار علينا معشر أشراف أهل الأندلس من كثيرين من إخواننا في الله بهذه الديار الإفريقية من التونسيين وغيرهم حفظهم الله تعالى بقولهم من أين لهم الشرف وقد كانوا ببلد الكفار دمرهم الله ولهم مئون من السنين كذا وكذا ولم يبق فيهم من يعرف ذلك من مدة الإسلام وقد اختلطوا من النصارى أبعدهم اله تعالى إلى غير ذلك من الكلام الذي لا نطيل به ولا أذكره هنا صونا لعرضهم وحبي فيهم فأقول وبالله التوفيق. والهادي إلى أقوم طريق. مع أني صغير السن حين دخولنا هذه الديار عمرها الله تعالى بالإسلام وأهله بجاه النبي المختار صلى الله عليه وسلم. فقد أطلعني الله تعالى على دين الإسلام بواسطة والدي رحمة الله علينا وأنا ابن ستة أعوام وأقل مع أني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لاقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام فكنت أتعلم فيهما معا وسني حين

حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام. فأخذ والدي لوحا من عود الجوز كأني أنظر الآن إليها مملسا من غير طفل ولا غيره فكتب لي فيه حروف الهجاء وهو يسألني حرفا حرفا عن حروف النصارى تدريبا وتقريبا فإذا سميت له حرفا أعجميا كتب لي حرفا عربيا فيقول لي حينئذ هكذا حروفنا حتى استوفى لي جميع حروف الهجاء في كرتين فلما فرغ من الكرة الأولى أوصاني أن أكتم ذلك حتى عن والدتي وعمي وأخي وجميع قرابتنا وأمر لي أن لا أخبر أحدا من الخلق ثم شدد علي الوصية وصار يرسل والدتي إلى فتسألني ما الذي يعلمك والدك فأقول لها لا شيء فتقول أخبرني بذلك ولا تخف لأني عندي الخبر بما يعلمك فأقول لها أبدا ما هو يعلمني شيئا وكذلك كان يفعل عمي وأنا أنكر أشد الإنكار ثم أروح إلى مكتب النصارى وآتي الدار فيعلمني إلى أن مضت مدة فأرسل إلي من إخوانه في الله الأصدقاء فيسئلني فلم أقر لأحد قط بشيء مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى نفسه للهلاك لإمكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين.

وقد كان والدي رحمه الله تعالى يلفتني حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتي للأصنام وذلك أنه قال لي إذا أتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرا في نفسك سرا قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون إلى آخرها وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما. فلما تحقق والدي رحمه الله تعالى أني أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلا عن الأجانب أمرني أن أتكلم بإفشائه لوالدتي وعمي وبعض أصحابه الأصدقاء فقط وكانوا يأتون إلينا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع فلما رءا حزمي مع صغر سني فرح كثيرا غاية الفرح وعرفني بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام فاجتمعت بهم واحدا واحدا

وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان مدينة ابن مالك إلى غرناطة وإلى قرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للإسلام فتلخص لي من معرفتهم أني ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثونني بأمور غرناطة وما كان بها في الإسلام حينئذ وبها أقوله بعد وقلته قبل فسندي عال لكون ما تم إلا واسطة واحدة بيني وبين أيام الإسلام بها. فباجتماعي بهم حصل لي خير كثير ولله المنة وقد قرءوا كلهم رحمهم الله على شيخ من مشايخ غرناطة أعادها الله للإسلام يقال له الفقيه اللوطورى رحمه الله تعالى ونفعنا به فإنه كان رجلا صالحا وليا لله فاضلا زاهدا ورعا عارفا سالكا ذا مناقب ظاهرة مشهورة وكرامات زاهرة مأثورة قد قرأ القرآن الكريم في مكتب الإسلام بغرناطة قبل استيلاء أعداء الدين عليها وهو ابن ثمانية أعوام وقرأ الفقه وغيره على مشايخ أجلاء حسب الإمكان لأن الوقت ضاق في السر والإعلان لشدة القتال والحصر الذي كان عليهم مع صغر سنه ثم بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدي المسلمين أجدادنا وقد أذن العدو في ركوب البحر والخروج منها لمن أراده وبيع ما عنده وإتيانه لهذه الديار الإسلامية أبقاها الله تعالى عامرة بالإسلام إلى يوم الدين وذلك في مدة ثلاثة أعوام ومن أراد أن يقيم على دينه وماله فليفعل بعد شروط اشترطوها وإلزامات كتبها عدو الدين على أهل الإسلام فلما تحركوا لذلك أجدادنا وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم للخروج من بينهم وجاز إلى هذه الديار التونسية والحضرة الخضرا بغتة من جاء إليها حينئذ ودخلوا في زقاق الأندلس المعروف الآن بهذا الإسم وذلك سنة اثنين وتسمائة وكذلك للجزائر وتطاون وفاس ومراكش وغيرها ورءا العدو العزم فيهم لذلك نقض العهد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم ومنعهم قهرا عن الخروج واللحوق بإخوانهم وقرابتهم لديار الإسلام وقد كان العدو يظهر شيئا ويفعل بهم آخر مع أن المسلمين أجدادنا استنجدوا مرارا ملوك الإسلام كملك فاس ومصر حينئذ فلم يقع من أحدهما إلا بعض مراسلات ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

ثم بقي العدو يحتال بالكفر عليهم غصبا فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي والجماعات والحمامات والمعاملات الإسلامية شيئا فشيئا مع شدة امتناعهم

والقيام عليه مرارا وقتالهم إياه إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق في علمه فبقينا بين أظهرهم وعدو الدين يحرق بالنار من لاحت عليه إمارة الإسلام ويعذبه بأنواع العذاب فكم أحرقوا وكم عذبوا وكم نفوا من بلادهم وضيعوا من مسلم فإنا لله وإنا إليه راجعون حتى جاء النصر والفرج من عند الله سبحانه وحرك القلوب للهروب وكان ذلك سنة ثلاثة عشرة وألف لهجرته صلى الله عليه وسلم فخرج منا بعض للمغرب وبعض للمشرق خفيةمظهرا دين الكفار أبعدهم الله فخرج بعض أحبابنا وإخواننا وهو الفقيه الأجل المدرس الشريف لأمه أبو العباس أحمد الحنفي المعروف بعبد العزيز القرشي ومعه أحد أخواله رحمهم الله تعالى إلى مدينة بلغراد من عمالة القسطنطينية العظمى فالتقيا بالوزير مراد باشاه وزيره السلطان المعظم المرحوم السلطان أحمد بن السلطان محمد نجل آل عثمان نصرهم الله تعالى وأيدهم فأخبراه بما حل بإخواننا الأندلس من الشدة بفرانسة وغيرها فكتب أمر الصاحب فرانسا دمرها الله بإعلام السلطان نصره الله يأمره بأن يخرج من كان عنده من المسلمين الأندلس وخدام آل عثمان نصره الله ويوجههم إليه في سفن من عنده مع ما يحتاجون إليه. فلما قرئ الأمر السلطاني في ديوان الفرانسيس فسمعه من كان عنده مرسلا من قبل صاحب الجزيرة الخضراء وهو اللعين فيليبوا الثالث فأرسل لسيده وهو يخبره بالواقع وأن السلطان أحمد نجل آل عثمان أرسل أمره إلى فرانسا. وأمر صاحبها بأن يخرج من كان عنده من الأندلس فقبل كلامه وأمر بإخراج المسلمين وأذن لمن جاء من الأندلس بأن لا بأس عليهم وأن يركبوا عنده في سواحله مراكبه ويبلغهم إلى حيث شاءوا من بلاد المسلمين. فلما أحس بهذا الأمر عدو الله فليبو صاحب اسبانية دخله الرعب والخوف الشديد. وأمر حينئذ فجمع أكابر القسيسين والرهبان والبطارقة طلب منهم الرأي وما يكون عليه العمل في شأن المسلمين الذين هم ببلاده كافة فبدا الشأن في أهل بلنسية فأخذوا الرأي وأجمعوا كلهم على إخراج المسلمين كافة من مملكته وأعطاهم السفن وكتب أوامر وشروطا في شأنهم وفي كيفية إخراجهم وشدد على عماله بالوصية والاستحفاظ على كافة المسلمين من الأندلس نعم أريد

أن أذكر له نبذة يسيرة اختصرتها وترجمتها من جملة أسباب ذكرها الملك الكافر أبعده الله في أوامره التي كتبها في شأن إخواننا الأندلسيين حين إخراجهم من الجزيرة الخضراء لتكون. على بصيرة من أمرهم وتعلم بعض الأسباب التي أخرجوا لأجلها على التحقيق لا كما يزعم بعض الحاسدين وليؤ يد ذلك ماقدمناه آنفا من أمر السلطان أحمد المنصور بالله نجل آل عثمان نصرهم الله آمين وتكمل الفائدة ولئلا يساءوا الظن بنا معشر الأندلسيين فأقول وبالله التوفيق قال الملك الكافر أبعده الله تعالى وزلزله آمين لما كانت السياسة السلطانية الحسنة الجيدة موجبة لإخراج من يكدر المعاش على كافة الرعية النصرانية في مملكتها التي تعيش عيشا رغدا صالحا والتجربة أظهرت لنا عيانا أن الأندلسيين الذين هم متولدون من الذين كدروا مملكتنا فيما مضى بقيامهم علينا وقتلهم أكابر مملكتنا والقسيسين والرهبان الذين كانوا بين أظهرهم وقطعهم لحومهم وتمزيقهم أعضائهم وتعذيبهم إياهم بأنواع العذاب الذي لم يسمع فيما تقدم مثله مع عدم توبتهم مما فعلوه وعدم رجوعهم رجوعا صالحا من قلوبهم لدين النصرانية وأنه لم ينفع فيهم وصيانا ورأينا عيانا أن كثيرا منهم قد أحرقوا بالنار لاستمرارهم على دين المسلمين وظهر منهم العناد بعيشهم نية خفية واستنجادهم كذلك عون السلطان العثماني لينصرهم علينا وظهر لي أن بينهم وبينه مراسلات إسلامية ومعاملات دينية وقد تيقنت ذلك من إخبارات صادقة وصلت إلي ومع هذا أن أحدا منهم لم يأت إلينا ليخبرنا بها هم يدبرونه في هذه المدة بينهم وفيما سبق من السنين بل كتموه بينهم علمت بذلك أن كلهم قد اتفقوا على رأي واحد ودين واحد ونيتهم واحدة وظهر لي أيضا ولأرباب العقول والمتدينين من القسيسين والرهبان والبطارقة الذين جمعتهم لهذا الأمر واستشرت مع أن من إبقائهم بيننا ينشأ عنه فساد كبير وهول شديد بسلطتنا وأن بإخراجهم من بيننا يصلح الفساد الناشئ من إبقائهم بمملكتي أردت إخراجهم من سلطنتنا جملة ليزول بذلك الكدر الواقع والمتوقع للنصارى الذين هم رعيتنا طائعين لأوامرنا وديننا ورميتهم إلى بلاد المسلمين أمثالهم لكونهم مسلمين انتهى المراد بأكثر لفظه ولم أتعرض لذكر شروط

كتبها ودققها فانظر رحمك الله كيف شهد عدو الدين الملك الكافر بأنهم مسلمون واعترف أنه لم يقدر على إزالة دينهم من قلوبهم وأنه متمسكون كلهم به مع أنه كان يحرق منهم من ظهر عليه الدين ثم وصفهم بالعناد لرؤيته فيهم لوائح المسلمين وإماراتهم فأي علامة أكبر من صبرهم على النار لأجل دين الحق ومن استنجادهم ملك دين الإسلام المؤيد لحماية الدين أمير المسلمين السلطان أحمد نجل آل عثمان نصرهم الله تعالى فهذا غاية الخير والعز والبركة لهذه الطائفة الطاهرة الأندلسية التي قال فيها شيخنا الأستاذ القطب الغوث سيدي أبو الغيث القشاش نفعنا الله تعالى به دنيا وأخرى في بعض مكاتبه التي كان يكاتبني بها في بعض شأنهم حين قدومهم إلى هذه الديار أدامها الله للإسلام فقال لي وسلم لي على هؤلاء الأنصار الأطهار الأخيار فإنه لا يحبكم إلا مؤمن ولا يبغضكم إلا منافق انتهى بلفظه ويؤيد كلام الأستاذ رحمه الله تعالى الأحاديث الشريفة السابقة في أول هذا الكتاب في الفصل الأول منه في النوع الثالث منها كحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه وحديث على رضى الله عنه وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب إلا منافق وغيرهما وكما جاء في شأن قريش لثبوت نسب أكثرهم[11] منهم ومن الأنصار الخزرج والأوس وغيرهما تغليبا فضلا عن من هو منهم من الأشراف من ذرية الحسن والحسين والعباس وغيرهم رضى الله عنهم من بني هاشم كما سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى مع ما تقدم والله سبحانه أعلم وبه التوفيق فخرجوا كلهم سنة تسع عشرة وألف ووجد في دفاتر السلطان الكفار أبعده الله تعالى آمين أن جملة من أخرج من أهل الأندلس كافة نيف وستمائة ألف نسمة كبيرا وصغيرا فكانت هذه الواقعة منقبة عظيمة وفضيلة عجيبة لجماعتنا الأندلسيين زادهم الله شرفا بمنه وأمر أيضا بإخراج من كان مسجونا في كافة مملكته وكل من كان أمر بإحراقه فأحرقه وعفا عنه وزوده وأرسله إلى بلاد الإسلام سالما ولا يخفى أن هذا أمر عظيم ومحال عادة فسبحان رب السموات

11 – أي أكثر الأندلس من قريش وبقرطبة اليوم مشهور مقبرة تسمى بمقبرة قريش قاله غير واحد من أكابر العلماء منهم الحافظ الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري صاحب العلة.

ورب الأرض الذي إذا أراد أمرا قال له كن فكان فيالها من أعجوبة ما أعظمها ومن فضيلة ما أشرفها ومن كرامة ما أجملها ومن نعمة ما أكبرها فما سمع من أول الدنيا إلى آخرها مثل هذه الواقعة إلا ما حدثني به شيخنا العلامة ساسي نوينه الأندلسي حفظه الله تعالى فقال روى أن جيشا من المسلمين غزا بعض مدائن الكفار فلما وصل الجيش إلى هذه المدينة وخرج جيش الكفار بآلات حربهم وتصاف القوم خرج شاب من جيش المسلمين وقال هل من مبارز فخرج إليه قرنه من الكفار فقته الشاب ورجع عنه إلى المسلمين وأصبح من الغد ففعل مثل ذلك فحين رءا ذلك ملك الروم اهتم وقال لعسكر الكفار إذا خرج الشاب وطلب البراز فخرج إليه قرنه فإذا تشابكا أهجموا عليه وخذوه فلما أصبح وخرج الشاب وطلب البراز وخرج إليه قرنه هجم عليه جيش الكفار فجاءوا به وأدخلوه السجن وكبلوه وغللوه وفرح ملكهم وبقي يشرب ثلاثة أيام سرورا بأخذ الشاب وقال بعد أخذ الشاب كأني أخذت عسكر ا لمسلمين كله ثم دخل عليه الملك ليلا فقال له من الذي أدخلك السجن فقال مولاي ونظر إلى القيد والجامعة بين يديه فقال له الملك ولم أبقاك في السجن فقال لأمر أرداه فقال الملك أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأصبح أهل المدينة كلهم يقول أشهد لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال الشاب للملك حينئذ إنما أبقاني في السجن لأجل هذا انتهى ولا ريب أن هذا من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أكرمه الله ربنا سبحانه بمثل ما أكرم به كافة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما أحسن قول الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

تتباهى بك العصور وتسمو — بك علياء بعدها علياء

(الرؤساء وبيوتات الرياسة بالرباط)

بيوتات الرياسة بالرباط كثيرة نشير إلى بعض من تبوؤوا مقاعدها الوثيرة. ممن كانت لهم أثرة وشهرة إلى هذه الأيام الأخيرة. نذكر منهم أولا بيت آل مرينو بيت العلم والفضل والجلالة. والقضاء والحسبة والعمالة. والإمامة والخطبة والعدالة. وكان البعض منهم أحد أعضاء مجلس النواب الأندلسي أيام استقلال الأندلسيين في عهد السعديين والدلائيين ومن مشاهيرهم السيد عبد القادر مرينو قائد الرباط والقصبة في عهد مولاي رشيد والقائد أحمد حجي مرينو عامل الرباط في عهد مولاي إسماعيل ولعله المذكور باسم القائد حجي مرينو في حوادث عام 1166 من تاريخ الضعيف على أنه مات مقتولا ثم جماعة منهم تداولوا قضاء الرباط قيل أن عددهم عشرة ذكرت منهم في كتاب تعطير البساط. بتراجم قضاة الرباط. أربعة فقط وهو من وقفت إذ ذاك على تراجمهم ثم وقفت بعد ذلك في تاريخ الضعيف على أن محمد ابن القاضي المهدي مرينو ممن تولى القضاء الرباطي أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله وذلك باتفاق أهل الرباط عليه عند وفاة والده في اليوم العاشر من رمضان سنة 1188.

وممن تولى خطة الحسبة منهم بالرباط أبو الفضل السيد عباس مرينو كان من زعماء الرباطيين أنصار المولى مسلمة بن محمد ضد مولاي هشام والمولى أبي الربيع بعد وفاة مولاي اليزيد إلى أن تفوي في حادثة مولاي سليمان مع أهل الرباط وآخر من ظهر من هذا البيت جماعة من العدول والخطباء في العهد السليماني ثم الأمين السيد المعطي مرينو وبعده مال نجم هذا البيت للأفول وانزوت أفراده في بيت الخمول.

ومن بيوتات الرياسة بالرباط قديما آل شنتياك وآل ابن طوجا وأولاد التونسي وأولاد القرطبي وأولاد القصري وأولاد ابن عبدون وأولاد الدك كلهم تقدمت فيهم رياسات.

وكان أسلافهم من أهل الحل والعقد بين أشياخ الأندلس الجمهوريين كما سبقت الإشارة إليه نقلا عن المؤرخين مويط ودو كاستري في رحلة الأول وتاريخ الثاني. وقد تقدم ذكر أحمد شنتياك من بين رؤساء أهل الأندلس وفي تاريخ الضعيف ذكر المحتسب شنتياك الأندلسي محسب الرباط بتاريخ 1209. وسيأتي ذكر من كان من عمال الرباط من أولاد القصري.

ومن البيوتات التي تداولت عمالة الرباط في عهد مولاي عبد الله آل الولتيتي وآل أبي جندار واللوشي. وصيرون. وغيرهم كما للمؤرخين الضعيف الرباطي وابن الحاج الفاسي لدى حوادث أيام مولاي عبد الله وقد ذكرهم هذا الأخير صحيفة 23 من الجزء التاسع من تاريخه باسمهم ووصفهم بالرياسة والرشاد. والتربية والسداد. والتشيع لجانب المخزن ضد المخالفين من أهل الرباط فانظره. وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وليها القائد العربي المستيري بتاريخ 1168 ثم عزل عنها لعجزه وكبر سنة وتولاها عبد الوهاب اشكلانط الأندلسي سنة 1186. وكان القائد العربي المذكور من أشهر الرؤساء الرباطيين الذين تداولوا مع عمالة الرباط رياسة السفارة أيضا وبيته من البيوتات التي تداولت رياسة البحر كما يأتي.

ومن البيوتات الرباطية الأندلسية المتسنمة ذروة المجد في القديم والحديث بيت آل بركاش بيت الرياسة والسياسة والكياسة وأول من اشتهر منهم الأمين السيد الحاج عبد الله بن السيد الحاج علي بركاش الأندلسي أصلا الرباطي دارا ومنشئا كان من الأمناء والزعماء أهل الصرامة والنفوذ حتى كان يدعي كما في الضعيف بسلطان الرباط ولي قائدا في أواخر القرن الثاني وبقي إلى أوائل الثالث عشر رأيت في ذلك ظهيرا سليمانيا بتاريخ 25 رجب عام 1206 ولما أسن أعفي وولى بدله ولده الأمين الحاج المكي بركاش أحد السفراء والنظار الرباطيين إلا أن ولايته كانت قريبة لوفاته في حياة والده أواخر عما 1211 فتولى بعده ولده الطالب أبو عبد الله محمد بن المكي بركاش. وابن المكي هذا هو الذي تنسب إليه اليوم

سقاية ابن المكي التي قرب دارهم تحت الساباط هناك. ومن مشاهير هذا البيت سيادة النائب السلطاني الباشدور الطائر الصيت في عالم السفارة والسياسة الخارجية الفقيه السيد محمد بركاش المتوفي في 3 محرم الحرام عام 1304 ثم أولاده الأمناء كالأمين الحاج محمد بركاش والأمين الحاج العباس والأمين الحاج عبد المجيد وباشا الرباط المرحوم السيد الصديق ثم حفدته كالخليفة المرحوم السيد عبد العزيز وصنوه سيادة باشا الرباط الحالي الفقيه السيد عبد الرحمن بركاش أيده الله.

ومن البيوتات الأثيلة المجد في الرباط بيت المكانة والأمانة والزعامة والشهامة بيت أولاد الزبدي آل الحاج محمد الزبدي العضو بمجلس النواب في عهد استقلال الأندلسيين وقائد الرباط الحاج الطيب الزبدي المذكور في حوادث 1223 من تاريخ الضعيف وقائد الرباط الحاج بن الطاهر الزبدي الزعيم الرباطي بتاريخ 1261 في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن. وكان امتحن لعهد المولى المذكور وبعد إطلاق سبيله عين لوظيفة أمين على الدفاتر المالية ثم سفيرا عن السلطان المقدس مولاي الحسن إلى دول الإفرنج مثل فرنسا وانكلترا وإيطاليا وبلجيكا وذلك بتاريخ عام 1293 واستصحب معه هدايا نفيسة وأموالا طائلة صيرها في وجهته تلك إلى أن قضى الغرض على أكمل الوجوه وأحسنها وعاد مسرورا في أواخر شعبان من العام المذكور وهو والد الأخوين الوجيهين صديقنا الأديب السيد أحمد الزبدي العضو بالمجلس البلدي والأمين المرحوم السيد العربي أحد المتلقين في خدمة المخزن.

ثم بيت آل غنام الفخام بيت السفارة والنظارة والرصانة والرزانة أول من اشتهر منهم الفقيه الفاضل السيد الحاج بناصر بن السيد الحاج علي غنام الأندلسي النسب ثم السيد الحاج عباس غنام أمين مرسى الرباط بتاريخ 1226. والسيد الحاج أحمد غنام ناظر أحباسه الكبرى بتاريخ 1273 السيد محمد فتحا غنام ناظرها بتاريخ 1295 وكانت وفاته عام 1312 ثم السيد محمد غنام ناظرها بتاريخ 1320

وكانت وفاته بتاريخ ليلة التاسع من المحرم فاتح عام 1333 ولو لم يكن من مفاخر هذا البيت إلا جناب الأمين المرحوم السيد بناصر بن السيد الحاج أحمد غنام أحد رجال المخزن الكرام وسفرائه العظام وأمنائه المتقلبين في خطة الأمانة والقهرمانية. لكفى فخرا يسجله التاريخ بقلم الإكبار والإعجاب. وناهيك بولده حبيبنا الخليفة الأول لباشا الرباط الفاضل السيد محمد غنام ثم بصنوه حبيبنا الأمين الشهير السيد عبد الله غنام.

ثم بيت أولاد والزهرا الفخيم. بيت السؤدد والفضل والجاه في الحديث والقديم. كان البعض منهم من أشياخ الأندلس في عهد الجمهورية الأندلسية. وكان السيد أحمد والزهراء منهم أحد عمال الرباط في عهد السلطان مولاي عبد الله إلى أن مات مقتولا بتاريخ 1122 ذكره ابن الحاج الفاسي في تاريخه ووصفه بكونه من رؤساء الرباط أهل الرشاد. والتربية والسداد هـ. وممن تداول فيهم نظارة الأحباس الرباطية الناظر السيد الحاج محمد والزهراء بتاريخ 1255. والناظر السيد المكي والزهراء بتاريخ 1317 وهو صنو الأمينين الشهيرين في العهد العزيزي السيد عبد السلام والزهراء والفقيه السيد محمد فتحا والزهراء أهل الدرب المعروف بالرباط.

ثم بيت أولاد التازي بيت الوجاهة. والنزاهة والنباهة. وأشهرهم الأمين السيد محمد بن الحاج محمد التازي (الموخ) الرجل الشهير الذكر الطائر الصيت في عهد السلطان مولاي الحسن كان من خواصه ومن المحبوبين لديه إلى أن صاهره بإحدى جواري أبيه وعينه سنة ست وتسعين لوظيف أمين الأمناء وأسند إليه أمر خراج المغرب ومراسيه ومستفاداتها وما يتبع ذلك مع صوائرها وفوض إليه في ذلك تفويضا تاما لعلمه بنصحه وأمانته وضبطه قال في الاستقصاء وهذا الرجل من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان وأشدهم غيرة على الدين والوطن حتى لو كان في الدولة عشرة رجال على شاكلته ومذهبه لكان يظن ان يكون لها بذلك النجاح التام هـ. ولما توفي أقام السلطان مقامه في وظيفه أخاه الأمين الشهير الطيب الذكر السيد عبد السلام التازي وكان أيضا من المحظوظين

الملحوظين عند السلطان وهو الذي بنى له داره الكبرى بحومة مولاي إبراهيم نفد له في ذلك خراج بعض الأعشار. فكانت لها بذلك في الرباط ميزة عن الديار ومن أفاضل هذا البيت أخوهما للأب السيد الحاج محمد التازي والد حبيبنا الفلاح الكبير المثري الشهير السيد الحاج أحمد التازي العضو بالمجلس البلدي.

ثم بيت أولاد السويسي بيت العمالة الرباطية والصولة المخزنية تداولها منهم السيد الحاج محمد السويسي قائد الرباط بتاريخ 1226 وهو الذي ولي نظارته بتاريخ 1239 ثم ولده الحاج محمد بن الحاج محمد السويسي قائده في عهد المولى عبد الرحمان إلى أن ثار عليه أهل الرباط سنة 1261.

ثم أبو محمد عبد السلام بن محمد السويسي قائد الرباط في عهد مولاي الحسن وهو الذي عينه في سنة أربع وتسعين ومائتين وألف للذهاب إلى مدريد عاصمة اسبانيا بقصد السفارة عنه والرد لزيارة باشدورهم الذي كان جاء برسم زيارة السلطان ثم صنوه السيد محمد السويسي قائد الرباط بعد وفاة أخيه عام 1302 ثم قائده من بعده السيد أحمد السويسي شهيد الوقعة العزيزية عام 1326.

ثم بيت أولاد مارسيل البيت الأصيل النبيل اشتهر منهم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أبو الحسن السيد علي مارسيل قائد الرباط بتاريخ عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف كما لصاحب الاستقصاء ولعله هو المذكور عنده في حوادث عام تسعة وسبعين باسم الرئيس أبي الحسن علي مارسيل من جملة سفراء السلطان المذكور كان بعثه إلى فرنسا لتقرير الصلح معها وقبض مال أسارى العرائش وشراء الإقامة الحربية وأرخ وفاته الضعيف بأول يوم من رجب عام 1188 وقال في حقه إنه كان من أهل الهندسة والتنجيم ومنهم السيد أحمد مارسيل مؤقت الجامع الكبير بتاريخ 1230 ومؤقته أيضا السيد الطيب مارسيل ثم من بعده مؤقته أيضا ولده السيد علي مارسيل المتوفي يوم الإثنين صفر الخير عام 1329 وهو والد سيادة المؤقت الحالي سيدي محمد مارسيل حفظه الله.

ثم بيت أولاد فرج بيت الزعامة والفضل والنبل ومن مشاهيرهم السيد المكي بن العربي فرج أحد الزعماء الرباطيين في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد

الله وولده مولاي اليزيد ذكره في البستان والجيش وتاريخ الاستقصا، والضعيف في حوادث عام 1206 ومنهم السيد الحاج محمد بن إبراهيم فرج ناظر أحباس الرباط بتاريخ 1226 وقائده بتاريخ 1320 والقائد السيد عبد اللطيف فرج المتوفي سنة 1267 كان تولى قيادة الرباط عام 1262 ومحتسب الرباط وناظره الأمين السيد عبد الخالق فرج المتوفي عام 1332.

ثم بيت أولاد ابن عبد الله بيت الحسب والنسب والنشب وأول من اشتهر منهم التاجر السيد عبد المالك بن عبد الله وولداه الأمين الحاج محمد أمين الصاير في العهد الحسني والأمين الحاج أحمد أمين مرسى تارودانت وسيأتي ذكر من تداول فيهم الحسبة. ثم بيوتات أخرى مشهورة بالنعمة والثراء لها مآثر حسان في سبيل الأعمال الخيرية العائدة على بني الإنسان بالإحسان، كبعض أولاد بلافريج والعوفير وابن بوعزة والباشا، إلى بيوتات أخرى درج فيهم سفراء وكتاب ونظار ومحتسبون نكتفي بالإشارة إلى بعض أفرادهم كالرئيس الشهير السيد عبد الله ابن عائشة الرباطي سفير المولى إسماعيل إلى الوزير الرابع عشر، والكاتب الشهير السيد الطاهر بناني الرباطي سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى السلطان العثماني، والرئيس الحاج التهامي المدور الرباطي سفيره إلى بلاد السويد والرئيس العربي المستيري الرباطي سفيره إلى بلاد انكلترا والحاج الهاشمي المستيري ناظر الكبرى بالرباط عام 1216، والسيد الحاج العربي ملين ناظر الرباط بتاريخ 1223، والسيد الحاج العربي بناني ناظره بتاريخ عام 1237، والسيد محمد قريون ناظره بتاريخ 1239، والسيد الحاج عبد القادر المعموري ناظره 1304 والسيد الحاج محمد الأزرق ناظره عام 1327، والسيد بنعيسى بنمسعود طريدانو ناظره عام 1333 وكانت وفاته في 8 رمضان عام 1335، وهو تاريخ ولاية الناظر الحالي صديقنا الفقيه السيد محمد ملين سدده الله. وأما المحتسبون فمنهم السيد محمد بناني ثم ابن عمه السيد الحاج محمد بناني، والدالأمين السيد الحاج أحمد بناني المثري الشهير بالرباط، ثم السيد محمد بن العباس الزكي محتسب الرباط بين عام 1266 وعام 1292، والسيد الجيلاني العدلاني محتسبه بعد ذلك إلى عام وفاته تاريخ 1298، ثم

بعد هذا التاريخ تداول حسبة الرباط السيد عبد الخالق فرج المتقدم الذكر والأمين السيد الحاج أحمد بن عبد الله وأخوه السيد العربي بن عبد الله إلى عام 1328، والأمين السيد العربي الزبدي على أثناء عام 1329 والأمين السيد محمد بن محمد المريني إلى عام 1332 والأمين السيد محمد بن أحمد فرج إلى عام 1334 وهو تاريخ ولاية المحتسب الحالي الأمين السيد رضوان بلافريج بيته من البيوتات الشهيرة بالنعمة والثراء والمجد والعلاء وناهيك أن والده هر التاجر الطيب الذكر الشهير السيد الحاج أحمد بلافريج صاحب الأيادي البيضاء في الجود والسخاء والمآثر الحسان. في سبيل التبرعات والإحسان.

ولنشر أيضا إلى بعض الأفراد من الرؤساء الرباطيين الذين تداولوا رئاسة البحرية والطبجية والبابنجية رعيا للمكانة السامية التي كانت تشغلها هذه الرياسة قبل هذا العهد مكتفيا بذكر جماعة منهم جاءت أسماؤهم في تاريخ الضعيف وغيره مثل الرئيس السيد المكي بن الشاذلي الشرقوي الذي كان تولى قيادة الرباط في عهد حصار مولاي المستضئ على الرباط، والرئيس علي بربيش الأندلسي، والرئيس العربي المستيري، والرئيس العربي حكم، والرئيس محمد السبيع، والرئيس محمد العنقي، والرئيس لبريس، والرئيس عاشور، والرئيس الهاشمي المستبري، والرئيس علي التركي، والرئيس محمد بن مبارك، والرئيس إبراهيم لباريس، والرئيس الحسن بناني، والرئيس الحاج عبد الرحمن بركاش، والرئيس الحاج عبد الرحمن بريطل، والرئيس المعطي، والرئيس المعطي فلوريش، وغيرهم من الرؤساء المجاهدين المعروفين بالمعلمين كالمعلم المجاهد العناية البعودي قال الضعيف في حقه إنه كان عارفا بضرب المهراز وهو الذي ضيق بأهل سبتة من النصارى إلى أن قتلوه فاغتاض السلطان مولاي اليزيد وبكى على العناية الرباطي رحمه الله واغتاض عليه جميع الجيش ومنهم المعلم أبو جندار البنياجي من عائلتنا الجندارية ومن المشهورين بالرماية والضرب بالمهراز كما جاء ذكره في حوادث ثامن ربيع الثاني عام 1211 من تاريخ الضعيف. ومنهم المعلم المجاهد السيد محمد فتحا بوجندار جد والدتي وعم والدي شهيد وقعة سلا

الأخيرة والمعلم السيد محمد بن عسيلة، والمعلم الطاهر بن الحسن، والمعلم الرطل، والمعلم ابن العباس، والمعلم سباطة، والمعلم الشديد، وغيرهم ممن اشتهروا من رؤساء الأبراج وكبراء المعلمين والمتعلمين بها في عهد دولتنا الشريفة. وأما العلماء وبيوتات الرئاسة العلمية بالرباط فذلك عندنا بيت القصيد وعتبة الوصيد من موضوع كتابنا الاغتباط بتراجم أعلام الرباط حيث تصدينا لترجمة كل إمام. بما لا تسعه هذه المقدمة والموعد إن شاء الله في بقية الأجزاء أمام.

(حوادث تاريخية بالرباط)

قد مر بك في تاريخ شالة الأزلية، وقصبة الرباط الأثرية، من الحوادث والماجريات التاريخية ما رأيت المناسبة في ذكره هناك بين ما يناسبه من الوقائع والأحداث، تاركا إلى هنا بعض حوادث أخرى داخلية، لخصتها بقلم أحد المترجمين من كتاب أصول التاريخ المغربي للمسيو دو كاستري المتقدم الذكر، ثم حوادث أخرى أهلية اقتطفتها من تاريخ أبي عبد الله الضعيف الرباطي وغيره وعلى القارئ أن يغض معنا عما جاء في هذا الفصل من ضعف التأليف فإن قلم الترجمة لا يخلو من تعبير سخيف، وقلم مؤرخنا الضعيف من حيث هو ضعيف. سيما والقصد هنا الفائدة التاريخية الأثرية لا الفائدة اللغوية الأدبية قال المؤرخ دو كاستري ما تلخيص ترجمة في حوادث الرباط وقصبته أن الأندلسيين لما استقلوا في القصبة بأنفسهم ضد السعديين والدلائيين كانوا كثيرا ما يستقلون حتى عن إخوانهم أهل الرباط الأندلسيين وكم استبدوا دونهم بالحكم ومدخول المرسى إلى أن استحكمت بينهم بسبب ذلك أسباب البغضاء أفضت بهم إلى المحاربة ومحاصرة هؤلاء لأولائك سنة 1230 مسيحية وكان السلويون يميلون لأهل القصبة ويستميلونهم لمعاملتهم بالاتجار وغيره وربما أعانوهم على الرباطيين بادعاء أن أهل القصبة الذين هم من الأندلسيين القدماء كانوا أمتن ديانة وأشد غيرة على الدين من أندلسيين الرباط المتأخرين ثم تداخل بعض الأشراف من المرابطين بين أهل القصبة والرباطيين وانفصلوا على ضرب من الصلح وشروط

تعاهدوا عليها منها كون القصبة هي مركز العامل المنتخب ومركز مجلس الشورى ومنها أن أعضاء المجلس يكونون من أعيان المدينتين معا وهم ستة عشر رجلا وأن لكل من المدينتين حق الانتخاب ومنها أن ما أفاء الله عليهم من الغنائم ومدخول المرسى يكون بينهما على التساوي هـ. وهذا هو التاريخ الذي كان الرباط فيه جمهوريا بل كان يوجد في مصب أبي رقراق ثلاث جمهوريات كل واحدة مستقلة عن الأخرى وهي : – سلا والقصبة والرباط. وهو تاريخ ظهور الشيخ العياشي بسلا وكان يكره أهل الأندلس المذكورين إلى أن أفضى به الأمر لمحاربتهم سنة 1231 زاعما أنه يحاربهم بأمر أمير الوقت فلذلك رفع الشكاية به على الأمير الذي كان بمراكش كل من قائد الرباط في ذلك العهد وهو عبدالله بن علي القصري وقائد القصبة وهو محمد بن عبد القادر سرون فكان جواب العياشي بأن أهل الرباط والقصبة تحالفوا مع إسبانيا عدوته وهو يحاربهم لأجل ذلك لكن الأندلسيين أنكروا ذلك وقالوا إنما الغاية المقصودة للعياشي هي محاولة الاستيلاء عليهم لا غير ذلك كذا قال المؤرخ دو كاستري والذي جاء في بعض تواريخ الإسلام ما صورته أنه في سنة 1023 هجرية كان الشيخ العياشي قد كثر اجتماع الناس عليه بسلا وصار صيته في البلاد لقيامه بالجهاد وغزوه مرسى معمورة وإيقافه بمن كان فيها من الإسبان فتخوف السلطان زيدان السعدي منه وأمر الزعروري قائده على عسكر الأندلس بقصبة الرباط باغتياله وإلقاء القبض. ففاوض الزعروري أشياخ الأندلس في ذلك فاتفق رأيهم على أن يكون مع العياشي جماعة منهم عينا عليه وطليعة على نيته واستخبارا لما هو عازم عليه وما هو طالب له. فلازمه بعضهم وشعر العياشي بذلك فلزم بيته وتحكمت البغضاء بينهم وأظلم الجو وصاروا أعوانا للإسبان عليه يخبرونهم بأموره ويعلمونهم بعورته. فشاور أبو عبد الله العياشي العلماء في أمرهم بعد إقامة الحجة الشرعية عليهم فأفتاه الإمامان أبو حامد الفاسي وأبو مالك عبد الواحد ابن عاشر وغيرهما بجواز مقاتلتهم هـ فاعرفه وانظره بعين النقد مع ما يأتي فربما نظير شرارة تضيء لك مكان جوهرة الحقيقة التي هي بالقبول خليفة.

ولنرجع إلى بقية تفاصيل أخبار العياشي مع الأندلسيين قال المؤرخ المذكور وكان للعياشي في سور سلا أربعة مدافع أعدها لضرب القصبة ولكنه ما كان ينال منها إلا ما كان يناله من ضرب المراكب التي تمر بالوادي وأرسل ولده عبد الله العياشي إلى شالة بخمسة آلاف فارس حاصر بها الرباط والقصبة ولما لم يحصل على مرامه غادرهما وذهب لغزو الإسبان وفي أثناء عام 1236 م انحلت الرابطة بين الرباطيين وأهل القصبة وعزم أهل الرباط على احتلال القصبة والقضاء على شوكة الأندلسيين القدماء وبالفعل دخلوا وقتلوا وغربوا وهرَّبو ونفوا البعض من الرؤساء إلى الجزائر وتونس وفر البعض منهم إلى سلا ملتحقا بالعياشي والبقية الباقية استوطنت الرباط ومن هذا الحين تولى الرباطيون حكومة الرباط والقصبة معا.

وفي عام 1637 عزموا على غزو سلا والاستيلاء عليها فجعلوا قنطرة مركَّبة من عدة سفن (أي معدية) لعبور المشاة والفرسان والمعدات الحربية وكان قائد تلك الجنود هو قائد الرباط عبد الله بن علي القصري ولما بلغ الخبر للعياشي الذي كان خارجا عن سلا رجع مسرعا بجنوده فوصل في 10 مايو عام 1237 ومن حظه صادف مجيئ أسطول انكليزي لمحاربة الأندلسيين فكان خير معين له عليهم وعلى إخراجهم من سلا ومما فعله الأسطول الانكليزي أنه كسر للأندلسيين تلك المعدية التي كانوا يعبرون عليها وتركها أثرا بعد عين ومن هذا التاريخ رجع العياشي لحصار الرباط والقصبة فحاصرها برا والأسطول الانكليزي بحرا ووقعت معاهدة بين رئيس الأسطول الانكليزي والعياشي بمقتضاها أخذ العياشي من رئيس الأسطول عدة مدافع كان يضرب بها الرباط والقصبة ويراقب المراكب القرصانية الرباطية الموجودة بالوادي إلى أن كسر ثمانية مراكب من المراكب العظام.

وفي مقابل ذلك سلَّم العياشي للرئيس الانكليزي جميع الأسارى الانكليزيين الذين كانوا تحت الأسر في البلاد التي استولى عليها العياشي.

ولما بلغ هذا الخبر للسلطان الشريف مولاي محمد الشيخ ابن زيدان وهو بمراكش تخوف من الانكليزيين ومن الشيخ العياشي واتهم العياشي بمحاولة طلب الملك وجاء من مراكش إلى سلا بمحلة عظيمة وأربعة عشر مدفعا فلما علم العياشي بذلك أرسل إليه يقول إنه إذا احتل الرباط والقصبة يسلمهما له وذلك غرضه من احتلالهما وأوعز لجنوده بإحراق جميع المزارع التي هي بطريق المحلة فلم تجد محلة المخزن لذلك ما ترعاه ففرت وكرت. وكان مما فعله العياشي أيضا أنه استعان بالدلائيين وأثار العرب والقبائل على السلطان الذي وقف متربصا جهة فضالة ينظر إلى هذه الحوادث بعين الحذر ولم يقدر على الوصول للرباط بل رجع لمراكش في يونيو عام 1237. وبسبب حصار الأسطول من البحر والعياشي من البر نشا الجوع في أهل الرباط وحصل فيهم انحلال سيما بعدما بلغهم خبر رجوع السلطان المراكشي ووقتئذ انقسموا إلى قسمين قسم ارتأى الوفاق مع العياشي وقسم أبى إلا الإصرار ريثما تأتي النجدة من المخزن، وهذا القسم اتهم القائد القصري الذي كان قائدا من قبل السلطان بأنه يريد الاستقلال ضد المخزن وأرادوا أن يرسلوه للسلطان ليفعل به ما يشاء. أما القسم الأول فكان يكره القائد أكثر بسبب أن هذا القسم متركب من أعيان الأندلسيين الذين كان أخرجهم القصري من القصبة ومن هؤلاء المسمى علي كالان وموسى صينصياصض وسليمان ابن الطاهر وهذا القسم أنهى للعياشي ما يريده معه من الوفاق وما يحاوله من اغتيال القصري عدوه، قاصدين استمالته للتخفيف عليهم في شروط الوفاق ولكن العياشي اشترط عليهم لرفع الحصار أن يصلحوا جميع الخراب الذي وقع بسلا، وثانيا أن يعطوا نصف مدخول الديوانة وثالثا أن يعطوا نصف الغنائم البحرية، ورابعا إرجاع الأندلسيين القدماء إلى القصبة وإعطائهم أموالهم. فأبى الأندلسيون من الموافقة على الشرط الأخير فلذلك جهزوا وفدا للشريف السلطان وأرسلوا معه القائد القصري. فذهب الوفد مع القائد في مركب خاص ونزل بآزمور ومنها قصد المحلة الشريفة فتلاقى القصري مع السلطان وأخبره بما وقع من الحوادث وفي الحين رده إلى الرباط وكتب إلى الرباطيين يأمرهم بإرجاع

القائد القصري لوظيفته وجاء معه تاجر انكليزي مكلفا من قبل السلطان وكان ركوبهما من آسفي بمركب للتاجر المذكور، ولما وصلا لوادي أبو رقراق وجد الأسطول الانكليزي هناك فذهب التاجر إلى أمير الأسطول وبعدما عرَّفه المقصود من مجيئه مع القائد صرح الأمير بأنه لا يتعرض لنزولهما في البر لكن بشرط إرجاع الأسارى الانكليزيين الذين هم في الرباط والقصبة بيد الأندلسيين فقبلا هذا الشرط ولما نزلا وأطلعا الرؤساء الأندلسيين على المكاتيب السلطانية ساعدوا على إرجاع القصري على خصوص الرباط فقط وتركوا القصبة في يد قائد خاص كانوا عينوه لها.

ثم لما رجع القصري للحكومة نفى البعض من أضداده، وقتل البعض وبعضهم فرَّ بنفسه وبعدما رجع الأسطول الانكليزي إلى انكلترا مع الأسارى الذين دفعهم له العياشي وأهل الأندلس. في متم غشت سنة 1237 استعان القصري بإسبانيا على العياشي المحاصر للرباط إلى أن أيس من الاستيلاء عليه بسلاح الجوع ولذلك أقلع عنه زاعما أنه لم تبق له فائدة في حصاره بعدما صار تابعا للمخزن وذهب للتضييق على الإسبان بحصاره معمورة ثم لما انحصرت سلطة المخزن في القصبة واستقل الرباطيون عنها عام 1238م اتفق العياشي مع قنصل فرنسا على حصار القصبة إعانة للرباطيين وبالفعل ركبا في مراكب هولاندية وضربا نطاق الحصار عليها بحرا والرباطيون برا ولكن مع ذلك لم يحصلوا على طائل لكون المراكب الإسبانية والإنكليزية بل والمراكب السلطانية المخزنية كانت قائمة بتموين القصبة حتى أن الزرع والشعير كان يباع فيها بأبخس ثمن. واتفق أيضا ظهور أمر الدلائيين في المغرب أثناء هذا التاريخ وهم الذين قضوا على العياشي والأندلسيين المحاصرين للرباط في وقائع كثيرة شهيرة في التاريخ إلى ان استشهد العياشي ودخلت من بعده سلا والرباط والقصبة في حكم الدلائيين.

هذا ملخص ما جاء من الحوادث الرباطية مع العياشي في كتاب أصول التاريخ المغربي الذي اعتمدنا على النقل منه لكن باختصار واقتصار، وأما حوادثه

في عهد الدلائيين فلنكتف بما نقلناه سابقا عن المؤرخ مويط الفرنسوي في رحلته عند كلامنا على تاريخ القصبة للعهد المذكور.

ولنأت على أهم الحوادث الأهلية التي وقعت في الرباط في عهد دولتنا الشريفة معتمدين في ذلك على جملة حوادث جلها مقتطف من تاريخ الضعيف الرباطي كما قدمناه. وهذا ما قاله بلفظه ومعناه. إنه في اليوم الرابع عشر ذي الحجة الحرام عام أحد وخمسين ومائة وألف هجرية في مدة السلطان مولانا المستضيء بنور الله نزل برباط الفتح ثلج عظيم حتى كادت السقف تسقط وفي موضع صهريج ماء عتيك إلى بير أكدال إلى حسان إلى المدينة وفي محروسة سلا على قصبة الحريشي إلى بطانة، وبقي ينزل نحو الساعة وكان من شهر العجم الثالث عشر من مارس وكانت الشمس في برج الحمل قطعت منه ثلاثة أدراج وكان نزوله بعد صلاة العصر من ذلك اليوم وكان يوم الثلاثاء.

وفي يوم الأحد 19 رجب عام 1165 خالف أهل الرباط أهل سلا في مبايعتهم لمولانا المستضيء وبقوا متمادين على بيعة السلطان مولانا عبد الله ثم إن مولاي المستضيء راود أهل الرباط على بيعته فأبوا وقيدوا عليهم الرئيس السيد المكي بن الشاذلي من أولاد سيدي محمد الشرقي وهو الذي قام بأمرهم. وفي اليوم الثالث من رجب من العام انتصب السيد محمد كراكش الرباطي الأندلسي لأمر القضاء بأمر السيد المكي بن الشاذلي الشرقوي على أهل الرباط وعزل الفقيه السيد محمد مرين وكان قبل انتصب للقضاء في العشرين من ربيع الأول عام التاريخ المذكور أعلاه بأمر عامة الناس من أهل رباط الفتح ثم بعث عبد الحق فنيش لأهل الرباط على أن ينكثوا بيعة مولانا عبد الله وكان قبل ذلك بقريب قطع الرباط مع أعيان سلا وتعاقدوا على بيعة مولانا عبد الله في الجامع الكبير وتعاهدوا على ذلك ثم نكث عبد الحق بيعة مولانا عبد الله وبايع مولاي المستضيء وأراد من أهل الرباط أن يتبعوه على ذلك فلم يريدوا وبسبب هذا حصر مولانا المستضيء بنور الله على أهل الرباط أربعة عشر شهرا وضيق عليهم أثناء

الليل وأطراف النهار وقتل أناسا من فقهاء الرباط بسلا على يد عبد الحق فنيش وقبض على الفقيه القاضي السيد المهدي مرين الرباطي الأندلسي كان مسافرا على طلب العلم في بجعد ببلاد.تادلا ولما قدم للرباط وجده محصورا فأتوا به لمولانا المستضيء فرمى عليه كبلا حاميا من أثر النار جديدا فأثار في رجله اليمنى ولا زال أثره برجله إلى ان مات رحمه الله سنة ثماني وثمانين ومائة وألف في اليوم العاشر من رمضان وبعد ذلك أراد قتله فأتوا به إليه فاعتذر له بأنه كان مسافرا للقراءة وأنه من طلبة العلم وأخبره بحفظه لمختصر خليل فقال مولانا المستضيء إقرأ قوله باب فرض الحج فقال باب فرض الحج وسنت العمرة مرة وفي فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف فأمر بإطلاقه وتسريحه ووجهه لبلاده وذلك من بركة الشيخ المعطي ابن الصالح نفع الله به لأنه هو الذي أمره بالقدوم على بلاد رباط الفتح أمنه الله وكان عبد الحق فنيش يغري على قتله فسلمه الله وتولى القضاء بالرباط زمانا طويلا في مدة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولما امتنع أهل الرباط من بيعة مولانا المستضيء استصرخ بنحو مائة قبيلة من قبائل بني حسن بحلتهم ومحلته وداروا بالمدينة واشتد الحصار آناء الليل وأطراف النهار واعتصم أهل الرباط بالأسوار وكان حصران مولانا المستضيء بنور الله على أهل الرباط في رمضان المعظم عام 1156 فسدوا أبواب المدينة وبنوا عليها وحملوا الأنقاض على البيبان وطالت عليهم الحصرة حتى كاد أن يأكل بعضهم بعضا وكان قد خرج يوما من الرباط بالليل رجل صياد بالضواري يصطاد على القنفوذ يقال له بكروم[12] فلم يظهر فذهبت أمه أو زوجته تنادي في أهل الرباط فخرجوا بنحو الخمسمائة بعدتهم من ناحية باب العلو مع ساحل البحر فأحاط بهم مولاي المستضيئ بنور الله وحال بينهم وبين المدينة فمات البعض منهم في الحرب والبعض منهم رمى بنفسه في البحر والبعض أحاط به مولاي المستضيء ودخل بهم لسلا وذلك في ذي الحجة من العام المذكور وأتى بهم للرمل وقال لأهل

12 - بفتح الموحدة.

الرباط أن تبايعوني أطلق إخوانكم وأن لم تبايعوني أقتل إخوانكم فقالوا له أقتلهم فقتلهم يوم عيد النحر وفيهم الفقهاء والطلبة والذين رموا بأنفسهم في البحر ماتوا جميعا في البحر ولا خرج منهم إلا واحد وبقى أهل العدوتين لا يأكلون الحوت زمانا من أجل الموتى.

وفي رجب عام 1157 صنع مولانا المستضيء السلاليم من غابة المعمورة وأراد الدخول في الليل على أهل الرباط من أعلى السور من ناحية البحر آخر الليل فطلع الجيش على السلاليم ونزلوا في سانية الوكريف داخل المدينة فلما أحس بهم علج كان ببرج السراط فخرج فيهم نفضا كان بالشرشم فصادف السلاليم المذكورة فمات كثير من الناس وانكسرت وتبادر إليهم أهل الرباط فقبضوا على البعض الذي نزل داخل المدينة وكان الجل منهم من أولاد اسبيطه وقبضوا على رئيس سلا وهو محمد فنيش خرج فيه أحد من أهل الرباط وكان صاحبه فستره في داره وخرجه ليلا وقتلوا كل من بقى بأيديهم من أولاد اسبيطه وهم كانوا شيعة لعبد الحق فنيش السلاوي كانوا يركبون معه بنحو خمسمائة فارس.

وفي ذي القعدة عام 1157 نهض أمير المؤمنين مولانا عبد الله لبني حسن فأوقع بهم وقعة هائلة بتلماغت وهي وقعة ازبيدة المذكورة واحتوى على مالهم وبعث للرباط وقتل منهم باز بيده خلقا كثيرا وفر مولانا المستضيء لناحية أخيه القائم بمسفيوة وهو مولاي بناصر كعادته وسرح أهل الرباط من الحصران فلما وفدوا عليه وقالوا له أكلنا الحلوف على بيعتك ومات خيارنا عليك فقال لهم أنتم ظلمتم أنفسكم لو بايعتموه حتى نقدم عليكم.

وفي سنة 1159 وجه السلطان مولانا عبد الله ولده الأمير مولاي أحمد وأعطاه نحو الثلاثمائة من أصحابه لمدينة رباط الفتح خليفة عنه فنزل بالقصبة بالرباط المذكور أمنه الله فتمادى عليهم وكان أصحابه يفيضون النساء في الأزقة والصبيان ونزع مولاي أحمد المذكور للشريف مولانا إبراهيم بن عبد السلام ابن

الشيخ مولانا التهامي نفع الله به صاحبه كان شابا حسنا يقال له ولد امرين رغما عليه فخرج الشريف مولانا إبراهيم المذكور لوازان وأقدم مدة بضريح مولاي محمد بن عبد الله الشريف لا يخرج إلى أن وجهه مولاي الطيب لفاس بعد مدة وهو مريض وقال له هناك يأتيك من أخذ لك صاحبك مريضا إن شاء الله ثم إن مولاي أحمد بن السلطان مولانا عبد الله أراد ينزع للرائس علي بربيس الأندلسي جاريته الحبشية التي أتى بها من المشرق فبعث إليه فأبى وقال إنها زوجتي وقبض على محمد بن مبارك الرباطي وضربه حتى كاد أن يموت فاتفق أهل الرباط على الحصار عليه فحاصروه في شهر شوال عام 1160 إلى أن نفد له الزاد والماء حتى شرب ماء البحر نحوا من ثلاثة أشهر هو ومن معه من أصحابه والعبيد الذين كانوا ساكنين بها من قبله بنحو ثلاثمائة أو أكثر وفر الجل من أصحابه عليه كانوا يرمون بأنفسهم من أعلى السور وهدموا سقف الديار لعدم الحطب واشتد عليه الحصار آناء الليل وأطراف النهار وهم يرمونه بالرصاص إلى أن طلب منهم الخروج بالأمان فدخل بينه وبين أهل الرباط الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي فأخرجه من القصبة وبات بجواريه عنده وحلفوا عليه أن لا يخرج إلا إذا خرج تحت ظل العدة والسيوف فلما أراد الخروج صباحا ترك جميع ماله عند الفقيه المذكور وخرج بين صفوفهم وهم حاملون عدتهم وذلك في أوائل المحرم فاتح عام 1161 فمر لناحية دكالة واستنصر بهم على أهل الرباط فلما اتصل الخبر بأخيه الأمير الخليفة بمراكش بعث له بأن يقوم ويمر لأبيه وأقسم عليه أن لم يقم حتى يأتيه ويفعل به أكثر مما فعل أهل الرباط به وبعث لأهل قصبة بلعوان أن يعطوه المئونة فغضب عنها وقال أنا كاف عليه المراد منه أن يفدي ناري من أهل الرباط ونهض والتحق بأبيه وبكى عليه فقال له إنا بعثتك لتأكل معهم الطنجية بساحل البحر فأنت الظالم لنفسك والآن قشابتي مقطعة لا نقدر لك على أخذ الثأر منهم ولكن أخوك محمد يأخذ لك الثأر منهم إن شاء الله.

وفي ليلة السبت أول يوم من رجب عام التاريخ المذكور أعلاه انقض نجم عظيم في ناحية المغرب أضاء منه الآفاق وذلك وقت صلاة العشاء. قال الفقيه

الحاج المسناوي الرباطي وكنا في ملازمة درس الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي أبقاه الله في الزاوية الناصرية نقرأ عليه شفاء عياض نفع الله به وكنت أرصد الأوقات بالمسجد الأعظم برباط الفتح أمنه الله.

وفي سنة 1166 استقر السلطان مولانا عبد الله بداره بدار الدبيبغ وضعف نهوضه عن الحركة وظهر في الغرب القائد عبد الله السفياني المعروفي من سفيان وظهر في ابني مالك القائد الحبيب المالكي الحمادي من أولاد حماد واشتهر صيتهما وخمدت نار مولانا عبد الله ولا بقي له سوى مرسة تطاون كان يقبض منها العشور واستقل أهل فاس بأنفسهم وكذلك أهل رباط الفتح فكانوا يأكلون مال المرسة وعملوا آية الأربعين وأخذوا في اشتراء الخيل والعدة وثاروا على السلطان وصاروا يقيدون هذا أياما ثمن يقتلونه بالغدر ويقيدون هذا ثانيا ويهجمون عليه فكان هذا أمرهم قتلوا أقواما منهم وكان القائد عليهم في عام 1165 السيد أحمد الولتيتي رحمه الله ثم طلع للمشرق وحج فلما رجع غرق في السفينة الآتي ذكرها ثم قيدوا عليهم بالرباط السيد أحمد وزهره قتلوه ثم اللوشي قتلوه ثم قتلوا صيرون ثم قتلوا ابن جندار ثم قتلوا القائد حجي مرين.

وفي ليلة السبت 9 ربيع الثاني سنة 1167 نزل عندنا بالرباط ثلج عظيم ما رأيناه أبدا ولا ذكر لنا أحد من الناس المسنين أنه عقله أو مثله لا واحد ولا اثنان ووافق ذلك ليلة 22 من يناير عام 1754.

وفي شعبان عام 1167 ورد الخبر على فاس بأن سفينة مملوءة بالحجاج سافرت من الاسكندرية قاصدا من فيها بعض المراسي من نواحي تونس بقصد المغرب وفيها نحو أربعة رجال من أهل فاس ورباط وسلا ومن مراكش وغيرهم فغرق جميع من فيها ونجا منهم بعض الأفراد على بعض الألواح منها بل على بعض البرامل التي كانت عندهم لحمل الماء الحلو ومن جملة ما غرق فيها اثنان من الشرفاء العراقيين الذين بفاس وفيها غرق القائد أحمد الولتيتي الرباطي رحمه الله وفي شوال عام التاريخ المذكور أعلاه نهض الأمير سيدي محمد لرباط الفتح

حرسه الله فشدوا في وجهه أبواب المدينة وركبوا الأنقاض عليها واتفقوا مع رئيس أهل سلا وهو عبد الحق فنيش وأعيان سلا على أن يخالفوا عليه فأغنى على أهل الرباط وقطع وادي المشرع ونزل بالدار الحمراء بقرب مدينة سلا ففتح الباب أهل سلا وخرجوا إليه مع رئيسهم بالمحاضر والألواح راغبين خائفين والسيف في فم عبد الحق المذكور وأولاده صغارا أمامه ويده وراءه فعفى عنهم فلما رأوا ذلك أهل الرباط حلوا أبواب المدينة وخرجوا إليه مع الفقيه السيد أحمد ابن عبد الله الغربي والشريف مولاي إبراهيم حفيد مولاي التهامي الوزاني فقبضهم وكبلهم وطلبهم في مال المرسة فقالوا له بنينا به السور ثم أنه عفى عنهم ورحل منهم البعض من كبرائهم لمراكش بنسائهم وأولادهم منهم الحاج العباس مرين الأندلسي والفقيه السيد محمد التونسي الأندلسي والتهامي مدون وقيد عليهم القائد العربي المستيري كان يبعث له بأخبار أهل الرباط ويكاتبه ويقول في آخر كتابه وكتب الحروف خديمك كديا وهو لا يعرفه فلما دخل الرباط قال أين فيكم كديه فخرج إليه فعرفه وقيده عليهم وكان الأمير حين سدوا عليه الأبواب وأغنى عنهم وجاز لسلا وجه لهم أي لأهل الرباط الحاج محمد التامري الكديري السرار كان من أصحاب القائد صالح ثم صار من أصحاب الأمير المذكور مع الفقيه ابن زاكور فركب في القارب من ناحية سلا على أن يأتوا لأهل الرباط بالأمان فقال الحاج سعيد التامري إن هذا الرجل يريد غدر هؤلاء القوم اللهم لا تلقيني بهم ولا معه فتقبل الله منه فغرق به القارب بين الرباط وسلا فتوفي رحمه الله مع الفقيه المذكور. ولما قدم الأمير على سلا وجد أهل سلا يصنعون سفينة لأنفسهم رئيسها هو محمد عواد منيطة السلاوي فاستولى عليها ثم بعدها طلعت سفينة الرايس قنديل وهو الرئيس محمد عواد وبعدهما طلعت سفينة الرئيس العربي المستيري في السنة التي بويع بها وكان قبل هذه المدة أنشأ أهل سلا وأهل الرباط سفينة من خشب جامع حسان يقال لها سفينة الكر كجيا نصفها لأهل الرباط ونصفها لأهل سلا وهي أول سفينة طلعت قبل هذه السفن المذكورة

وكانوا يتسببون فيها ثم لما رحل أهل الرباط رجع من سلا لمدينة مراكش بعد أن وجه عمالة ليتصرفوا في مدن المغرب.

وفي شهر ذي الحجة 1178 حصر الفرانصيص على رباط الفتح ومدينة سلا بالسفن من البحر فرجعت سفينة الرئيس سالم من تحت القصبة وهي الماعونة التي لم ينشر أمير المؤمنين أكبر منها كانت تريد الخروج للسفر في البحر فرجعت أمام صومعة حسان وأخذوا يرمون بالأنقاض الكور على مدينة سلا والبنب ففزعوا وخرج البعض منهم خارج المدينة وجعلوا الأخبياء والقياطين وكان ظهورهم على العدوتين يوم الجمعة 11 من ذي الحجة ولم يحصلوا على طائل فقلعوا وانصرفوا بسفنهم لأخذ العرائش.

وفي سنة 1178 استفتى السلطان علماء فاس في إخراج أهل الرباط من بلدهم وادعى أنه بلد المخزن وأن السلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي هو الذي بناه وأن السلطان يرث السلطان فأفتاه بذلك الكثير من العلماء إلا البعض منهم السيد التاودي بن الطالب بن سودة الفاسي رحمه الله فأفتى بأن الرجل إذا نزل بأرض وتصرف فيها إحدى عشرة سنة ولم ينازعه فيها أحد فإنها له وقال لعلماء فاس إن خرج أهل الرباط بهذه الحجة فإنه يخرجكم أيضا ويحتج عليكم بأن باني فاس هو مولانا إدريس وقد كان أميرا فهو يرث ما بنى أيضا ولذلك عزله السلطان من الإمامة ونزع له ما كان يقبض عن الخطبة وأمره بالجلوس في داره هـ. كلام الضعيف.

أقول وقد علم منه أن سبب محنة الشيخ التاودي هي مسألة أهل الرباط هذه لا ما جاء في كتاب السعادة الأبدية لابن المؤقت المراكشي من أن سبب محنته هي مسألة المكس فإنه غلط لأن الشيخ التاودي ممن وافق السلطان على ما يريده فيها ولم يخالفه إلا في مسألتنا الرباطية.

(التفات)

رأيت أن أثبت هنا مقالتين في موضوع مسألة إخراج الرباطيين من بلادهم تتضمن الأولى ما لا حظه علي فيها بعض المنتقدين من أهل فاس، والثانية جوابي عن تلك الملاحظة وكلتاهما مما نشر على صفحات جريدة السعادة بهذا اللفظ.

قال المنتقد (قصبة الرباط الأثرية) تحت هذا العنوان نشر مؤرخ الرباط الشاعر الناثر حفظه الله كلمات عن تاريخ القصبة الأثرية بالرباط في عصورها المختلفة وفي عصر الدولة المالكة صانها الله وهي مهمة تاريخية عظيمة يقوم بها مؤرخ الرباط دون غير. فيجب أن نشكره جميعا على عمله الجدير بالإكبار والاعتبار خصوصا في هذا العصر الذي يكاد أن يضمحل فيه التاريخ المغربي لولا هذه البلالة لا زلنا نتندى بها ويعلم الله كم حوى التاريخ المغربي من نفائس وعظائم يجب شكر الرجال لأجلها ولكن إذا أراد الله انحطاط أمة من الأمم أعمى بصرها عن تاريخ أسلافها وصدها عن النظر في آثار آبائها (سنة الله) لندع الآن هذا الموضوع المهم إلى سانحة أخرى ولنرجع إلى المقصود.

كتب السيد مؤرخ الرباط ما كتب من تاريخ قصبة الرباط الأثرية وأشار في أحد مقالاته إلى مسألة عزم سيدي محمد بن عبدالله على إخراج الرباطيين من الرباط لأسباب شرحها وقال إن سيدي محمد بن عبد الله لما هم بإخراج سكان الرباط استفتى في ذلك علماء فاس فلم يسوغوا له ذلك.

هكذا وقع لمؤرخ الرباط ما وقع اعتمادا منه على ما ذكره شيخنا أبو عيسى الوزاني رحمه الله في معياره ونحن خدمة للتاريخ المغربي وبيانا للحقيقة التي ينشدها الكثيرون نبين الواقع في ذلك ولا يوجب هذا حطا من درجة أبي عيسى الوزاني المرحوم ولا من عبقرية مؤرخ الرباط حفظه الله فالكمال منفرد به الكبير المتعال.

المسألة في الحقيقة هي أن مولانا الأمير سيدي محمد بن عبد الله لما عزم على فعله المشار له استفتى علماء فاس وفي سؤاله يقول إن بلاد الرباط بلاد المخزن والموحدي هو الذي بناها والسلطان وارث السلطان الخ. فأفتى علماء فاس

قاطبة بإخراج الرباطيين من رباطهم ولم يخالف في ذلك أحد ما عدى الشيخ التاودي بن سودة وهذا القدر هو الذي صرح به المؤرخون ومنهم مؤرخ فاس العلامة أبو العباس أحمد بن الحاج السلمي في الجزء العاشر من تاريخه العام ونقل هنا نص فتوى ابن سودة فأين قول مؤرخ الرباط أن علماء فاس لم يسوغو له ذلك وها أنت ترى ابن الحاج يصرح بموافقة العلماء الفاسيين على ما أراده السلطان ما عدى فرد منهم وهو الشيخ التاودي ابن سودة.

وإذا أراد القارئ أن يستفيد كثيرا من حوادث الرباطيين مع سيدي محمد بن عبد الله فعليه أن يراجع تاريخ أبي العباس بن الحاج المذكور آنفا في حوادث سنة 1187 فإن المؤرخ الفاسي قد أعطى المسألة حقها من البحث وأتى بنصوص علماء فاس في فتاويهم المصرحة بإخراج سكان الرباط ونقلهم إلى حيث يريد السلطان وكذلك أشار إلى تضييق السلطان بأهل الرباط وإرساله (ابن العياشي) تهديدا لهم وإنزال العبيد بالرباط وقطع أشجار أكدال وما فعله ببساتينهم وطلب أهل الرباط العفو أخيرا عن ذنوبهم وغير ذلك من الحوادث التي يتطلبها كل طالب للتاريخ.

هذه كلمة يسيرة حول كلمة مؤرخ الرباط وعسى أن يكون لمؤرخنا المذكور ما رجح خلاف ما سطرناه فتتمحض الحقائق والله تعالى أعلم وأحكم. محمد العابد الفاسي.

وهذا نص جوابي تحت عنوان (حول الملاحظة الفاسية)

إليكم يا معشر الناقدين حياكم الله وبياكم وسلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

إني وحياتكم ما كان ولم يكن عندي وأنا في هذه الحالة التي أرادها الله لي من السقم أحسن مسل يسيلني مثل مقال في موضوع علمي أقوم بنشره فيكون له من الوقع في النفوس والصدى بين أرجاء القلوب ما يحمل الأندية العلمية على أن تفسح له المجال لتناوله تارة بيد الاحتفاء والاحتفال مثل ما سبق مني نشره عن

الشيخ أبي السعود والإقبال وتارة بيد الأخذ والرد على طريقة النقد مثل ما اتصل بي من آثار أقلام جماعة كلهم في العلم من أهل الحل والعقد بينهم بعض أحبائي بالجديدة وسلا ومكناس وفاس فاغتنم هذه الفرصة لأشكرهم جميعا على صنيعهم شكرا جما مشمولا برداء الأغضاء والسماح عما جاء في انتقاد بعضهم مما يمس بكرامتي العلمية. ثم أقول ما أسمى قيمة النقد الصادق ممن ينتقدون عن صدق نية وسلامة باطن وإخلاص قلب وهم من ينتقدون الكتابة ولا غرض لهم إلا الكتابة من حيث هي لا دخل لشخصية الكاتب فيها لأنه ما دامت وحدها هي الغرض الوحيد فليس لنقدها من أثر سوى أنها جليلة في نفسها خطيرة القدر ولولا ذلك ما احتفل بها المحتفلون ولا انتقدها المنتقدون وقد قال الحريري إن خلاصة الجوهر تظهر السبك ويد الحق تصدع رداء الشك.

وما على التبر عار في النار حين يقلب

ولا شك أن من هذا القبيل ما نشرته السعادة أخيرا من تلك الملاحظة الفاسية بقلم الأديب النابغة السيد العابد الفاسي وليست هي أول ملاحظة لحظتها لهذا النابغة فكم من مقال قلته فكان ناقده. جزاه الله عني بما يجازي الرب (عابده).

جاء في إحدى مقالاتي الأثرية أن السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله لما هم بإخراج سكان الرباط من بلدهم استفتى في ذلك علماء فاس فلم يسوغوا له ذلك (هكذا بصيغة الجمع في الضمير ومعاده) فلاحظ على قولي هذا نابغتنا الفاسي بأن الحقيقة في المسالة هي أن السلطان لما عزم على فعله المشار له واستفتى في ذلك أفتاه علماء فاس قاطبة بجواز الإخراج ولم يخالف في ذلك أحد عدا فرد واحد منهم وهو الشيخ التاودي فهو الذي أجاب بالمنع وقبل أن نجيب المنتقد عن ملاحظته هذه نتساءل : هل كان استقر علم السلطان على مقتضى الجواب الإيجابي أو السلبي. فإن قال بالثاني – وهو الواقع – قلنا ولماذا. فإن قال لأحقية الجواب – ولا شك – قلنا وما هو الجدير بالاعتبار. فإن قال الجواب الحق – ولا

مندوحة – قلنا ذلك هو موجب اعتبار قاله وحده حتى لم نحتفل إلا بأصحابه عند الإشارة لفتواهم دون سواهم. وهل هؤلاء جماعة. كما هو مقتضى تعبيرنا. أو فرد واحد فقط كما زعم المنتقد. نقول سوف يتفرى الليل عن صبحه ويعلم ما في ادعاء الانفراد والفردية من خسارة القول أو ربحه ولو حمل المنتقد كلامنا من أول مرة على إحدى المحامل التي تقتضيها قواعد العلم بأن جعله – رعيا لنكتة الاعتبار السالفة وأن المقام ليس لبيان الخلاف أو للتنصيص – من باب المعدوم حدسا. كالمعدوم حسا. أو من باب الاستخدام أو من باب الحكم على المجموع أو من باب الإطلاق الإضافي أو من باب التخصيص أو غير ذلك من أبواب البلاغة والبراعة المطروقة لدا حملة الأقلام وأرباب اليراعة لما تحمل أعباء النقد وحملنا مؤونة الرد عليه ولو ترك القطا ليلا لنام ولك لا ملام ما دامت الحقيقة ضالتنا المنشودة وإنما الكلام مع الكلام.

على أن الحقيقة ليس هي ما للمنتقد في دعواه انفراد الشيخ التاودي بفتواه فقد وقفنا على نص فتوى الشيخ التاودي وبعدها تأييد الشيخ البناني وعقبه تعضيد الفقيه بوخريص تحت إمضاءاتهم جميعا منقولة بواسطة نص إمضاء الأول (عبد ربه محمد التاودي بن الطالب بن سودة تغمده الله برحمته) ونص إمضاء الثاني (محمد بن الحسن بناني) ونص إمضاء الثالث (عبد ربه تعالى عبد القادر بوخريص وفقه الله بمنه ولطف به) وهؤلاء جماعة كيف لا يعبر في جانبهم بصيغة الجمع. وكيف يدعي بعد ذلك انفراد الشيخ التاودي بالمنع. وقد جاء في تاريخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي التصريح بأن التاودي إنما هو فرد من أفراد الجماعة لا كل الجماعة فإنه بعدما تعرض للقضية وأشار للفريق المانع قال منهم السيد التاودي بن الطالب بن سودة الفاسي هكذا بمن الدالة على التبعيض فأين قول المنتقد لم يخالف أحد عدا فرد وأين قوله وهذا القدر هو الذي صرح به المؤرخون وأين قوله أن المؤرخ الفاسي أعطى المسألة حقها من البحث وليت شعري من هؤلاء المؤرخين الذين أجمعوا على ذلك التصريح فقد رأيت من كلام مؤرخنا الضعيف ما يناقض دعوى الاجماع (نقيضها موجبة جزئية).

ومما يلاحظ على المنتقد في دعوى الانفراد أن بعض آبائه وأسلافه الكرام نريد به الشيخ أبا حفص الفاسي هو من أفراد الجماعة الذين أفتوا بعدم جواز إخراج الرباطيين من بلادهم ولا أدري ولست أخال أدري هل يرضى أهل مكة بأن نعرفهم بشعابها وسكان الدار بأن نرشدهم إلى أبوابها فنسوق هنا نص فتواه الطويلة الذيل المديدة السيل ولكن نكتفي بإحالتهم على مراجعتها في الجزء التاسع من المعيار الجديد صحيفة 355.

أما إحالة المنتقد لنا على مراجعة تاريخ أبي العباس السيد أحمد بن الحاج الفاسي لنستفيد كثيرا من حوادث الرباطيين مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله فأنا بعد أن نشكره الشكر الجزيل على هذا الجميل نعرفه بأن ما شرحه ذلك المؤرخ الفاسي من حوادث الرباطيين إنما هو عالة في جل ذلك إن لم نقل كله على مؤرخنا الرباطي أبي عبد الله الضعيف لأنه المؤرخ الوحيد الذي تنزل في تاريخه لشرح تلك الحوادث الرباطية وإثباتها على علاتها مع الصراحة التامة في ذكر أسبابها مجلوة الحقائق على منصاتها ولم يزل تاريخه المادة الوحيدة في الموضوع لمن جاء بعده يريد أن يعرفنا الصحيح من الموضوع. وما على نابغتنا الفاسي إلا أن يراجع الكتابين. ويحكم بما شاء إنصافه إذا حصحص الحق لذي عينين. وها العرب بالباب وأن في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

(الحاق)

ولنلحق ها هنا بمقالتي هذه ما وقفت عليه من فتاوى أهل فاس المصرحة بعدم جواز إخراج الرباطيين. وهذا نص ما وقفت عليه في ذلك منقولا من خط الشيخ كنون رحمه الله قال : ومن محاسن السلطان الإمام (يعني سيدي محمد بن عبد الله)غرة الليالي وحسنة الأيام رفع الله في أوليائه درجته وقدس روحه وأسكنه جنته اقتضاءه السؤال عن ثغر الرباط لعله أراد أن يخرج من فيه من ذويه ويسكن آخرين طلبا للتحصين وإعدادا لعدو الدين هل له ذلك أم لا فأجابه جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو حفص سيدي عمر الفاسي.

ونص ما أجاب به الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما المقام الذي أقامه الله لإقامة الدين وأهله لرعاية المسلمين فنصر الشريعة القويمة وسلك الطريقة المستقيمة وبسط مهاد العدل والإنصاف وهدم أساس الجور والاعتساف أبقاه الله ووفّر سعوده وبكت عدوه وحسوده وعليه أزكى التحيات وأنمى البركات هذا وقف العبد الفقير الحقير الوقير على الكتاب الكريم الوارد من الجناب العظيم في شأن رباط الفتح وما ذكره سيدنا في أصل نشأته وأمر أيده الله بأن نكون على وثوق في ذلك وبمطالعة كتب التاريخ فغاية ما تقرر لدي في ذلك أن الأمير يعقوب المنصور رحمه الله هو الذي بناه وأسكن فيه الجيش وجعله تجاه العدو الكافر ومع ذلك لا أجد فيها أعلم مساغا لانتزاع تلك الأملاك من يد من هي بيده الآن مع طول حيازتهم لها واستمرار عمارتهم إياها المئين من السنين من غير منازع ولا مدافع مع تداول الدول وتطاول الأعصار والجيول الأول وقد تقرر في المذهب المالكي أن الحيازة قاطعة لكل دعوى فيها جهل أصله وطول الأمد مظنة الجهل وقد قال في المدونة ما نصه قال مالك ومن أقامت بيده دار سنين ذوات عدد يحوزها ويمنعها ويكريها ويهدم ويبني فأقام رجل بينة أن الدار داره أو أنها لأبيه أو جده وثبتت المواريث فإن كان هذا المدعي حاضرا يراه يبني ويهدم فلا حجة له وذلك يقطع دعواه. ثم قال ولم يحدث مالك في الرباط عشر سنين ولا غير ذلك. وقال ربيعة حوز عشر سنين يقطع دعوى الحاضر إلا أن تقوم بينة أنه إنما أكرى أو أسكن أو أعار ونحوه قال وذكر ابن المسيب عن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حاز شيئا عشر سنين فهو له. قيل لابن القاسم أرأيت لو أن داراً بيدي ورثتها عن أبي ثم أقام ابن عمي بينة أنها دار جده وطلب مورثه قال هذا من وجه الحيازة التي أخبرتك بها هـ ونحوه في العتبية والمقرب وغير ذلك من دواوين الفقه كمختصر خليل وابن عرفة، بل صرح ابن رشد في نوازله أن المطلوب لا يسئل من أين صار إليه الملك فإن قال المال مالي والملك ملكي قبل منه ولا يكلف بأكثر من ذلك. قال هذا مذهب ابن القاسم وروايه عن مالك المدونة ولا اختلاف في ذلك احفظه هـ. هذا ما يعرفه العبد

الفقير من النصوص الفقهية والقواعد المذهبية وهو الذي تجب به الفتيا وكيف لا وقد قال سيد الوجود صلى الله عليه عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولو إلا الله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال عليه السلام فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمةيومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا قد بلغت اللهم اشهد ثم قال ليبلغ الشاهد منكم الغائب قرب مبلغ أوعى من جامع وسيدنا الإمام أيده الله وقاف مع النصوص الشرعية والقواعد الدينية لا يرضى بمجاوزتها قلامة ظفر وهو أوفر عقلا وأكثر علما وأكبر ديانة وأوسع حلما وأقرب إلى النصيحة وأبعد من الشبهة وأشد مراقبة لله عز وجل وأكثر استحضارا لعظمته يتجافى عن الغي ويتحاشى عن الباطل لم تستفزه الإمارة يأخذ في الأمور بالاقتصاد ومن مر بها بالمرصاد أبقى الله دولته الشريفة وهو زينة الأيام مصونة من كل وصم محفوظة من كل ثلم ووقاها شر الشيطان وجنوده حتى لا تصاب منهم بمين ولا تلتمس من مكايدهم بعين أنه ولي ذلك والقادر عليه وسع كرسيه السموات والأرض إلى العظيم اللهم أيد إمامنا وأيد نصره وأطل في هناء وعافية عمره وخلد في الصالحات ذكره وامتع المسلمين بطول حياته ولا تقطع عنهم ما عودتهم من بركاتك بفضلك يا أرحم الراحمين والسلام الكريم يعتاد المقام الكريم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته وكتب مقبل ثرى أقدامكم عبد الله تعالى عمر بن عبد الله الفاسي كان الله له هـ.

ومنهم الشيخ التاودي بن سودة رحمه الله فقد قال في الجواب أن الرباط المذكور لا شك أنه بناه يعقوب المنصور تضافرت الرواة والتواريخ وغيرها بذلك وممن ذكره الإمام ابن عرفة إلى آخره ثم قال وعادة الملوك والأعيان إذا اختلطوا بلدا أو نزلو أرضا للعمران أن يأخذوا ما يحتاجون إليه ثم يأذنون الناس رغبة في الأجر وإبقاء للذكر وطلبا للعمارة والأنس ثم قال وإذا كان المنصور أقطع رجلا واحدا مع ما أعطاه أرضا تسع المدينة بمرافقها فكيف لا قطع هو أو غيره كل رجل من ساكن الثغر المذكور دويرة يسكن بها أو عرصة يقاتل عليها لأنها مأواه

ومحل أنسه ومنشأ كده وثمرة غرسه. وعطايا الملوك وإقطاعاتهم جائزة نافذة وقد اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم تميمي الداري بعض أراضي بنواحي بيت المقدس وأقطع زيد الخيل أرضا ببلده والقوم قد غرسوا وبنوا وسكنوا وتصرفوا بها شاءوا ولم يسمع أن أحدا من الملوك أخرجهم ولا كلمهم في ذلك أو نازعهم هذه ستمائة لأن وفاة المنصور كانت سنة 595.

وكان البناء قبلها وقد روى أبو داوود عن زيد بن أسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من احتاز شيئا عشر سنين فهو له ومثله في المدونة من رواية ابن حبيب إلى آخره ثم نقل كلام المعيار من أن عادة السلاطين في الوقت وعادة من تقدمهم أن يقروا كل من له بناء على قاعة المخزن على ما هو عليه ولا ينزعوها منه ولا يأمروه بقلع بنائه ولا يأخذوه بقيمته إلى آخر ما نقله وقال في الأخير ولا بد للعبد أن يقف بين يدي مولاه ويسأله نسأله سبحانه أن يتجاوز عنا بفضله وأن لا يخرجنا من دائرة رحمته والسلام التام على تلك الرحاب العظام ومن طاف حول كعبتها من الأقوام والخدام والرحمة والبركة والسلام. عبد ربه محمد التاودي بن الطالب بن سودة تغمده الله برحمته.

وبعده بخط العلامة سيدي محمد بن الحسن بناني. الحمد لله الجواب أعلاه صحيح وما آتاكم الرسول الآية والله أعلم. وكتبه محمد بن الحسن بناني.

وبعده الحمد لله الجواب أعلاه صحيح وكتبه عبد ربه تعالى عبد القادر بوخريص وفقه الله بمنه ولطف به.

(انعطاف إلى كلام الضعيف)

قال ثم تبدل السلطان على أهل الرباط وكتب لهم على أن يعزلوا من أولادهم نحو الثمانين ليتعلموا الرماية بالأنقاض والمهراز وكتب أيضا على أن يزيدوه عددا آخر من البحرية ليسافروا في البحر ثم وشوا بأهل الرباط للسلطان وقيل له أنهم يريديون الخلاف والاستقلال بأنفسهم فوجه لهم الباشا سعيد بن العياشي مع جيش كثيف ووجه معه الأنقاض والمهاريز ونزل على باب العلو

خارج المدينة ثم وجه ولده مولانا المامون بأثره وكان قد أراد شرا بأهل الرباط فأنجاهم الله منه وكان يريد أن يرحلهم للصويرة وذلك نكاية لهم لأجل حصرانهم على أخيه مولاي أحمد في القصبة عام 1161 ثم رأى أنه إن أخرجهم لن يجد من يقوم مقامهم بالبحر وبالسفن فغض طرفه عنهم وأراد أن يسكن معهم العبيد بأكدال فكتب للعبيد الذين بفاس الجديد وقال لهم أني قد أ عطيتكم ديار أهل الرباط بما اشتملت عليه من الإماء والطعام وغير ذلك فبوصول كتابي إليكم أسرعوا في الخروج وذلك حيلة منه ليخرجهم من فاس فخرجوا منه ووجه لعبيد سوس أن يأتوا من تارودانت وغيرها مع القائد المحجوب ولد قائد رأس ووجه من مراكش نحو خمسمائة من أولاد العبيد بنسائهم وهم الذين كانوا بالمنشية فكانوا هم السابقين للرباط أمرهم بالنزول في القصبة وكان ابتداء نزول العبيد برباط الفتح في شعبان أو في رجب عام 1178 بالقصبة وأخذوا في بنائها بعد قبض كل واحد منهم خمسين مثقالا ثم وردت على الرباط عبيد فاس الجديد فأمرهم السلطان أن ينزلوا أمام اللبرة حومة بين المدينة والبحر فنزلوا هناك وبنوا النوائل من الكلخ والقصب وسكنوا إلى أن قدم السلطان من مراكش.

وفي رجب المذكور أخذ النصارى سفينة للسلطان وهي سفينة الحاج الهاشمي المستيري الرباطي من جنس الكرنيز وبقي عندهم نحو الخمس سنين وفي الخامس والعشرين من رمضان قدم السلطان على الرباط من ناحية مراكش وفي الليل طلق السبيل في الأجنة والبساتين فنهبو ما وجدوا فيها من التشين وفي الصباح خرجوا له من الرباط بالمحاضر والألواح والمصاحف والأشراف فوجدوه داخل أكدال في ناحية صومعة حسان ومعه ابن عمران والحاج العباس مرين فلما خرج على باب الحديد قال من هؤلاء فقالوا أهل الرباط فأتى وليس معه أحد إلا المذكورين فقال أهل الرباط جئناك مستشفعين لتعفو عنا وقال لهم وما فعلت لكم إنما أتيت لأطهر بلدكم ثم عفى عنهم وبعث معهم الحاج العباس وأمرهم بالدخول من باب الجديد وأن يوجهوا له بعض الطلبة يقرؤون السلكة في ليلة القدر الخ. ثم في شوال أمر بقطع الأشجار بأكدال من الكرم والبرقوق

والتشين والتين والخوخ والسفرجل والإجاص وغير ذلك من المشماش بالشواقر ودخل له النصراني باول دمره الله وأخذ يفصل في المدينة كالأزقة والأسواق والحوانيت والديار والدروب وغير ذلك وفرق المال على العبيد وأمرهم ببناء الدور وفصل نحو الخمس مساجد منها جامع السنا وجامع الأوداية وجامع أهل مراكش وجامع أهل سوس وجامع أهل فاس. وفصل داره بالقرب من باب الجديد وسماه باب الربح وأمر ببناء البساتين على البحر كبستيون برج خنزيره بالقصبة وهدم دار الحرة وما يليها من الدور وبنى بيت المال وعمره بالمال وحصن القصبة وكان الباني لهم المعلم أحمد اللنكليز علجا من العلوج وكانت له سطوة مع السلطان وكان الباني لداره هو المعلم منصور العلج.

وفي سنة 1188 أمر السلطان بإيصال الماء الجاري من عين عتيك للرباط وفيها نزع ابن سعيد الفلالي عن القضاء وولي المهدي مرين الرباطي، وعمل على أهل الرباط وعلى الجيش الساكن بأكدال القائد عبد الله الرحماني.

وفي رمضان من عام 1194 أمر السلطان بخروج العبيد من رباط الفتح وكانوا فيه بنحو سبعمائة وسبعة آلاف بل أزيد من ذلك ولم يعطهم شيئا فباعوا ما كان عندهم من القش. خرجوا حتى كانوا يحملون أولادهم الصغار على رؤوسهم وخرجوا منه بلا عوين وفرقوهم في المراسي.

وفي صبيحة يوم الأربعاء 22 من شوال عام 1195 كسفت الشمس وكثر الهرج ووقعت يبسة في الزرع الأخضر وصلوا صلاة الاستسقاء فصلوا برباط الفتح المرة الأولى وكان الخطيب السي عبد الله البناني ثم أعاد الثانية وأخذ الناس في البكاء والعويل وزيارة الصالحين ويتشفعون له بالمصاحف وكانت اليهود تخرج بجموعهم ويطلبون الله. وانقطع الزرع الصويني من الرحبة وكذلك الخروب والزبيب والكرموس والشعير والذرة والبشنة وخلت الأسواق من ذلك كله وجاحت الأعراب في البوادي حتى كان الناس يأكل بعضهم بعضا. ثم أعيدت الصلاة ثالثا وإمامها الفقيه العلامة سيدي محمد ابن القاسم السجلماسي. فرحم الله عباده بالمطر بعد أن وصل الزرع خمسين أوقية للمد وخرج أهل الرباط

ليلا بالفضة والذهب واشتروا من النصارى وسق ثلاثة سفن من الزرع الصويني وعبروه على ضوء الشمع في الليل وأدخلوه لديارهم، وهم الأغنياء منهم فخيب الله ظنهم ورحم عباده.

وفي شوال من عام 1204 اشتكى أهل الرباط على السلطان على أن يرحل عنهم الشريف سيدي إبراهيم بن محمد الرباطي فأجابهم لذلك وفي الرابع والعشرين منه ورد كتاب السلطان على الشريف المذكور على أن يقدم على السلطان، وقد كان الشريف المذكور يبحث في أهل الرباط فلما وصل للسلطان أمره بالخروج من الرباط وأن يسكن بشالة.

وفي صبيحة يوم الإثنين انتشر خبر موت السلطان سيدي محمد بن عبد الله في الرباط وفي سلا، فاجتمع أهل الرباط وأهل سلا بالفقهاء والعلماء والشرفاء والطلبة وطلعوا لدار السلطان وأخذوا في حفر قبره وغسلوه وكفنوه وصلى عليه الفقيه سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي مع الفقهاء والعلماء ودفن رحمه الله عشية يوم الإثنين السادس والعشرين من رجب عام 1204. وبعد دفنه اختلف أهل الرباط وأهل سلا مع جيش السلطان، فمنهم من أراد بيعته مولانا هشام ومنهم من أراد بيعة مولانا اليزيد. ثم اتفقوا على بيعة مولانا اليزيد باتفاق من أهل الرباط وأهل سلا وكبراء الجيش من حوز مراكش وقيادهم وأعيانهم وبعثوا له بالبيعة لمولانا عبدالسلام بن مشيش نفع الله به. وكان الرحماني يريد بيعة هشام وكذلك الحاج عبد الله بركاش الرباطي وقادوس بعد اتفاقهما. لكن خالفهما الجل من أهل الرباط وسلا مع نحو الأربعة آلاف التي جاءت مع السلطان رحمه الله من كبراء أهل الحوز ثم جددوا البيعة في جامع الرباط الأعظم، فقطعت رؤساء أهل سلا بأعيانهم وفقهائهم وطلبتهم واجتمعوامع أعيان أهل الرباط وكبرائهم وذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب المذكور بمحضر القضاة والعدول من كلا العدوتين وأخذ كل من الفريقين نسخة من الآخر بخط أيديهم وبعثوا ثانيا لتجديد البيعة في اليوم المذكور ولحقه خبر موت أبيه يوم الأربعاء 28 رجب عند الاصفرار من آخر النهار.

وفي الحادي عشر من شعبان عام 1204 فرق عبد الله بركاش الراتب على الجيش المحصور بالرباط من المال الذي أتى به محمد بن العربي قادوس من المهدية وفيه ورد أمره على نهب ملاح الرباط وسلا فراجع عبد الله بركاش مولانا اليزيد على أن يقبض منهم المال واليهود في غاية الضيق فأخذوا في بيع حوائجهم كالصناديق والنحاس وغير ذلك ودفعوا للسلطان نحو الخمسة آلاف مثقالا.

ومن أخبار مولاي اليزيد أنه كان يأتيه بعض المتفقرين المتمردين مثل محمد ابن بوعزة الزعري الرباطي، وكان يزعم أنه من أولاد سيدي بوعزة الحبشي[13] وكان يدعي الكلام وينشد الملحون وصار يزعم الصلاح بالرباط إلى أن قدم على مولاي اليزيد وهو في الحرم المشيشي وكذب عليه فسماه بلكرايح. ثم لما تولى الخلافة وجهه على أن يبحث على مال قادوس. فورد على الرباط بنحو الخمسين فارسا فدخلها يوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى المذكور عام 1205. فقبض على أولاد فرج وسجنهم. وضرب الفقيه ابن إبراهيم فرج وضيق عليه. وقبض الرئيس محمد بن مبارك والحاج محمد بركاش الزنفوري وضربهما. وقبض أولاد مارسيل. وزاوك الحاج المكي بركاش وأمه مكية زوجة الحاج عبد الله بركاش وقبض محمد فرج. وقامت في أهل الرباط فتنة كبيرة وكل هذا كان بديوان الحاج العباس مرين والفقيه السيد عبد الرحمن السرايري وأحمد بن القاضي ومحمد بن البعزاوي بلكرايح وفي هذا اليوم وقع بأهل الرباط أمر عظيم ثمن اتفقوا ووجهوا طائفة منهم بنحو الأربعين رجلا يشكون على السلطان بمكناسة وطلبوا منه أن يرحل عليهم الحاج العباس والسرايري وابن القاضي ويدفع عنهم محمد بلقرايح، فأجابهم وبعث من يقبض بلكرايح فقبض وسجن وأمر بإخراج العباس والسرايري وابن القاضي. فقبض بلكرايح في التاسع من جمادى الثانية وزاوك الحاج العباس فخرجه ابن احساين فنيش السلاوي على أن يقرأ كتاب السلطان فقال له إقرأه علي هنا، فأبى ولا زال معه إلى أن خرج، فمر به للقوارب ثم رده لدار بركاش فوبخوه وحاسبوه على كراء الكنيسة فوجدوا عنده أربعمائة مثقال فقبضوا منه نصفها على الفور وأعطى الضامن في الباقي، وخرجوا الفقيه

---

13 - ابن عبد الرحمن دفين تاغيا.

السرايري وابن القاضي لسلا على أمر السلطان نصره الله، وقبضوا بلكرايح. وبعد خروجهم لسلا ذهبوا لمكناسةأيضا العباس والسرايري وابن القاضي، ثم بعث السلطان بإخراج بلكرايح مسجونا وبإخراج عياله فدخلوا على داره وخرجوا امرأته ومكنوها برأسها لنحو خمسة عشر من العبيد ذهبوا بها لمكناسة وكل هذا كان في يوم الأحد التاسع من جمادى الثانية واقتصرنا.

وفي عشية يوم الجمعة الثاني من رجب الفرد المذكور بلغ خبر موت السلطان لشقيقه مولانا سلامة وهو مزاوك بجبل العلم. ثم انقسمت أهل الرباط وأهل سلا على نصفين، فمنهم من أراد بيعة مولانا هشام ومنهم من أراد بيعة مولانا سلامة وكثر اللجاج فيما بينهم.

وفي يوم الإثنين الثالث من شعبان المذكور 1206 اجتمع أهل الرباط وأهل سلا بمولاي المكي بزاوية مولاي التهامي فقامت بينهم فتنة عظيمة فقال بركاش المذكور ننصر مولانا هشام لأن أولادنا عنده تحت يديه ولأنه أيضا قاتل عليها ولأن كتابه هو الأول ورد علينا الأول والثاني ولأننا إن بايعنا سليمان أو سلامة يقتل أولادنا وهم ثلاثون بين أهل الرباط وسلا. فأبى الحاج العباس مرين وقال لا نتبع إلا سلامة وها كتاب سيدي علي. فقالوا له أولاد الرايسي ها كتاب سيدي محمد بن عبد القادر يقول فيه نحن أهل وزان ما بايعنا أحدا من سليمان ولا من سلامة. فقال أهل سلا لبركاش مع فقهائهم بايع واحدا منهم من أردت والذي بايعته نشهد عليك أنه بايعته. فقال لا تشهدوا علي ما نشهد عليكم أنتم فقهاء تحللون وتحرمون فإن بايعتم سلامة مكنوني من خط يدكم فإن ورد هشام نمكن له خط أيديكم وبينكم وبينه أو قدم سليمان فكذلك، وكان فقهاء العدوتين يريدون سلامة إلا محمد الغربي فإنه كان من ناحية بركاش فقال الفقهاء من وصل لنا هو الأول نبايعوه ثم لما أراد بركاش المذكور أن يمكر بالحاج العباس دون عليه ثم كتب كتابه لمولانا سليمان على أن يبعث له بالجيش من مكناسة وذلك أنه لما رأى الحاج العباس تحزب مع أهل الكزا ومع المكي فرج ومع مولاي المكي ولد سيدي عبد الله بن الحسني صار من ناحية العباس والمكي فرج وأهل الكزا المذكورين. ومن حيل بركاش زور كتابا على لسان مولاي هشام واستظهر به وفيه

الأمر بإعداد البحرية والطبحية والبنباجية والأمر بقيادة بركاش وبقضاء محمد الغربي والأمر بقطع رأس الحاج العباس ورأس المكي فرج، وكان هذا يوم السبت الثامن من رجب المذكور، فتحزب بركاش وأراد قطع رأسهما فتعرضت عليهما أهل الكزا مع مولاي المكي بن الحسني. وفي يوم الجمعة 14 من شعبان عام 1206 قامت الفتنة بين أهل الرباط عند صلاة الجمعة فأراد بركاش أن يخطب بهشام وذلك حيلة منه ومكر لأنه كاتب مولانا سليمان وطلب الاستغاثة على الحاج العباس، وأراد الحاج العباس أن يخطب بسلامة فقال العباس إن لم تخطب بسلامة نصلها ظهرا فكان كذلك. ثم إن شيعة بركاش رجعت لقطع رأس المكي فرج فتمنع بداره، فمات المعطي بن العامري وهو الذي أراد الدخول على الدار المذكورة ونرصص العربي بناني. وسبب هذه الفتنة عبدالله بن إبراهيم فرج كان بحانوته بقرب جامع الجزارين فأتته شيعة بركاش ونهبوا له كابوسا وكيسة فيها عشرة مثاقيل فتحزمت أبناء عمه وهبطوا على الرحبة للفلايك فرآهم ولد حم بركاش فرمى بنفسه في البحر وخرج تحت القصبة فتحزم المعطي ابن العامر وطلع لدار المكي فرج فمات أمام فران الحاج عزوز، فتحزم العباس بشيعته وأتى مغيثا لدار فرج، وأما أهل سلا فخرجوا لبعض من الفناشة مع المحتسب الهاشمي بن عبد العزيز فنيش لأنهم من شيعة سلامة وأهل سلا من شيعة سليمان ولما أخرجوهم جاءوا لوزان لمولانا سلامة يستنشدونه. وفي هذا اليوم اشتكى عليه باينا بما فعل أهل الرباط بجده العباس.

وفي يوم الجمعة الخامس عشر من ربيع الأول المذكور سنة 1209 ورد كتاب السلطان على رباط الفتح فقرئ على أهل الرباط بالجامع الكبير مضمنه أن محمد ولد بن عبد الكامل يتولى أمر البحرية والطبجية والبونبجية يتفقدهم ويسرطهم من سبت إلى سبت، فأبى الحاج عبد الله بركاش مع أهل الرباط والبحرية وقالوا لا يتصرف. والذي قرأ الكتاب الطيب الغربي بمحضر مولاي عبد المالك بن إدريس وأرادوا الفتنة. وأما مولاي عبد المالك بن إدريس تقدم أن السلطان وجهه لرباط الفتح فأخذ في مودة الشاوية من كسوة الملف والكتان وغير ذلك وكان يصرف عليه الحاج عبد الله بركاش ثم إن بركاش أراد مكر مولاي عبد

المالك فأتاه وقال أخرج علي من الرباط، فخرج من حينه ورجع للسلطان بمكناس وأعلمه بذلك فأراد السلطان أن يقبض بركاش فقال له أمهل عليه إلى أن تنتهز الفرصة فيه وكان أهل الرباط يقولون السلطان بركاش.

وفي يوم الثلاثاء سادس ربيع الثاني اتفق الجل من أهل الرباط على عدم كيل الزرع للنصارى فهجموا على دار القصري ودخلوا على النصراني فكسروا الأمداد ونهبوا النصراني ثم وقعت فيهم الخلة بعد الاتفاق المذكور، وكان القائد عليهم هو الحاج محمد بركاش فقبض على البعض منهم وشيعهم لأهل سلا وبعثهم لسجن المهدية ثم بعث إليهم السلطان فوردوا عليه بمكناس فسجنهم بفاس فدخلوا السجن عشية يوما لخميش الخامس عشر من ربيع الثاني.

وفي سنة 1211 كان أهل الرباط يشترون السفن من النصارى فيهم من يشتري السفينة الواحدة ومنهم من يشتري نصف سفينة وآخر الثلث والربع وكثر عليهم المال والريال وضاروا يصنعون أبواب الديار بالأقواس الرومية ويركنون لصحبة النصارى ويدخلون الديار ويكرمونهم ويحبونهم وعلى هذه الحالة الجل منهم والمسكين ضائع.

وفي ثامن ربيع الثاني عام 1211 وجه السلطان من مكناس ولد الدليمي مع عبيد الصويرة وأمر آيت عطا أن يخرجوا من فاس لسلجماسة بمهرازين مع المعلم ابن جندار الرباطي البنياجي.

وفي يوم الأحد 17 ربيع الأول عام 1220 دخل الطالب الغازي لرباط الفتح عاملا على العدوتين ونزل بدار القائد العربي ولد المجاطية.

وفي أواخر ربيع الأول المذكور تقيد الحاج الطيب الزبدي على أهل الرباط جعله الغازي خليفة ونزع في متم عام 1223. وفي شهر ذي الحجة 1222 عزل الباشا الغازي الشاوي الحاج الطيب الزبدي عن حكومته على أهل الرباط وولى مكانه ابن أخته وهو البهلول ابن الصغير المزمزي. وفي يوم الأحد 29 شوال عام 1223 عزل قريون عن الحسبة وتولاها محمد الحمير. وفي يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني 1224 بعث السلطان لأمناء الرباط مع القاضي عبد القادر مرينو على أن

يجلس عدل وأمين بفندق القاعة وفندق الجلد وفندق الزيت والأمين يتخلص والطالب يكتب. وفي يوم الأحد 8 قعدة 1226 بعث السلاوي للحاج محمد السويسي الرباطي فقيده على أهل الرباط بمحضر أهل البلد. وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة المذكور تنظر الحاج محمد بن ابراهيم فرج الرباطي على أحباس جامع الرباط بمحضر السيد محمد السلاوي أيضا وفي الغد سافر السيد محمد السلاوي للعرائش لعمالته بعد أن عزل الرئيس محمد السبيع وولده عن مرسة الرباط وأمرهما بلزومهما بدارها وجعل على المرسة الحاج عباس غنام والرئيس إبراهيم لباريس. وعزل أيضا الطيب الزياتي كان من عدول المرسة المذكورة وقال له من عملك فيها فقال له القاضي عبد القادر مرين وذلك يوم الأربعاء الرابع من ذي القعدة المذكور. وفي ربيع الأول عام 1229 بعث السلطان كتابا مضمنه أن قياد العدوتين لا يعملون الخلائف تحتهم ومن عمل منهما خليفة فليشهد عليه الطالب محمد باينا ثم يسجل عليه القاضي ثم يعزل وكل قائد منهما لا يحكم على أحد إلا بمشورة القاضي.

وفي يوم السبت 19 ربيع الأول سنة 1229 عزل القائد محمد السويسي. وفي يوم السبت 28 من شعبان 1230 اجتمع الجل من خرازين أهل الرباط بالجامع الكبير وأحضروا المصحف الكريم وتعاهدوا واتفقوا على الحاج عبد الرحمان عشعاش التطاوني وشاع الخبر بالمدينة فذهب الحاج محمد صندال مع ابن عسيلة للجامع الكبير وقالا للخرازين المجتمعين بالجامع الكبير وعاير الجمع المذكور من الخرازين وأنهم دراري فكيف تقدرون على عشعاش فنهضوا في الحين وهجموا على عشعاش بالقنانيط وهو مع الحاج محمد اجغالف من أهل سلا وأحمد مارسيل الرباطي المؤقت فسدوا عليهم القنوط لأنهم أرادوا قتل عشعاش فاجتمعت عليه الأطفال والرجال ورجموه بالحجر ثم جاء البعض من شرفاء وازان بعد أن ذبحوا له الدجاج ونهبوا له بيت ولده وتشفعوا فيه وحلوا عليه القنوط وفي العشية ذهب معه لداره مع نحو الستين من الطبجية والبحرية والأطفال وراءه تنادي عليه وتضربه بالحجر، وفي الغد رجع للقنوط وأراد أن يقبض ثمانية من الغواغين من الخرازين وذلك يوم الأحد فتسلح فيه الجل من الخرازين بالكوابس والسكاكين وجلسوا في حوانيتهم.

وفي يوم الإثنين أول يوم من رمضان قامت غوغة بالخرازين وتسلحوا أيضا وقامت غوغة لم يخرج هذا اليوم من داره وكتب بما فعل له أهل الرباط للسلطان.

وفي يوم الثلاثاء ثالث رمضان سار البعض من الخرازين للسلطان والبعض من الحدادين والبعض من الدباغين والبعض من أهل الذمة فلما وصلوا مكناس اغتاظ عليهم السلطان غيظا شديدا ولم يلتق بهم سوى حماد مولى أتاي زمم جميعهم وبعثهم لبلادهم وكان القاضي أيضا كاتب السلطان وهو عبدالقادر مرين ثم وجه السلطان كتابه لأهل الرباط وقرئ به وذلك يوم الخميس الرابع من رمضان قرئ بالقنانيط مضمنه أنه عزل عليهم عشعاش وولى على أهل الرباط الطالب العربي بن بلال، وولى على أهل سلا محمد بن الجيلاني أخي سليمان ابن القرشي السقيري.

ولما أراد الباشا العربي بن بلال الخروج من الرباط قيد الحاج محمد فرج على أهل الرباط وذلك يوم الأحد 6 شوال عام 1230 ثم لما ورد السلطان على الرباط يوم الثلاثاء ثامن شوال عامه قصد ضريح أبيه فوجد أهل الرباط بالمحاضر وهو في غيظ عظيم عليهم على ما فعلوه بعشعاش فبعث القاضي عبد القادر مرين مع بعض الطلبة فلما جلس بين يديه قال السلطان أين الفقيه السيد محمد بن جلون الرباطي فأتى إليه وجلس بين يديه عن يمينه وجلس القاضي مرينو على يساره فوبخ أهل الرباط وتغير وجهه على القاضي وقال له تكلم كيف بك لم تتعرض على عشعاش وأنا جعلته قانعا يحفظ أولادكم ويعس على دياركم وتفعلون به كذا وكذا حتى خنق السلطان وخنق القاضي ثم يلتفت لابن جلون ويتكلم معه بلين.

وفي يوم الأربعاء تاسع شوال المذكور بعث السلطان كتابا مع السيد الطيب بسير للفقيه السيد محمد بن جلون مضمنه عزل القاضي عبد القادر مرينو وولى القضاء للفقيه السيد محمد بن جلون قرئ بالقبة التي بناها محمد السلاوي قرأه الفقيه السيد أحمد بن خضراء السلاوي العمري ووافق اليوم الأول من شتنبر هـ.

وهنا انتهى ما اقتطفناه من حوادث تاريخ الضعيف مع بعض تغيير. ولعمري أن فيها لخبرا. وأن فيها لعبرا. ومما جاء منها في تاريخ الاستقصا حادثة ثورة الرباطيين عند بيعة السلطان مولانا سليمان وهذا نص كلامه قال ولما قتل

السلطان المولى يزيد بن محمد بمراكش افترقت الكلمة بالمغرب فأقام أهل الحوز ومراكش على التمسك بدعوة المولى هشام بن محمد وبقيت الثغور تحت نظر المولى مسلمة بن محمد، واتفقوا على بيعته، واتفق أهل فاس على بيعة المولى سليمان بن محمد وبايعوه ونصروه وذلك سنة ست ومائتين وألف. وبعد ما تمت بيعته بفاس تداعى أمر المولى مسلمة إلى الاختلال وكان أول ما ابتدأ به عمله أن بعث جريدة من الخيل إلى نظر القائد أبي عبد الله محمد الزعري إلى الرباط وذلك باستدعاء محتسبها أبي الفضل العباس مرينو وأبي عبد الله محمد المكي بن العربي فرج من أهلها المنحرفين عن المولى سليمان إلى التمسك بدعوة المولى مسلمة وكان أهل الرباط يومئذ على فرقتين فرقة دخلت في طاعة السلطان المولى سليمان وفرقة أقامت بالتمسك ببيعة المولى مسلمة ولما اتصل بالمولى سليمان خبر مسير الزعري إلى رباط الفتح عقد لأخيه المولى الطيب على بني حسن وبعثه في اعتراضه فتوافى الجيشان معا برباط الفتح ووقعت الحرب فانهزم الزعري وشيعته وقتل العباس مرين وفر المكي فرج إلى الزاوية التهامية فاستجار بها وقبض المولى الطيب على الزعري وجماعة من أصحابه ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان واجتمعت كلمة أهل العدوتين على طاعته. هكذا ساق صاحب البستان هذا الخبر في الجيش العرمرم لاكنسوس وآل فرج يثبتونه ويقولون إن أصل هذه الفتنة أن آل مرينو كانت لهم الوجاهة مع المولى يزيد رحمه الله فسعوا عنده بآل فرج وقالوا له إنهم تقاعدوا على مال الوزير أبي عبد الله محمد بن العربي قادوس الذي أمنه عندهم فبطش بهم المولى يزيد وصادرهم واستحكمت العداوة يومئذ بينهم وبين آل مرينو فلماتوفى المولى يزيد بادر آل مرينو إلى بيعة المولى مسلمة وانحرف عنهم إلى بيعة المولى سليمان من لم يكن من حزبهم هـ. وبعد هذه الحادثة زحف السلطان إلى الرباط فمحى بقية آثار الفتنة وصلى الجمعة بمسجد القصبة وكان هو الإمام وخطب خطبة بليغة تشتمل على الأمر بالمعروف والنهي علن المنكر والتحذير من الحرام واجتناب الآثام ووعد وأوعد ودعا لكافة الأمة وصلى في الركعة الأولى بسور الجمعة والثانية بسورة الغاشية الخ. هـ. وقال في الاستقصا أيضا.

وفي سنة 1261 ثار أهل رباط الفتح على عاملهم الحاج محمد بن الحاج محمد السويسي وكان السبب في ذلك أن الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبدي من أهل

الوجاهة بالرباط ومتبوع العقب فيها وكان كثيرا ما يجالس العامل المذكور ويدلي عنده يالصداقة والمودة فيقال أنه تشفع عنده في بعض أهل البلد فرد شفاعته فغضب الزبدي وعظم عليه ذلك وكان أهل البلد قد سئموا ملكة السويسي ومرضوافي طاعته لأسباب تعدها الرعية على العمال فجاء الزبدي إلى منزله وجمع جماعة من أعيان البلد ممن يعلم انحرافهم عن العامل المذكور وأطعمهم وأطلعهم على خبيئة صدره في أمر العامل فوجدهم إليه سراعا فتحالفوا وتعاهدوا على أن لا يبقى متوليا عليهم بحال ثم مشوا إليه وأنذروه وتقدموا إليه بأن يلزم بيته ثم أجمع رأيهم على تقديم الزبدي مكانه فقدموه وضبط أمر البلد واتصل الخبر بالسلطان رحمه الله وهو بفاس فقام وقعد وكتب إليهم بالوعظ والتقريع فصموا عن سماعه وتمادوا على شأنهم ثم بعث إليهم القائد الطيب الوديني البخاري يتولى عليهم ويقبض على أهل الفساد منهم فأفحشوا عليه وطردوه من البلد مع العشي فعبر إلى سلا في مطر غزير ورجع إلى السلطان فاعلمه الخبر، فاحتال السلطان رحمه الله بأن بعث الفقيه الكاتب أبا عبد الله محمد العربي بن المختار الجامعي فقدم رباط الفتح وجمع أعيانها وخيرهم فيمن يتولى عليهم فاختاروا الزبدي فولاه السلطان عليهم وحمدوا سيرته وبعد نحو ستة أشهر قدم السلطان رباط الفتح وتريث بها مدة حتى نقر عن رؤوس الفتنة فقبض عليهم وعلى قائدهم الزبدي وبعث بهم إلى فاس فسجنوا بها ثم سرحوا بعد حين هـ. ومن هذا الحين سكنت حدة الرباطيين فلم يعودوا للتظاهر بتلك الحدة الناشئة عن طبيعتهم طبيعة الآباء التي لا تتحمل الهون والهمة العلياء التي لا ترضى بالدون اللهم إلا بعض مظاهرتهم شاهدنا منها مظاهرتهم عند مبايعة المولى عبد الحفيظ وكانت ضد باشا الرباط وقاضيه إلى أن انتهت بحملهما على المبادرة للدخول فيما دخلت فيه الجماعة بعد انكسار مولاي عبد العزيز ثم مظاهر تهم بدار الإقامة عند حادثة انقطاع دخول الفحم للرباط ومظاهرتهم بدار المخزن عند حفر نفق السكة الحديدية بالمقبرة العمومية ثم مظاهرتهم ضد تصريحات رئيس الغرفة التجارية بالدار البيضاء حول مسألة التعليم وغيرها من المظاهرات التي انتهت في الحين لكن عن ضرب من السياسة أو الكياسة.

(نوادر تاريخية بالرباط)

من النوادر التاريخية بالرباط ما ذكره الضعيف في حوادث سنة 1219 قال أنه في يوم الجمعة 24 جمادى الأولى من السنة المذكورة نوب السيد الزاكي بن أحمد التلمساني خطيب جامع السويقة برباط الفتح محمد المهدي مرين ليخطب له بالجامع المذكور ثم أن العربي روبياس الأندلسي تكلم مع محمد ابن الجيلاني قريون المحتسب برباط الفتح على أن لا يخطب محمد مرين فذهبا للناظر وهو الحاج محمد وزهرا الرباطي وتكلما معه على أن لايخطب محمد بن المهدي مرين فاتفقا على ذلك وذهبا للقاضي أحمد الحكموي وقصا عليه الأمر فوافقهم وبعث لمحمد ابن محمد بن جلون وأمره بالخطبة بالجامع المذكور فذهب محمد بن جلون للجامع على ان يخطب ويصلي الجمعة ولم يشعر بذلك محمد بن المهدي مرين فلما وصل الزوال ذهب محمد مرين للجامع ليصلي بعد أن يخطب بالناس وكان قد أعلم المصطفى المؤذن بذلك وقال له إني لا أدخل المقصورة ولكن أجلس أمام المنبر فإذا أذن المؤذن أطلع للمنبر وأخطب وأصلي فلما وصل وقت الصلاة أتى محمد بن جلون ودخل المقصورة فلما رآى ذلك المصطفى المؤذن أعلم محمد مرين بأن محمد بن جلون في المقصورة فقال محمد مرين للمصطفى المؤذن سر لمحمد بن جلون وقل له إن الزاكي بن أحمد التلمساني أنابني على أن أخطب وأصلي لأنه مريض فذهب المصطفى المؤذن واعلم محمدبن جلون فاطرق برأسه وسكت فرجع المصطفى المؤذن. واعلم محمد بن المهدي مرين بذلك فرفع نعليه وخرج في الحين وصلى بالجامع الكبير ثم خرج لدار الزاكي بن أحمد التلمساني الإمام بجامع السويقة واعلمه بذلك فتغير وقال لم آمره بذلك ثم قطع محمد مرين لسلا والتقى بمحمد السلاوي وقص عليه الخبر فبعث في الحين لمحمد بن جلون على أن يأتي به مقبوضا وبعث للمحتسب محمد قريون فجاء إليه محمد بن جلون فقال له السلاوي ما الذي حمل على الصلاة من غير إذن إمامه وهو الزاكي فقال إني خطبت بإذن القاضي وهو الذي أمرني بذلك وأقسم أنه لم يشعر حتى صلى الجمعة وكان في يمينه كاذبا ثم أمره السلاوي بالانصراف من سلا للرباط ثم بلغ قريون المحتسب للسلاوي فوبخه وأراد أن يقع به فقال إن أهل حومة السويقة لم يريدوا

الصلاة وراء محمد مرين وإني بريء من ذلك إلاأني أتيت المقصورة وقلت لمحمد بن جلون إن محمد مرين هنا في الجامع أراد الصلاة فقال له السلاوي هل أعلمت محمد بنْ جلون قبل الصلاة أو بعدها فقال قبل، فقال وكيف يكذب علي ويقول ما شعر بمحمد مرين حتى صلى أو الله أو الله ثم قال السلاوي لقريون إن لم تبرئ نفسك من هذا الأمر أفضحك فذهب قريون للقاضي وطلب منه البراءة فكتب القاضي الحكموي لمحمد السلاوي وأنه هو الذي أمر بن جلون بالصلاة وأما قولك أن الطلبة الذين اتفقوا على هذا أني لا علم لي بهم وأني أمرت محمد بن جلون بالخطبةلكن لم أشعر بأن الزاكي نوب محمد مرين، ثم قطع السلاوي للرباط يوم السبت الثاني من جمادى الثانية للرباط فالتقى بمحمد بن جلون بقرب سيدي الحسن بن سعيد فقال له السلاوي أجي كيف تكذب علي وتقول إني ما شعرت بمحمد مرين حتى صليت الجمعة والله إذا علمت أنك طلعت على عود من أعواد المنبر حتى أجعلهم على ظهرك وأحرقك بهم وكان السلاوي قد قال لمحمد مرين هل لك بينة على أن الزاكي نوبك فقال نعم، فقال آتني بها، فذهب للزاكي وأشهد بخطه أنه هو الذي نوب محمد مرين وشهد أيضا محمد بن مالك الفلالي بذلك ثم إن محمد بن جلون أتي بالعوريط لمحمد مرين على ان لا يمشي للسلاوي فسكت.

وذكر الضعيف من النوادر أيضا أنه في يوم الجمعة 10 رجب عام 1226 لم يجد الناس من يصلي بهم صلاة الجمعة بالجامع الكبير بالرباط حتى فات وقت الظهر من أجل السيد المفضل بن الحفيان من أولاد سيدي محمد الشرقي كان إماما بالجامع المذكور بإذن القاضي عبدالقادر مرين ومريشتكي على السلطان من أجل السجن، وهو الحبس الذي أمر السلطان ببنائه بقرب داره بدرب الحوت على أن لا يكون بقرب داره فذهب مؤذن الجامع المذكور للفقيه السيد أحمد الحكموي واعلمه بأن الناس لم يجدوا من يصلي بهم صلاة الجمعة فأبى وأشار عليه بأن يمر على السيد محمد بن التهامي بن عمرو فمشى إليه المؤذن المذكور فمر معه ليخطب ويصلي بالناس فلما طلع فوق المنبر أنزله منه المؤذنون وقالوا له حتى نستأذن القاضي عبد القادر مرين فذهب أحمد مارسيل مؤقت الجامع والحداد المؤذن للقاضي وكان بجامع القصبة يصلي بالناس فأخبروه بالخبر المذكور فأذن للتهامي

متجنوش أن يخطب بالجامع المذكور فلم يحفظ خطبة وتوقف وفات وقت الجمعة فأمكن التهامي متجنوش بخطبة مكتوبة كانت مع المكي بناني فدهش وتلف ولم يدر ما يقول مع كون الخطبة مكتوبة بيده ولحق وقت صلاة العصر هـ.

ومن النوادر أيضا حادثة التعييد عيدين المذكورة في الاستقصا قال انه في سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف اتفق أن وقعت نادرة برباط الفتح وهي أن جماعة من شهود اللفيف اثني عشر جاءوا إلى القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم رحمه الله ليلة التاسع والعشرين من رمضان وشهدوا عنده أنهم رأوا هلال شوال بعد الغروب رؤية محققة لم يلحقهم فيها شك ولا ريبة فسمع القاضي شهادتهم وسجلها وكتب للسلطان لذلك وهو بقر ميم فارتحل السلطان في جوف الليل ودخل الرباط في هذه الليلة وأصبح من الغد معيدا وعيد أهل العدوتين وأعمالها والجم الغفير من أهل المغرب الذين حضروا مع السلطان ولما كان ظهر ذلك اليوم وهو التاسع والعشرون من رمضان حقق الفلكيون من أهل الدولة أن العيد لا يمكن أن يكون في ذلك اليوم وتكلموا بذلك وفاهوا به فكثر الكلام بذلك وكان جل الناس على شك أيضا ولما حان وقت الغروب ارتقب الناس الهلال والسماء مصحية ليس فيها قزعة فلم يروا له أثرا فأمر السلطان أعزه الله بالنداء وأن الناس يصبحون صياما لأن رمضان لا زال فصام الناس من الغد وبعد ذلك ظهر الهلال ظهورا معتادا وتبين كذب الشهود فسجنوا ثم سرحوا بعد حين هـ.

(نظرة عمومية حول الرباط وأهاليه)
(وهي خاتمة المقدمة)

أهل الرباط على العموم هم أهل مدنية لا يعادلهم فيها إلا أهل فاس وتطوان نظرا لأصلهم الأندلسي الأصيل في العراقة والحضرية التي نشاهد من آثارها في الرباط والرباطيين ما هو ظاهر ظهور الشمس في معارفهم وآدابهم وصنائعهم ولذا كان الرباط ولم يزل آهلا بالأدباء والكتاب والشعراء إلى ما فيه من الصناع المجيدين والتجار الأذكياء المجدين فضلا عن اليد العاملة بكل كد وجد وبيوتات الرياسة والعائلات الكبرى العريقة في المجد ولا تسل عن حالته

العلمية والأدبية، فالرباط في الصف الأول بين المدن المغربية وكل شبانه اليوم مقبلون على المدارس للتعلم والتفهم مدمنون على التغذي بلبان المعارف على اختلافها وتنوع مشاربها ولهم شغف بمطالة الجرائد والمجلات العلمية وتعلق بالعلوم العصرية وما جريات ا لأحوال الوقتية مما يدل على تنور فكرتهم وسلامة فطرتهم وأن لهم مستقبلا في الرقي يغار منه الماضي بحول الله ولا حول إلا بالله. ومما عرف به أهل الرباط الإقدام والنجدة وطبيعة الحدة كما يدل عليه ما قدمنا من الحوادث التاريخية قديمها وحديثها وعرفوا أيضا بشيمة الآباء والهمة الشماء. إلى حد يظنه الجاهل كبرا فيهم وهم من ذلك برءاء اللهم إلا على أهل الكبر فنعم (والتكبر على أهل الكبر عبادة) ومن أخلاقهم التقرب للغريب والإحسان إليه بقدر الإمكان والعناية بالضيف ولا سيما إذا كان من أهل الفضل وهو معنى ما يجري على ألسنة العامة في قولهم مولاي إبراهيم كرام الضيف، إلا أنهم وإن بالغوا وبلغوا ما بالغوا لا يبلغون شأو أهل فاس ومراكش في هذا الباب. وكان الرباطيون قديما في حكم البدويين فلم يكن فيهم إلا من يعتمد على نفسه في فلاحته ودراسته وماشيته واستنتاج ذلك للانتفاع به في القيام بشؤون معيشته، ثم صار الرباطي اليوم تبعا للظروف منغمسا في بحار الترف ميالا للدعة والراحة واستكثار الأقوات والملابس والتأنق فيها والتطاول في البنيان وذلك ما عمت به البلوى إلا من لم يجد (ومن العصمة أن لا تجد) ومن أوصافهم العامة المحافظة على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم غالبا ثم تعظيم الأشراف والعامة. وكل من كان من أهل الخير والصلاح والدين مع العناية التامة بالأيام الفاضلة والجمع والأعياد والمولد النبوي وسائر المواسم الدينية التي لا يشينها إلا ما يحيط بها في الغالب من المكاره والبدع وكلنا اليوم بدع ولا سيما في عوائدنا الأهلية وقواعدنا البيتية هذه نظرة عمومية حول أهالي مدينة الرباط.

وأما نفس المدينة فإذا ألقينا نظرة عمومية حول ما اشتملت عليه من آثار الاستعمار داخل الأسوار المحيطة بها إحاطة السوار نجدها تنقسم إلى ثلاثة مناطق منطقة شرقية وهي منطقة حسان والإقامة العامة القديمة والجديدة ومساكن أكدال الكبير ودار المخزن واتواركة، ومنطقة غربية وهي منطقة المدينة الأصلية والقصبةوالمرسى والمدرسة والمقبرة العمومية، ومنطقة جنوبية وهي منطقة

الاقيانوس والمحطة العسكرية والمستشفيات الطبية ودار القبيبات السلطانية وعدة أبنية أروبية وبساتين وأجنة رباطية تقدر مساحة المنطقة الأولى بثلاثمائة وسبعة وخمسين هكتارا ومساحة المنطقة الثانية باثنين وتسعين هكتارا ومساحة المنطقة الثالثة بأربعمائة وخمسين هكتارا فيكون المجموع ثمانمائة وتسعة وتسعين هكتارا تتخللها عدة حومات وشوارع قديمة وحديثة أبهجها اليوم شارع دار المخزن فقد كثرت الأبنية الجميلة في ذلك الشارع البهيج ولازالت الهمة مصروفة في تشييد أبنية عديدة أخرى على جانبيه بحيث لا تمر مدة قصيرة حتى تتضاعف عمارته ويعظم فيه الروجان ضرورة أنه يوجد بوسط المدينة وبالقرب من سوقها البلدي الجديد وبه توجد بناية البريد الضخمة وبناية البنك المخزني العجيبة وبناية البنك الجزائري التونسي وقصر المحكمة الفرنساوية الاستيئنافية وغيرها.

أما الشارع من حيث هو فقد بالغت بلدية العاصمة جهدها في تحسينه وتنميقه إلى حد جعله بهجة للناظرين ونزهة للسائحين.

وبالجملة المغنية عن التفصيل إن كل من قابل بين حالة الرباط بالأمس وحالته اليوم من سائر الحيثيات والاعتبارات يقضي كل العجب من البون الشاسع والفرق الواقع بين الحالتين.

فقد خطت ا لرباط في سبيل الإصلاح خطوة واسعة ا لمدى رصفت طرقاتها ونمقت حوماتها وأنشئت فيها المستشفيات والملاجئ الصحيةوالمدارس العلمية والمعامل الصناعية والأهرية التجارية وغيرها من الأبنية الضخمة التي أصبحت بها الرباط تجر ذيول الفخر على كثير من المدن المغربية.

بالأمس كانت الشوارع مظلمة والطرقات كلها أوحال وإلا فغبار أو رمال ولا سيما حول شاطئ الوادي والبحر حيث المرسى محصور بالرمل والصخر فلا أجفان ولا روجان.

وأما اليوم فالمرسى عامرة بالصادر والوارد والأجفان تغدو وتروح والمراكب داخلة خارجة في الغبوق والصبوح. والسلع متوفرة والأمتعة مذخرة والأنوار الكهربائية متألقة الأضواء. في الشوارع والأرجاء. والأسلاك ممتدة في سائر الأنحاء. إلى غير هذا مما يشاهده الرباطي من معالم الإصلاح. وعلائم الخير والصلاح.

فلا عجب إذا أصبح الرباط وهو العاصمة الإدارية والمخزنية مع ذلك كله مشمولاً بعناية ورعاية الحكومة التي تتبع إصلاحاته على شكل هندسي عجيب يجعله في تبرجه وتبرزه كالعروب العروس بين باقي المدن الجميلة المقصودة للنزهة من الأقارب فضلا عن السواح الأجانب ولنختم هذا الموضوع بهذا الوصف للشاعر المطبوع قال من قصيدة :

وفي ثغر الرباط نظرت خودا ... بأثواب الجمال موشحات
تغنوا بالقدود عن العوالي ... وبالأجفان عن حمل القناة
فلم أر قبلهن شموس خدر ... يلحن من العلو بأكسيات
فليت الحائكين لهن ماتوا ... جميعا قبل صنع الأرديات
سقى غيث السرور الصفو صرفا ... رباط الفتح عاصمة الحماة
بلاد تكفل الأرام فيها ... ضراغمها وجرد الصافنات
بلاد تشرق الأقمار فيها ... بأطواق وتحجب بالظباة
بلاد قد غدا فيها مقيما ... أمير القطر محاق البغاة
بلاد أكبر العلماء فيها ... غدا متصدرا للموعظات
بلاد أعظم الوزراء فيها ... وفيها من علمت من الدهاة
تأمل في مرابعها تجدها ... مرابع زاهرات زاهيات
منظمة شوارعها ولكن ... عن الأدران طرا خاليات
تأمل في مساجدها تجدها ... بأمواج الخلائق عامرات
منظمة شوارعها ولكن ... لا شتات المحاسن جامعات
لها سرج تنار بكل ليل ... فتسطع كالنجوم الزاهرات
يخال الناظرون لها قصورا ... ضخاما للملوك مشيدات
وفتش عن مدارسها تراها ... بطلاب المعارف آهلات
بها الشبان عاكفة على ما ... يفيد من العلوم النافعات
علوما فضلها أمسى جليا ... غنيا من جميع البينات
علوما لا حياة اليوم فيما ... أراه بدونها في ذي الحياة

علوما حسب دارسها افتخارا تعلمه لسيدة اللغات
علوما لو قرأناها قديما لما كنا مثال العجموات
ولا كنا تركناها اختيارا فجئناها اضطرارا كالعفاة
وأعجب ما رأيت لها حديثا ديارا واسعات شاهقات
يوافيها المريض بكل ردح فيشفى من جميع الموجعات
لذلك سميت في كل حي من الأحياء بالمستشفيات

ويحسن أن تكون كلمة مستشفى هي خاتمة المقدمة تفاؤلا بالشفاء لأني منذ اشتغلت بتحرير هذا الكتاب وأنا في أسقام وآلام قلب لي بها الدهر ظهر المجن. وجر عني ما جرعني من الإحن والمحن. ولست أشكو إلا إليه تعالى ومنه أسأل الفرج. راجيا من الواقف على هفواتي أن يعتذر بها أعتذر الله به عني (وليس على المريض حرج) إذ قلما يخلو مؤلف من سيئات. والحسنات يذهبن السيئات. وكان تخريج هذا الجزء في غضون عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف.

وكتبه خديم العلم والأدب والتاريخ محمد بن مصطفى بوجندار. الرباطي الأصل والدار. شفاه الله أمين بالأمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الأعلام

محمد صلى الله عليه وسلم: 20-21، 119

ـأـ

إبراهيم (عليه السلام): 29

إبراهيم الدك: 40

إبراهيم بن عبد السلام ابن التهامي: 134-135

إبراهيم بن محمد الرباطي: 149

إبراهيم لباريس: 126، 154

إبلين: 27

ابن إبراهيم فرج: 150

ابن أبي بكر الدلائي: 42

ابن أبي زرع: 71

ابن احساين فنيش السلوي: 150

ابن الأثير: 51

ابن الجناوي: 110

ابن الحاج الفاسي: 121، 123

ابن الحاج: 75، 90

ابن الخضر: 107

ابن الخطيب: 34-35، 47، 51، 62، 70، 77، 106

ابن الرقيق: 22

ابن الضيف: 110

ابن الطاهر: 110

ابن العامري: 107

ابن العباس: 127

ابن الفقيه: 110-111

ابن القاسم: 144

ابن الكاهيا: 110

ابن المسيب: 144

ابن المؤقت المراكشي: 138

ابن بوعزة: 125

ابن جرير الطبري: 22

ابن جزي: 84

ابن جندار: 136

ابن حبيب: 146

ابن حجر: 90
ابن حوقل البغدادي: 31، 34، 50
ابن خلدون: 27، 112
ابن خلكان: 21، 51-52
ابن دهاق: 110
ابن رشد: 90، 144
ابن زاكور (الفقه): 137
ابن سعيد الفلالي: 148
ابن سينا: 90
ابن طوجا: 43، 110، 120
ابن عبد البر: 90
ابن عبد الله: 109، 125
ابن عبد المنعم الحميري: 71
ابن عرفة: 90، 109، 144-145
ابن عمران: 147
ابن عيسى السفياني: 111
ابن قدور: 110
ابن مالك: 115
ابن منديل: 110
ابن يوسف: 108
أبو إسحاق التادلي: 53، 60، 88، 90
أبو الحسن العكاري: 32
أبو الحسن المريني: 84
أبو الحسن علي بن الحاج : 85
أبو الحسن علي مارسيل: 82-83، 124
أبو الربيع مولاي سليمان(السلطان): 74-75، 78، 80، 84، 112، 120، 156-157
أبو السعود الكتاني: 107
أبو الشكاوي: 107
أبو الطيب بن عبد الرحمن عبدون: 39
أبو العباس أحمد الحنفي المعروف بعبد العزيز القرشي: 116
أبو العباس أحمد بن الحاج
السلمي: 140، 143
أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتي: 60
أبو العلاء إدريس بن حمان الجراري: 47
أبو الغيث القشاش: 118
أبو الفداء: 36
أبو القاسم الزياني: 23، 27، 75، 78
أبو بكر اللمتوني: 31
أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن الشقور: 91
أبو جندار البنياجي: 126، 153
أبو حامج البطاوري: 91

أبو جندار البنياجي: 126، 153

أبو حامج البطاوري: 91

أبو حامد (القاضي): 83

أبو حامد الفاسي: 128

أبو حفص عمر الفاسي: 143

أبو حيان: 22

أبو داوود: 146

أبو شامة (الإمام الحافظ): 20

أبو عبد الله العربي المستيري الرباطي: 83

أبو عبد الله العياشي: 39، 128-131، 140

أبو عبد الله بن بطوطة: 71

أبو عبد الله محمد الزعري: 156

أبو عبد الله محمد العربي بن المختار الجامعي: 157

أبو عبد الله محمد المكي بن العربي فرج: 156

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: 160

أبو عبد الله محمد بن القاسم السجلماسي: 90، 148–149

أبو عبد الله محمد بن المكي بركاش: 121

أبو عبد الله محمد بن حجي زنيبر السلاوي: 108

أبو عبد الله محمد بن عبد الرفيع الأندلسي: 113

أبو عبد الله محمد بن عبد الرفيع الأندلسي: 113

أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي: 33، 46، 72،75، 81–82، 85، 110، 112، 121-122، 124-127، 142، 146، 156-157، 160

أبو عبد الله محمد بن عبد السلام: 108.

أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد الفاسي: 108

أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس: 108

أبو عبد الله محمد كنون: 59

أبو عبد الله مرينو الكبير: 85

أبو عزه بن محمد بن طلحة: 40

أبو عنان المريني: 73، 84

أبو عنان: 32

أبو عيسى الوزاني: 139

أبو مالك عبد الواحد ابن عاشر: 128

أبو محمد عبد السلام بن محمد السويسي: 124

أبو محمد عبد الله ابن يعقوب الموحدي المعروف بالعادل: 78

أبو مصعب الزبير: 20

أبو منصور الجوالقي: 91

أبو يعزى القسطالي: 33

أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن: 48

أبو يوسف يعقوب المنصور: 71
ابيرو: 110
أحمد الحكموي: 158-160
أحمد الزبدي: 122
أحمد الزموري: 54
أحمد السويسي: 124
أحمد اللحياني الورتاجني المريني: 32
أحمد اللكنليز: 148
أحمد الولتيتي: 136
أحمد بن القاضي: 150-151
أحمد بن المامون البلغيثي: 54
أحمد بن خضراء السلاوي العمري: 156
أحمد بن عبد القادر: .32
أحمد بن عبد الله الغربي: 135، 137
أحمد بن عبد الله الغربي: 136
أحمد بن محمد آل عثمان: 116-118
أحمد بن محمد بن سليمان: 108
أحمد بناني: 91
أحمد حجي مرينو: 120
أحمد بن عبد الله الغربي: 136
أحمد بن محمد آل عثمان: 116-118
أحمد بن محمد بن سليمان: 108
أحمد بناني: 91
أحمد حجي مرينو: 120
أحمد زكي: 111
أحمد سكيرج: 59
أحمد سنتياك: 43، 121
أحمد عاشور الرباطي: 72
أحمد مارسيل: 154، 160
أحمد والزهرا: 123، 136
إدريس بن إدريس: 24
إدريس بن العربي الصويني الجراري: 48
إدريس بن صالح الحميري: 24
إدريس بن عبد الله الكامل: 30-31
الأزرق: 108
الإسكندر ذي القرنين: 27
اشكلانط: 110
إفريقش الحميري: 23، 27
أكنسوس: 75، 156
أم الكنابيش: 77
الإمام أبو مهدي عيسى الغبريني: 109

الإمام علي: 19
الإمام مالك: 144
إمليل: 24
أميرال سلا = عبد الله بن عائشة
أوريليوس: 29

- ب -

بادس:24
الباشا: 125
باينة: 110
البخاري (الإمام): 21، 33، 79، 90
البدر القرافي: 20
براد: 110
البربري: 108
بربيش: 110
البرزلي: 90
برق الليل: 109
برقوق: 112
بركاش: 110، 121
بريس: 110
بزازة: 110
بسير: 110
البكري: 31
بلافريج: 110، 125
بلاكو: 110
بلامينو: 77، 110
بلانبو: 110
بلانسيانو: 4 3
بلانكو: 43
بلدور: 110
بلسيو: 110
بن عمرو: 110
بناني: 77، 90، 108
بنعاشر بن حسان: 111
البهلول ابن الصغير المزمزي: 154

بوجندار: 109، 121
بوحدو: 108
البوصيري: 119
بونو: 110
بوهلال: 108
البيضاوي: 108

-ت-

التادلي: 109
التازي: 108، 123
تاشفين بن علي: 34
التاودي بن الطالب بن سودة: 138، 140–142، 144، 146
التطواني: 109
تقي الدين أبو الرضى أحمد بن طارق بن سنان القرشي: 91
تكيطو: 110
تمورو: 110
تميم الداري: 146
تميم بن زيري الإفراني: 31
التهامي متجنوس: 160
التهامي مدون: 137
التونسي:43، 110، 120
تيسو: 34

-ج-

جابر بن سليمان: 109
الجزولي: 111
جسوس: 108
جعفر بن أبي طالب: 109
جوزيف كانال: 27
الجيلالي العدلاني: 125
الجيلاني الجراري (القائد): 47
الجيلاني بن الشرقي: 47

-ح-

الحاج أحمد التازي: 124
الحاج أحمد الشرايبي: 108
الحاج عبد الرحمن عشعاش التطواني: 154-155

الحاج أحمد بلافريج: 126
الحاج أحمد بن عبد الله: 125-126
الحاج أحمد بناني: 125
الحاج أحمد غنام: 122
الحاج التهامي المدور الرباطي: 125
الحاج التهامي مدون الرباطي: 83
الحاج الطيب الزبدي: 122
الحاج الطيب الزبدي: 153-154
الحاج الطيب بن الجيلاني الأمطاعي: 47
الحاج العباس بركاش: 122
الحاج العربي بناني: 125، 152
الحاج العربي ملين: 125
الحاج المسناوي الرباطي: 136
الحاج الهاشمي المستيري: 125، 147
الحاج بن الطاهر الزبدي: 122
الحاج بناصر بن علي غنام الأندلسي: 122-123
الحاج بوشعيب الجزولي: 111
الحاج سعيد التامري: 137
الحاج عباس غنام: 122، 154
الحاج عبد القادر المعموري: 125
الحاج عبد الله القباج: 57
الحاج عبد الله بن الحاج علي بركاش: 121
الحاج عبد الله فنيش: 43
الحاج عبد المجيد بركاش: 122
الحاج علال بن القائد إدريس: 47
الحاج محمد اجغالف: 154
الحاج محمد الأزرق: 125
الحاج محمد التازي: 124
الحاج محمد التامري الكديري السرار: 137
الحاج محمد الزبدي: 40، 122
الحاج محمد السويسي: 124، 154، 157
الحاج محمد بركاش: 122، 153
الحاج محمد بن إبراهيم فرج: 125، 154
الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبدي: 157
الحاج محمد بن الحاج محمد السويسي: 124
الحاج محمد بن عبد الله: 125
الحاج محمد بناني: 125

الحاج محمد صندال: 154
الحاج محمد فنيش: 40، 43
الحاج محمد والزهراء: 123
الحاج محمد وزهرا الرباطي: 158
الحاج مكي بركاش: 121، 150
الحاج يوسف السنسياض: 39
الحبيب الماكي الحمادي: 136
حجي مرين: 136
الحداد: 110
الحريري: 141
الحريري: 141
الحريري: 91
حسان بن النعمان: 24
الحسن السوداني: 112
الحسن المسكيني: 77
الحسن بن سعيد: 77، 159
الحسن بن علي: 19
الحسن بناني: 126
الحسن: 118
الحسين: 118
الحطاب: 90
حماد مولى أتاي: 155
حمامة بن المعز المغراوي: 31
حمان بن عبد الله المطاعي الأودي: 47
الحمري: 110
الحويشي: 77

-خ-

الخرشي: 90، 108
خليل (الشيخ): 133، 144

-د-

دعنون: 110
الدقاق: 110
الدك: 77، 110، 120
الدكالي: 109
الدلائي: 90
دنية: 77، 110
دو كاستري: 40-41، 44، 121، 127-128
ديالافوس: 73

-ر-

الرايسي: 108

ربيعة: 144

الرحماني: 149

الرشلي: 111

رضوان بلافريج: 126

الرطل: 127

الرندة: 110

روديباس: 110

-ز-

الزاكي بن أحمد التلمساني: 158-159

الزبدي:43، 110، 123

زبرو: 110

الزرقاني: 90

الزعروري: 38-39، 128

زنيبر: 108

زيد الخيل: 146

زيد بن أسلم: 144

زيد بن أسلم: 146

زيدان السعدي (السلطان):106، 128

زيدان: 38-39

-س-

ساسي نوينه الأندلسي: 119

سباطة: 110، 127

السخاوي: 20

السدراتي: 90

سعيد أجنوي: 39

السعيد الموحدي: 71-72

سعيد بن العياشي: 146

سعيد بن صالح: 28-29، 78

سكورضوس: 43

السلاوي: 108، 154

سلمان الفارسي: 118

سليمان ابن القرشي السقيري: 155

سليمان بن طاهر: 130

السويسي: 82، 109، 124

سيدي فاتح: 77

السيوطي: 20، 29

-ش-

الشادلي: 77

الشافعي: 20

شامبيو: 101

الشدادي: 108

الشديد: 127

الشرشالي: 109

الشريف الإدريسي: 31

شكلانط: 77

الشلاوي: 107

شنتياك الأندلسي: 121

شنتياك: 110، 120

شهاب (الملك): 29

الشيخ يحيى: 90

-ص-

صالح (القائد): 137

صالح بن طريف البرغواطي: 31

الصعب ذي القرنين: 23

الصويري: 108

صيرون: 121،136

-ض-

ضاكة: 110

ضريح سيدي العربي بن السايح: 77

-ط-

طارق بن زياد الليثي: 25

الطالب الغازي: 153

الطاهر بن لحسن: 127

الطاهر بناني الرباطي: 83، 125

الطنجي: 84

الطيب الزياتي: 154

الطيب الغربي: 152

الطيب الوديني البخاري: 157

الطيب بسير: 155

الطيب بن سعيد: 8 5

الطيب مارسيل: 124

طيفور: 110

-ع-

عاشور: 110-111، 126

عامر بن محمد : 39

عباس مرينو: 120، 156

العباس: 118

عبد الحق المريني: 73

عبد الحق فنيش: 82، 108، 132، 134، 137

عبد الخالق فرج: 125-126

عبد الرحمن السرايري: 150-151

عبد الرحمن بركاش: 48، 122، 126

عبد الرحمن بلسيو: 110

عبد السلام التازي: 123

عبد السلام بن مشيش: 149

عبد السلام والزهراء: 123

عبد العزيز بركاش: 122

عبد القادر بوخريص: 142، 146

عبد القادر مرين: 154-155، 160

عبد القادر مرينو الأندلسي: 43، 120، 154

عبد الكريم (أمير كتامة): 25

عبد اللطيف فرج: 125

عبد الله البناني: 148

عبد الله الدلائي: 42

عبد الله الرحماني: 148

عبد الله السفياني: 136

عبد الله السوداني: 75

عبد الله العياشي: 129

عبد الله القصري: 39-40

عبد الله بركاش: 149-150، 152-153

عبد الله بن إبراهيم فرج: 152

عبد الله بن إسماعيل: 72

عبد الله بن الشيخ السعدي: 38-39

عبد الله بن جعفر: 109

عبد الله بن عائشة الرباطي(أميرال سلا): 28-29، 125

عبد الله بن علي القصري: 128-131

عبد الملك بن عبد الله: 125

عبد الملك بن مروان: 24، 30

عبد المومن بن علي: 25، 35-36، 70، 77، 85

عبد الوهاب شكلانط: 121
عبدون: 110
عثمان بن عفان: 109
العرائشي: 109
العربي الزبدي: 122، 126
العربي المستيري الرباطي:121، 125-126، 137
العربي بن السائح: 59، 77
العربي بن بلال: 155
العربي بن عبد الله: 126
العربي حكم: 126
العربي رودياس: 158
عروة بن الزبير: 21
عطية: 77
العظمي: 110
عقبة بن نافع الفهري: 30
العكاري: 108
علي التركي: 126
علي بربيس الأندلسي:135
علي بربيش: 126
علي بن راشد الشريف العلمي: 25
علي بن محمد بن رحال الشافعي: 91
علي بن يوسف اللمتوني: 75
علي كالان: 130
علي مارسيل: 124
العماني: 110
العناية البعودي: 126
العوفير: 125
عياض: 136
عيسى (عليه السلام): 20، 114
عيسى بن مسعود طريدانو: 125

-غ-

الغازي الشاوي: 154
الغازي بن قاسم: 77
الغربي: 108-109
الغزالي: 90
الغماري: 77
غنام: 122
الغندور: 77

-ف-

فرج الأندلسي: 109
فرج: 109، 124
فرندنو: 110
فشردو: 110
فلوريش: 110
فنيش: 108
فيليبو الثالث: 116

-ق-

قاسم بن بوعزة الزيرادي الأودي: 48
القائد العربي ولد المجاطية: 153
القباج: 108
قدميوة: 24
قديرة: 110
القرطبي:43، 110، 120
قريون: 110، 154
القسطالي: 110
القسطلاني: 90
القشري: 85
القصري: 110، 120–121

-ك-

كريسبو: 110
كسوس: 108
الكلاعي: 90
كنضرون: 110
كيلطو: 110

-ل-

لالة عائشة عريانة الراس: 77
لالة كنزة الطالبية الإدريسية: 77
لباريس: 110، 126
لحلو: 108
لمعلم بن أحمد الشياظمي: 82
لميرو: 111
لوريش: 91
اللوشي: 110، 121، 136
اللوطوري: 115
ليون الإفريقي: 27-28، 33-34

-م-

مارسيل: 110، 124، 150
متجنوش: 110
المحجوب لميرو: 111
المحجوب: 147
المحرزي:107
محمد (فتحا) بوجندار: 126
محمد (فتحا) غنام: 122
محمد (فتحا) والزهراء: 123
محمد التونسي الأندلسي: 137
محمد الجزولي: 111
محمد الحمير: 107، 154
محمد الدرعي: 77
محمد السبيع: 126، 154
محمد السلاوي: 82، 154-155، 158
محمد السويسي: 124
محمد الشافعي النفطي: 59
محمد الشرقي: 132، 160
محمد الشنجيطي: 56
محمد العنقي: 126
محمد بن جلون الرباطي: 155-156
محمد بن زاكور: 60
محمد بن عبد الرحمن: 47، 68، 76، 78، 81، 85، 96
محمد بن عبد القادر سرون: 128
محمد الغازي: 84
محمد الغربي: 151-152
محمد الفخيري: 110
محمد باينا: 154
محمد بركاش الزنفوري: 150
محمد بركاش: 122
محمد بن أحمد فرج: 126
محمد بن إدريس الجراري: 47
محمد بن البعزاوي بلكرايح: 150-151
محمد بن التهامي بن عمرو: 160
محمد بن الجيلاني قريون:155، 158-159
محمد بن الحاج الأودي: 47
محمد بن الحاج محمد التازي: 123
محمد بن الحسن بناني: 142، 146
محمد بن الشرقي الأودي: 47
محمد بن العباس الزكي: 125
محمد بن العربي قادوس: 149-150، 156
محمد بن المهدي مرين: 158-159
محمد بن بوعزة الزعري الرباطي: 150
محمد غنام: 122-123
محمد فرج: 82، 150، 155
محمد فنيش: 135
محمد قريون: 125
محمد كراكش: 132

محمد بن عبد القادر: 151
محمد بن عبد الله الشريف: 135
محمد بن عبد الله العلوي: 25، 46، 72-73، 75، 78، 79، 81-84-85، 89، 96، 120-121، 124–125، 133، 139-141، 143
محمد بن عبد الله المحرزي: 107
محمد بن عسيلة: 127، 154
محمد بن عمرو: 40
محمد بن مالك الفلالي: 159
محمد بن مبارك الرباطي: 135
محمد بن مبارك: 126، 150
محمد بن محمد المريني: 126
محمد بن محمد بن جلون: 158-159
محمد بن محمد بوجندار: 111
محمد بناني: 125
محمد عابد الفاسي: 140-141
محمد عواد: 137
المعطي بن العامري: 152
المعطي: 126
مغيل: 24
المفضل بن الحفيان: 160
المفضل: 85
المكناسي: 108
المكي بن الشاذلي الشرقوي: 126، 132
المكي بن علي فرج: 124
المكي بناني: 160
محمد مارسيل: 124
محمد مرين: 132
محمد معمري: 48
محمد ملين: 76، 125
محمد ولد بن عبد الكامل: 152
مدون: 110
مراد باشاه: 116
المراكشي: 108
مرينو: 43، 77، 110، 120
مسلمة بن محمد: 120، 156
المسيح (عليه السلام): 29
مصطفى العثماني: 83
المصطفى: 158-159
المعطي بن الصالح: 133
المعطي فلوريش: 110، 126
المعطي مرينو: 120
المهدي متجنوس الرباطي: 75
المهدي مرين: 133، 148
مهذب الدين مهلب بن حسن بن بركات الميلي: 91
المواق: 90
موسى (عليه السلام): 20-21
موسى بن أبي العافية المكناسي الزناتي: 31
موسى بن نصير: 30
موسى صينصياص: 130

المكي بوجندار: 109
المكي فرج: 151-152
المكي ولد عبد الله الحسني: 152
مكية: 150
ملاط: 110
ملين: 110
المنذري: 90
المنصور السعدي (الذهبي):21، 38
منصور العلج: 148
منينش: 43
المهدي بن إدريس: 48
المهدي بن تومرت: 24، 36، 50
مولاي المكي بن محمد الوزاني: 77
مولاي المكي: 151
مولاي اليزيد: 47، 74، 78، 81، 125-126، 149، 120، 150
مولاي بناصر: 135
مولاي رشيد: 43، 78، 83، 120
مولاي سلامة: 151-152
مولاي عبد الرحمن (السلطان): 47، 83-84، 122
مولاي عبد العزيز: 48، 157
مولاي عبد الله: 77، 121، 123
مولاي عبد الملك بن إدريس: 152-153
مولاي علي الشريف: 109
مولاي إبراهيم الوزاني: 137
مولاي إبراهيم: 77
مولاي إدريس: 138
مولاي إسماعيل العلوي: 24-25، 28، 36، 44-45، 84-85، 88، 109، 120، 125
مولاي التهامي الوزاني: 137
مولاي الحسن: 74-75، 79، 83، 122-123
مولاي الطيب: 135، 156
مولاي المستضيئ: 126، 132-134
مولاي المكي ابن مولاي عبد القادر الوزاني: 77
مولاي محمد الشيخ ابن زيدان: 130
مولاي هشام: 120، 149، 151-152
المولى أحمد بن عبد الله: 46
المولى الرشيد: 45
المولى عبد الحفيظ: 157
المولى عبد الرحمن: 81، 124
المولى عبد الله (السلطان): 46
المولى هشام بن محمد: 156
المولى يزيد بن محمد بن عبد الله: 33، 47، 156
مويط: 41، 45، 80، 132

- ن-

الناصري: 75

-هـ-

الهاشمي المستبري: 126

الهاشمي بن عبد العزيز فنيش: 152

هيست: 78

-و-

والزهراء: 43، 110

الوزازني: 108

ولد الخيمة = الحاج الطيب بن الجيلاني الأمطاعي

ولد الدليمي: 153

وزكيته: 24

الولتيتي: 121

وهب بن منبه: 21

- ي-

ياقوت الحموي: 36

يزيد بن معاوية: 30

يعقوب المريني: 85

يعقوب المنصور الموحدي: 25، 32، 44، 50-52، 71، 77، 79-80، 106، 144، 146

يعقوب بن عبد الحق: 38

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن: 138

اليعقوبي: 22

يوسف بن تاشفين: 25، 34، 50

اليوسي: 21، 29

فهرس الأماكن

-أ-

اتواركة: 162
أزمور: 24، 130
إسبانيا: 23، 41-42، 87، 116، 124، 128، 131
الأستانة: 92
آسفي: 24، 47، 131
الإسكندرية: 51، 68، 71، 136
آسيا: 22
إشبيلية: 115
اشميس: 24
أصيلا: 25
أغمات إيلان: 24
أغمات وريكة: 24
إفريقية: 22-24، 28، 102
الإقامة العامة: 162
أكدال: 46، 75، 78، 81، 89، 96، 132، 147-148، 162
ألمانيا: 83
إنجلترا: 42، 83، 122، 125، 131
الأندلس: 22، 24، 37-43، 51-52، 71، 80، 87، 100-101، 106، 110-112–113، 116، 118، 121، 123، 128، 131
آنفا: 24
الأوداية: 37
أوربا: 40-41، 101، 104
إيطاليا 122

-ب-

باب الأحد: 81
باب الجديد: 81-82، 147-148
باب تامسنا: 65، 80
باب شالة: 82
باب لعلو: 81-82، 133، 146
بادس: 24
باريز: 68، 94
بجعد: 90، 99، 133
باب الرواح = باب الربح: 68، 81، 148
باب القنانيط: 81
برج خنزيرة: 46، 82، 148
البصرة: 25
بطانة: 132
بلجيكا: 107
بلغراد: 116

البرتغال: 42
برج الصراط: 81-82
البرج الكبير: 82
بلنسية: 116
البنك الجزائري التونسي: 162
بوغاز جبل طارق: 37
بيت المقدس: 146

-ت-

تادلة: 23، 30، 109، 133
تارودانت: 147
تازة: 25
تافلالت: 109
تامسنا: 24، 30
تاوريرت: 25
تطاون = تطوان: 25، 115-161
تلمسان: 109
تونس: 129، 136

-ج-

الجامع الأعظم الرباطي: 32
جامع الأوداية: 148
جامع الجزارين: 152
جامع القرويين: 108
جامع القصبة: 160
جامع القصبة: 73
الجامع الكبير بالرباط: 73، 124، 132،154، 158، 160
الجامع المكرم: 71
جامع الوداية: 75
جامع أهل سوس: 75، 148
جامع أهل فاس: 75-76، 148
جامع أهل مراكش: 75، 148
جامع حسان: 40، 51، 67، 69، 71-73، 137
جامع الدك: 110
الجامع السليماني: 74
جامع السويقة = جامع مولاي سليمان: 74، 158-159
جامع ضريح مولاي المكي بن محمد الوزاني: 77
جامع علي بن يوسف اللمتوني: 75
جبل زرهون: 30، 71
جبل طارق: 25، 74
الجديدة: 141
الجزائر: 40، 102، 109، 115، 129
جزولة: 24
جزيرة الأندلس: 28
الجزيرة الخضراء: 38، 87، 115-117
جمع السنا: 148
جيان: 115

-ح-

حاحة: 24
حجر النسر: 25
حسان: 132، 162
حلق الوادي: 36، 38
حلق معمورة: 106
حمام أكدال: 84
حمام السوق: 84
حمام الشرفاء: 85
حومة سقاية ابن المكي: 89
حومة مولاي إبراهيم: 124
حمام القصري: 85
حمام المدرسة: 84
حمام غنام: 85
حمام لعلو = الحمام الجديد: 32، 84
حمام والزهراء: 85
حومة البحيرة: 85، 112
حومة الجزاء: 84
حومة السويقة: 159
حومة وقاصة: 112

-خ-

خميس: 106

-د-

دار ابن عائشة: 29
دار البارود = القشلة = قصبة مولاي رشيد = قشلة البوليس: 82-83
الدار البيضاء: 99، 157
دار الجزولي: 111
دار الحرة: 148
الدار الحمراء: 137
دار الدبيبغ: 136
دار السكة:84
دار القائد سعيد بن صالح: 29
دار القبيبات: 162
دار القصري: 153
دار المخزن: 162
دار بركاش: 150
دار مولاي اليزيد: 47
داي: 24
درب الحفرة: 84
درب الحوت: 160
درب والزهرا:77، 88
درب والزهراء: 77
دكالة: 24، 109، 135

-ذ-

ذرعة: 24، 38

-ر-

الرباط: 18، 25-26، 28-29، 32-34، 36-39، 41، 43-48، 50-62، 66-68، 70-91، 95-96، 98-102، 104-113، 120-141، 143-144، 146-164
ردانة: 24
روما: 28

-ز-

الزاوية التهامية: 156
الزاوية القجيرية: 110
الزاوية المختارية: 29
الزاوية الناصرية: 136
زاوية مولاي التهامي: 151
زاوية وزان: 99
زناتة تامسنا: 23
زناتة: 24
زنقة الدك: 110
زنقة العكاري: 89
زنقة قورية: 111

-س-

سبتة: 25، 126
سجلماسة: 24، 109، 153
سجن المهدية: 152
سقاية ابن المكي: 122
سقاية ابن المكي: 122
سور أشبار: 81
سور الموحدين: 81
سور أهل الأندلس: 81، 96
سلا: 23، 31، 35-37، 39-43، 45-46، 50-52، 54-56، 60، 66، 72، 74-75، 79، 82، 86، 106، 108، 112، 128-130، 133-134، 138- 141، 149-153، 157، 159
السنغال: 102
السودان: 24، 100-102
سور أكدال الكبير: 81
سور سلا: 128
السويد: 83، 125

-ش-

شارع دار المخزن: 162
شارع لعلو: 65
شالة: 23، 27-34، 50، 52، 60، 62-63، 65، 81، 84، 87، 95، 107، 127-129، 149
شتوكة: 24
شرشال: 109
شفشاون: 25
شوشاوة: 24

-ص-

صقالة ابن عائشة: 82
صنعاء: 65
صنهاجة: 23-24، 34
صومعة حسان: 72
الصويرة: 25، 46، 153

-ض-

ضريح سيدي محمد الغازي: 84

-ط-

طليطلة: 115
طنجة: 25، 27
طيط: 24

-ع-

العرائش: 24، 124، 138، 154
العرصة الدعنونية: 110
عين عتيك: 85، 148
عين غبولة: 85-86، 106

-غ-

غابة المعمورة: 134
غرناطة: 41، 112، 115

-ف-

فاس: 24، 26، 31، 37، 46، 58-60، 68، 74، 76، 99، 101-102، 107-108، 115، 135-136، 139-141، 143، 147، 153، 156-157، 161
فران الحاج عزوز: 152
فرنسا: 73، 91، 116، 124
فضالة: 25
فندق ابن عائشة: 28-29

-ق-

قادس: 42
القبيبات: 78
القسطنطينية: 83، 116
قصبة أبي زنيقة: 82
قصبة الأوداية: 37، 81، 88
قصبة مراكش: 51، 71
قصر المجاز: 38
قصر كتامة: 25
قصر مصمودة: 25
قلعة أكادير: 24

قصبة الحريشي: 132
قصبة الرباط: 34-39، 41، 44-47، 50، 53، 106، 120، 127–129، 139
قصبة الصخيرات: 82
قصبة بلعوان: 135
قصبة تادلة: 109
قلعة الرباط: 82
قلعة الصويرة: 24
قلعة امصمير: 24
قلعة تينمل: 24
قلعة دبدو: 25
القنيطرة: 99
القيروان: 22

-ك-

كرمة سعيد بن صالح: 28
الكعبة الشريفة: 62
كوتنير: 92

-ل-

اللبرة: 147
لعلو: 82-83، 89

-م-

المارستان العزيزي المريني: 73
ماسه: 24
المحطة العسكرية: 162
مدرسة الجامع الكبير: 88
المدرسة العليا الإسلامية: 89
المدرسة العليا الرباطية: 64
المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية: 89
مدرسة الملاحة: 88
المدرسة اليوسفية: 89
مدرسة درب والزهرا: 88
مدريد: 124
مراكش = مراكشة: 23، 25- 26، 37، 39، 47، 50-52، 58، 68، 75، 102، 115،148، 156، 162
مرسة تطاون: 136
مرسى الرباط: 75، 83، 99، 122، 128، 130، 135-138، 147، 149
مرسى القنيطرة: 99
مرسى تارودانت: 125
مرسى معمورة: 128
مسجد وقاصة: 77
مسجد الباشا: 77
مسجد البيضاء: 77
مسجد الجامع الأعظم بالرباط: 136، 149
مسجد الجزاء: 77
مسجد الجزارين: 74
مسجد الجنائز: 77
مسجد شكلانط: 77

مسجد الحويشي: 77
مسجد الخرازين: 77
مسجد الدك: 77
مسجد الزناقي: 77
مسجد السراير: 77
مسجد العطارين = جامع السوق جامع الجزارين: 77
مسجد الغماري: 77
مسجد القبة: 77
مسجد القصبة: 70
مسجد القضية: 77
مسجد اللويبرة: 77
مسجد المدرسة: 77
مسجد النخلة: 77
مسجد أم الكنابيش: 77
مسجد بلامينو: 77
مسجد بناني: 77
مسجد تبرنوصت: 77
مسجد جامع السنة: 75
مسجد جامع حسان: 70
مسجد درب النجار: 77
مسجد درب مولاي عبد الله: 77
مسجد دنية: 77
المشرق: 116، 135
مصر: 61، 91، 101-102، 108
معمورة: 36، 42
معهد التعليم العالي المغربي: 64
معهد الدروس المغربية العليا: 91
مسجد ضريح الحسن بن سعيد: 77
مسجد ضريح سيدي الحسن المسكيني: 77
مسجد ضريح سيدي السايح: 77
مسجد ضريح سيدي الشاذلي: 77
مسجد ضريح سيدي العربي بن السايح: 77
مسجد ضريح سيدي الغندور: 77
مسجد ضريح سيدي فاتح: 77
مسجد ضريح سيدي محمد الدرعي: 77
مسجد ضريح لالة عائشة عريانة الراس: 77
مسجد ضريح مولاي إبراهيم: 77
مسجد ضريح مولاي المكي ابن مولاي عبد القادر الوزاني: 77
مسجد عطية: 77
مسجد قورية: 77
مسجد لالة كنزة الطالبية الإدريسية: 77
مسجد مرينو: 77
مسجد ملينة: 75
مسفيوة: 135
مكة: 143
مكتبة الحماية: 91
مكتبة المدرسة العليا: 28، 91
مكتبة المسجد الأعظم: 89
مكناس = مكناسة: 24،26، 32، 46، 58، 72، 74، 99، 141، 150-151، 153، 155

المعهد العالي للتعليم: 28
المغرب الأدنى: 52، 87، 100
المغرب الأقصى: 52، 87
المغرب الأوسط: 52، 87، 100
المغرب: 23-27، 30، 36-37، 39، 52، 66، 68، 71، 73، 78، 84، 87، 91، 100، 109، 116، 123، 131، 136، 156، 160
مغيلة: 24
مقبرة ابن عائشة: 29
مقبرة لعلو: 29
ملاح الرباط: 112
ملاح سلا: 112
مليلية: 24
منار جامع الكتبيين: 51، 71
منارة حسان: 27، 53
منشستر: 102
المهدومة = الجديدة: 75
مهدية معمورة: 36
المهدية: 25، 34-37، 150

-ن-

نفطة: 59
نفيس: 24
النكور: 24
نهدرت: 25
نهر أبي رقراق: 36-37، 65، 86، 128، 131
نهر أكرو: 45

-هـ-

هضبة شالة: 27-28
هولاندة: 40

-و-

واد كي: 24
وادي أزمور: 72
وادي المشرع: 137
وادي النفيفخ: 47
وادي أم الربيع: 39
وادي سلا: 23، 50
وازان: 25، 135، 151-152، 154
وجدة: 25
وقاصة: 112-113
وليلي: 24، 27، 30، 71، 95

-ي-

اليمن: 65، 109

قصبة الرباط

يرى بعض مؤرخي الإفرنج أن قصبة الرباط في عهدها الأول كانت حصنا حصينا بناه الرومان لغرض الدفاع عن مدينة شالة العتيقة وهذا إن صح دليل على تاريخ القصبة في القديم وربما يؤيده ما جاء في جغرافية تيسو من أن ما وجد من قديم الآثار بموضع الرباط يدل على أن بنايات شالة كانت تمتد إلى قصبة لوداية وفم الوادي. أما مؤرخو الإسلام فغاية ما جاء عنهم في تاريخ القصبة لعهدها الأول أنها كانت قبل بنائها من جملة بقعة الرباط عبارة عن رباط يرابط فيه المسلمون بقصد الجهاد والغزو ...

وفي عهد دولة المرابطين اللمتونيين ... كانت قصبة صغيرة يسكنها رهط من صنهاجة ... أما في عهد الموحدين فهو العهد الذي ظهرت به القصبة في شكلها الحاضر. وأدركت فيه من العز والمجد الغابر بما أحرزته في ذلك الأوان. من المزايا التي تتفاضل بها البلدان كعز المنعة والشنعة ... على أن بناءها لم يكن له شكل مستقيم فليست مثلثة ولا مربعة وإنما بنيت على الصخور البحرية بحسب الهندسة الطبيعية التي يقتضيها الموقع الجغرافي للمصب. وكان عبد المؤمن أول ملوك الموحدين هو أول من اتخذها دارا وجعلها لتخت ملكه قرارا. فاختط بقعتها. وادار أسوارها. وفتح أبوابها. وأسس مدرستها. وشيد منارها. وبنى مسجدها الجامع وأجرى إليها الماء في مادة ممدودة إلى صهاريجها من نحو عشرين ميلا كما في الاستبصار وكان ذلك بعد رجوعه من فتح فاس سنة 540 هـ ... وأول ما بناه فيها قصره الفخيم، ثم ساباطه العظيم المشار إليه في مقامة البلدان جعله ديوانا يجتمع فيه الوزراء الإعلا، وإيوانا يأوي إليه حملة السيوف والأقلام. ثم ندب خاصته للبناء حول قصره ...

محمد بوجندار

مطبعة الأمنية – الرباط